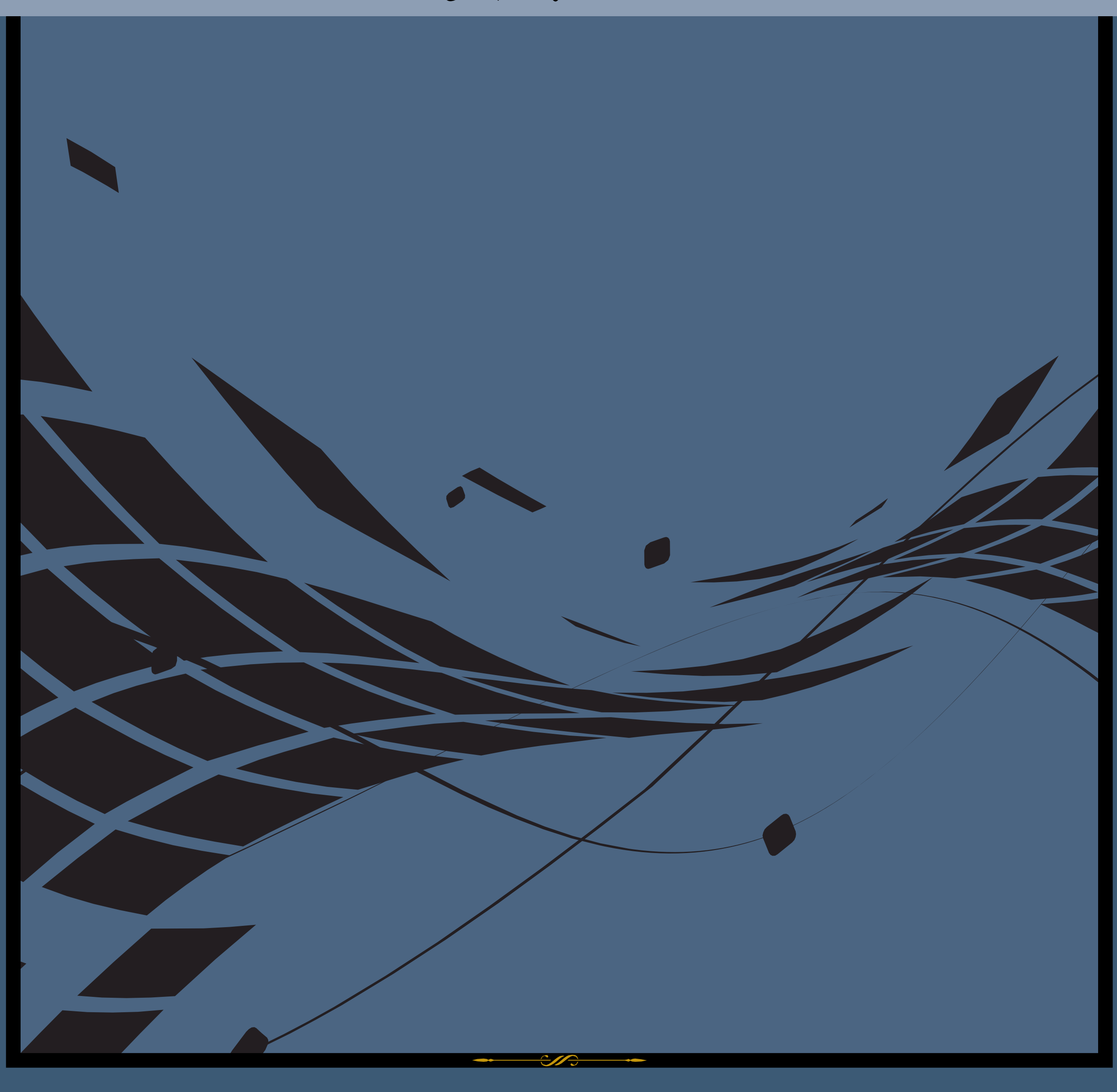
الوجه الاخر

العلاقة السرية بين النازية والصهيونية

د. محمود عباس



الوجه الآخر

العلاقات السرية بين النازية والصهيونية

د. محمود عباس (أبو مازن)

الوجـه الآخـر
العلاقات السـرية بين النـازيـة والصهيونية

الطبعة الأولى 1984
دار (إبن رشـد) للنشـر والتوزيع
عمان

الطبعة الثانية 1997
دار النهضة العربية
القاهرة

الطبعة الثالثة 2011
بيلسان
رام الله - فلسطين

الفهرس

مقدمة:

«للحقيقة وجه آخر»

رسمت دول الغرب مخططا لوضع الصورة النهائية لنتائج الحرب العالمية الثانية وما يترتب على هذه النتائج. وحددت الجرائم التي إرتكبت وصفة الجناة والجني عليهم، بعد أن نصبت نفسها حكما عدلا صاحب القول الفصل في هذه الجرائم. وطوت ما شاء لها أن تطوي من تفاصيل ووقائع وجرائم، وأغفلت ما أرادت أن تغفل من أسماء وأشخاص ومؤسسات ومنظمات ودول، وانتهت إلى إتهام قادة النازية بكل الجرائم التي وقعت في تلك الحرب تلاحق من بقي منهم على قيد الحياة حتى تاريخ لا تنتهي مدته ولا تسقط بالتقادم. ودارت عجلة نورنبرغ تحصد الطغاة والقتلة، بعد أن أرخت الظلال على شريك أساسي في جريمة أساسية تم إقترافها أثناء الحرب. فحصرت -بعد أن جبت هؤلاء- الجرائم والمجرمين والمدعين والمدعى عليهم والشهود. ووضعت القضية -كل القضية- في أطر محدودة لا يمكن الخروج عليها، وهكذا تعاملت هذه الدول مع نصف الحقيقة بعد أن أهملت - عن قصد - النصف الآخر.

لقد كانت حصيلة الحرب العالمية الثانية أربعين مليون إنسان من مختلف شعوب العالم دفع الشعب الألماني منها عشرة ملايين، والشعوب السوفييتية عشرين مليونا، والباقي موزع بين يوغسلافيا وبولونيا وبقية الشعوب، إلا أن ما أشيع بعد الحرب أن ستة ملايين يهودي كانوا ضمن هذه الضحايا، وأن حرب الإبادة شملت اليهود بالدرجة الأولى ثم إنسحبت على باقي الشعوب الأوروبية. والواقع أن أحدا لا يستطيع أن يؤكد هذا الرقم ولا يستطيع نفيه كليا. وبمعنى آخر فإن عدد الضحايا اليهود قد يكون ستة ملايين وقد يكون أقل بكثير بحيث يصل إلى أقل من مليون. ولكن إثارة الجدل حول الرقم اليهودي لا يقلل بأي حال من بشاعة الجريمة التي ارتكبت بحقهم، لأن مبدأ قتل الإنسان -مجرد إنسان- هو جريمة لا يمكن أن يقبلها العالم المتحضر، لا يمكن أن تقر بها الإنسانية.

ويبدو أن مصلحة الحركة الصهيونية أن تضخم العدد الذي قتل في الحرب ليكون مردود المكاسب التي وطنت النفس على الوصول إليها كبيرا، الأمر الذي دعاها إلى توكيد هذا الرقم وتثبيته في ذهن الرأي العام العالمي ليشعر بمزيد من تأنيب الضمير ومزيد من العطف على الصهيونية بشكل عام. ولقد ناقش علماء كثيرون مبدأ الرقم - ستة ملايين - وخرجوا بنتائج مذهلة تجعل مجمل الضحايا اليهود يعدون بمئات الألوف. ويعلق على مقولة الأرقام روجيه ديلورم[1] الكاتب الكندي المشهور بقوله: (لم يقم أي برهان أو دليل حتى الآن على أن عدد اليهود الضحايا في المعتقلات النازية قد بلغ أربعة ملايين أو ستة ملايين فقد تحدث الصهاينة في بادئ الأمر عن إثني عشر مليونا - أبيدوا في تلك المعسكرات - ثم تواضع هذا العدد فانخفض وتناقص كثيرا وأصبح النصف - أي ستة ملايين فقط - ثم إنخفض أيضا فاستحال أربعة ملايين - إذ ليس بالإمكان أن يقتل الألمان أو يبيدوا من اليهود أكثر من عددهم في العالم آنذاك - والواقع أن العدد الحقيقي أقل بكثير من تلك الملايين المزعومة. أما المؤرخ والكاتب راوول هيلمبرغ[2] فيعتقد أن العدد لا يزيد عن ثمانمائة وست وتسعين ألفا فقط.

ويعود في الواقع أصل طرح الرقم الكبير - ستة ملايين - إلى تصريح لحاييم وايزمان في عام 1936 أمام اللجنة الملكية البريطانية حول مصير الستة ملايين يهودي الذين يعيشون في أوروبا إذا ما وقعت حرب عالمية بقوله: (إن الأغصان الصغيرة اليانعة هي التي ستنجو أما الباقون فعليهم أن يتحملوا مصيرهم). ومن هنا تصر الحركة الصهيونية على أن الملايين الستة قتلوا جميعا وأن أحدا منهم لم ينج من الموت. ثم تحاول هذه الحركة أن تصور طريقة قتلهم وكيف تمت في معسكرات الإعتقال وغرف الغاز، مغفلة جانبين أساسيين، أولهما أن أعدادا كبيرة من هؤلاء اليهود كتبت لهم الحياة سواء من تم إنقاذهم من قبل الحركة الصهيونية للهجرة إلى فلسطين أو من تمكنت شعوب ودول العالم من حمايتهم وإبعادهم عن أيدي النازيين، كما فعل الإتحاد السوفييتي عندما رحل مليوني يهودي إلى الجمهوريات الشرقية. وأخيرا وجود مئات الألوف من اليهود في معسكرات الإعتقال أحياء عندما حررت المناطق من قبل دول الحلفاء. والجانب الثاني هو أن القضاء على

---

1 روجيه ديلورم- كتاب إني أتهم- إصدار دار الجرمق- دمشق سنة -1980 ترجمة نخلة كلاس صفحة 212.
2 كتابه دمار يهود أوروبا صفحة 670.

الضحايا لم يتم في معسكرات الإعتقال وغرف الغاز بشكل قاطع وإنما وقع جزء من هذه الضحايا بسبب المشاركة في الحروب والقتال وحرب الأنصار. وكذلك بسبب الجوع والمرض الذي شمل جميع شعوب أوروبا ومواطنيها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن معسكرات الإعتقال لم تقتصر على اليهود وإنما ضمت أناسا من كل الشعوب الأوروبية من محاربين ومفكرين ومثقفين وأسرى حرب ومناهضي الفاشية. وتشير مجلة نيوز ويك[3] إلى أن ثلاثة ملايين جندي سوفييتي من أسرى الحرب أبيدوا في تلك المعسكرات. وملاحظة أخيرة حول هذه الوقائع التي لها حظ كبير من الحقيقة تتعلق بغرف الغاز وغيرها تلك الغرف التي أشيع أنها أعدت لقتل الأحياء من اليهود. ففي بحث علمي نشره البروفسور الفرنسي روبير فوريسون[4] تحدى فيه وجود مثل هذه الغرف للأهداف الشائعة وهي قتل الأحياء مؤكدا أنها كانت فقط لحرق الجثث خشية إنتشار الأمراض والجراثيم في المناطق.

إن هذا الجانب من الحقيقة لا يحتاج إلى جهد كبير لإثباته وتوكيده وتوثيقه، فقد وقعت الحرب العالمية وسقط ملايين الضحايا، وأن هتلر - متزعما الحركة النازية الفاشية - هو الذي أثارها مدفوعا بعقيدة شوفينيه علوية عرقية توسعية، وأنه أسس معسكرات الإعتقال في كل أنحاء أوروبا لتستوعب كل خصومه وأعدائه ومناوئيه ومن صنفهم شعوبا لا تستحق الحياة. وهو الذي إبتدع غرف الغاز أيضا. إلا أن جانبا آخر من الحقيقة بقي في الظلام، كوجه القمر الآخر الذي لم يستطع الإنسان النفاذ إليه إلا بعد أن أوتي من سلطان العلم الشيء الكثير، وآمن بالبحث عن الحقيقة لإظهارها على الناس، أما من إستمرأ الباطل وتعود على الظلم وانزوى في دهاليز الظلام، وظن أن الدنيا تبدأ بباطله وتنتهي بظلمه وظلامه، فسيعمل كل ما يستطيع ليبقى الحال على حاله، ويبقى هذا الجانب مغفلا.

كيف يستطيع أصحاب الخيال الواسع، والأفق الرحب الفسيح أن يتصوروا أن شركة يوت أسست بين نازيي هتلر وبين قيادة الحركة الصهيونية هدفها -ولنكن أكثر دقة- متيجتها قتل اليهود؟ كيف يمكن أن يصدق عقل أن مؤسسة -الحركة الصهيونية- تتصدى للدفاع عن (شعب) ثم تكون سببا

---

3 مجلة نيوز ويك 1979/9/17.

4 مجلة التاريخ المصور الإيطالية- نقلته جريدة الدستور الأردنية 4-6 كانون ثاني 1980.

في إبادة هذا الشعب؟ لقد حدثنا التاريخ عن نيرون الذي أحرق روما. ولكن نيرون كان مجنونا. والجنون يسقط الإدعاء والمسؤولية. وحدثنا التاريخ أيضا عن زعماء وقادة خانوا شعوبهم وبلادهم وباعوها لأعدائهم.. إلا أن هؤلاء القادة والزعماء أفراد.. يتحملون وحدهم مسؤولية ما اقترفت أيديهم. أما أن تتآمر حركة شعبية جماهيرية واسعة على (شعبها) فهذا أمر محير ويحتاج إلى كثير من التمحيص والتدقيق قبل إطلاق التهمة على عواهنها. ربما تآمر قائد صهيوني، أو مجموعة من أفراد القيادة أو مجموعات من القيادات. أو كل القيادات أما أن تتآمر حركة بكاملها فهذا أمر يحتاج إلى جهد كبير لتصديقه. إذ ربما كان في الأمر مبالغة وربما كان تجنيا. وجائز أن يكون تحاملا خصوصا وأن الكاتب مصنف في صفوف أعداء هذه الحركة.. ولكن.

عند مناقشة الفكر الصهيوني المعلن الذي إعتنقه أتباع الحركة عن قناعة وإيمان، نجد أن هؤلاء يؤمنون بنقاء العرق اليهودي وصفائه، مثلما آمن هتلر بصفاء العرق الآري ونقائه. وهي تدعو لإيجاد حل جذري وحاسم (للمسألة اليهودية) في أوروبا عن طريق الهجرة إلى فلسطين. وهتلر يدعو ويمارس ذلك. وهي تدعي أن اللاسامية مسألة أبدية تسري في دم الأغيار ولا يمكن القضاء عليها أو التخلص منها، وتجد فيها المحرك الأساسي للهجرة الصهيونية. فإن لم تكن موجودة يجب إبتداعها، وإن خمدت لا بد من تحريكها. ويعرف دافيد بن غوريون الحركة الصهيونية بأنها الهجرة والهجرة فقط وكل من لا يهاجر فهو كافر بالتوراة والتلمود وهو بالتالي ليس يهوديا. ومعروف جيدا أن محرك اللاسامية هو الإضطهاد والقمع وهو بالتأكيد أمر مقبول من الحركة الصهيونية.

إن حصيلة هذه الأفكار تعني الترخيص المفتوح لكل عنصري في العالم وعلى رأس هؤلاء هتلر والنازيون ليتصرفوا باليهود بالشكل الذي يريدون ما دام هذا يضمن هجرة الأفراد إلى فلسطين. ولم تكتف بمنح هذا الترخيص بل كانت تطلب مزيدا من الضحايا لتتساوى مع تضحيات الشعوب الأخرى في الحرب، لأنها ترى أن إرتفاع عدد ضحاياها يجعلها تملك حقا أكبر وامتيازا أوسع في الجلوس إلى طاولة المفاوضات بعد إنتهاء الحرب وتوزيع الغنائم. وحيث أنها -الصهيونية- لم تكن طرفا مقاتلا يقدم التضحيات من خلال الحرب والقتال، فلا بد لها ان تقدم مادة بشرية تحت أي إسم ليرتفع رقم

الضحايا الذي ستفاخر به الأمم يوم الحساب. ففي رسالة وردت من ناتان شوفالف في سويسرا[5] إلى الحاخام وايزماندل في سلوفاكيا يشرح له فيها سياسة الحركة الصهيونية المبنية على نظرية التضحية باليهود فيقول: (إنني أكتب للأصدقاء الذين يجب عليهم دائما أن يتذكروا الأمور الأكثر أهمية، وهي الأساس الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا. في النهاية سينتصر الحلفاء وبعد الإنتصار سيقسمون العالم من جديد بين الشعوب، كما حصل بعد الحرب العالمية الأولى عندما فتحوا أمامنا الطريق لنخطو الخطوة الأولى. وبعد نهاية هذه الحرب يجب أن نبذل كل الجهود من أجل أن تصبح أرض إسرائيل (دولة إسرائيل) وقد تمت خطة هامة في هذا الشأن، أما بالنسبة للصرخات التي تأتي من بلادكم فإنه يجب علينا أن نعلم أن جميع الشعوب المنتمية للحلفاء تقوم بدفع ضريبة الدم غاليا. وإذا لم نقدم نحن الضحايا، بماذا سنشتري حقنا حتى نتقدم إلى مائدة المفاوضات حيث تقوم الدول بتقسيم الشعوب والبلاد بعد الحرب، ولهذا فإن من الحماقة وحتى الوقاحة -من جانبنا- أن نسأل هذه الشعوب التي تدفع هذه الضريبة أن تسمح لنا بإرسال نقودها للمحافظة على دمائنا. إنه بالدم فقط ستكون لنا البلاد والوطن).

وحتى نتجنب الخطأ في إطلاق الشمولية على الصهاينة -بمختلف أحزابهم- دون بينة، وحتى نكون أكثر دقة لا بد أن نشير إلى أن الحركة الصهيونية كانت منقسمة على نفسها، قسم يتولى السلطة، وقسم يمارس المعارضة. الأول هو مجموعة الأحزاب العمالية وعلى رأسها الممباي، والثاني تحريفيو جابوتنسكي أسلاق مناحيم بيجن وعيزرا وايزمان. فإذا تآمر القسم الأول مع النازية باعتباره صاحب السلطة في المؤسسات الصهيونية العالمية (المؤتمر الصهيوني العالمي، المؤتمر اليهودي العالمي، الوكالة اليهودية، الكيرين كايمت، الكيرين هايسود، لجان الإنقاذ والتوزيع) فهل يمكن إطلاق الإتهام على الطرف الثاني الذي لم يكن شريكا في هذه المؤسسات والسلطة؟ إن هذا السؤال وارد في حالة واحدة فقط، وهو وجود إختلاف في المنطلقات النظرية والتطبيقات العملية للفكر الصهيوني لدى الطرفين، أما إذا اتفقت هذه المنطلقات وتلك التطبيقات -وهي كذلك- فإن السؤال يصبح غير ذي موضوع.

5 من كتاب الأعماق للحاخام وايزماندل.

إذا كانت الحركة الصهيونية قد تآمرت عن وعي كامل على يهود أوروبا مع هتلر، فإن هذا يقلل من شأن وثائقية البحث إذا تم الإعتماد أساسا على مصادر غير صهيونية، ويمكن لأي صهيوني أن يرد على ذلك.. باللاسامية المتأصلة والمتجذرة -حسب قناعتهم- في دماء كل شعوب الدنيا ويعزوا الهدف من وراء ذلك إلى تشويه وجه الحركة (الوطنية) و (القومية) التي قادت خطى (الشعب اليهودي) إلى (أرض الميعاد) (أرض الآباء والاجداد) وأن (الأحقاد) العربية وغير العربية التي توجه ضد اليهود هي التي تدفع كتابا غير يهود إلى مثل هذا التشويه: يكمن في هذه الدعوى جانب مهم من الصحة إذا لم يتم الإعتماد على مصادر صهيونية ويهودية رفيعة وتحدثت بشكل مهيب وواضح عن الدور الكامل للحركة الصهيونية وتعاونها مع هتلر ضد اليهود، والواقع أن هذه المصادر كان لها إسهام كبير في إلقاء الأضواء على هذا الجانب.

نعود مرة أخرى لنقول، كيف نتهم الحركة الصهيونية، كل الحركة الصهيونية بالتعاون مع هتلر ثم نشير إلى كتاب وأدباء ومفكرين ومثقفين صهاينة تحدثوا وأدانوا هذا التعاون؟ يقول مثل عربي عامي (إذا اختلق السارقون ظهرت السرقة) وهذا ما حصل مع الحركة الصهيونية إذ عندما حكم (العمل) دولة إسرائيل، رفضوا منح التحريفيين أنصبتهم، فبدأ هؤلاء بكشف الحقائق وتمزيق ستر البهتان، لكنهم نسوا في غمرة الحديث دور العماليين، الحديث عن دورهم -أنفسهم- المتكافئ والمتساوي مع الآخرين فجاء طرف ثالث ليفضح مواقف الجميع. ولا بد أن نذكر أن كثيرين ممن إعتنقوا الصهيونية وعايشوا مرحلة الحرب، قد أذهلتهم نتائج التعاون الصهيوني النازي، وأرعبتهم ضخامة أرقام الضحايا، وصدمتهم فداحة الخسائر فأصيبوا بخيبة أمل في حركة لا يمكن أن يصل إجرام في عراقته إلى ما وصلت إليه، الأمر الذي جعلهم يسجلون إنطباعاتهم ومشاهداتهم ويعلنون عن برائتهم من تلك الأعمال التي إرتكبت والجرائم التي إقترفت. يضاف إلى كل ذلك وقوع وثائق الرايخ الثالث في أيد كثيرة تمكن بعضها من عرض هذه الوثائق التي توضح طبيعة العلاقة والتعاون بين النازيين والحركة الصهيوينية.

إن التطرق إلى هذا الجانب من الحقيقة الذي يفضح نشاطات الحركة الصهيونية. يعتبر من المحرمات التي لا يجوز المساس بها أو كشف النقاب عنها. وكل من يحاول الوصول إليها أو الإقتراب منها، لن يكون مصيره

أقل سوءا من مصير أدولف ايخمان الذي خطف من الأرجنتين بعد أن أدلى بحديث مسهب لمجلة لايف الأمريكية، كذلك لن يكون أحسن حالا من الزعيم الصهيوني إسرائيل كاستنر، الذي تجرأ فدافع عن نفسه أمام المحاكم الإسرائيلية فكانت نهايته الإغتيال على يد الـ (شين بت) في أحد شوارع تل أبيب، وقائمة التصفيات شملت أيضا الصحفي الألماني (الدكتور كيرين) الذي إمتلك مجموعة من الوثائق المعدة للنشر والذي وجد -قبل أن ينشرها- قتيلا في غرفته في أحد فنادق (ألمانيا) والقائمة لا تنتهي.

وعلى الرغم من ذلك فإن للباطل جولة ثم يضمحل، والحق لا بد أن يظهر فب النهاية. فإذا عرف العالم نصف الحقيقة، وكان هذا النصف مرا فإن النصف الآخر أكثر مرارة وأشد قسوة وأعمق أسى. ترى ما هو النصف الآخر؟ وهل للحقيقة وجه آخر؟... إن للحقيقة وجها آخر.

الفصل الأول

بداية العلاقة بين قيادة الحركة الصهيونية وحكومة ألمانيا النازية[6] من عام 1933 ـ 1939

لم تكن الأفكار العرقية التي طرحها هتلر في بداية حياته السياسية مجهولة بالنسبة لأحد، كما لم تكن وجهة نظره تجاه اليهود خافية على أحد، فقد وضعها من خلال كتاباته وخطاباته موضعا لا يقبل التأويل أو التفسير، وعندما سمي هتلر مستشارا للرايخ الألماني الثالث في كانون الثاني سنة 1933 أصبحت السياسة العرقية العنصرية، سياسة الحكومة الألمانية الرسمية وشهد هذا العام أيضا بداية الإتصالات السرية بين قيادة الحركة الصهيونية وألمانيا النازية، هذه الإتصالات التي بقيت طي الكتمان ردحا طويلا من الزمن بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. ولما بدأت الأضواء تلقى عليها كانت ردة فعل الحركة الصهيونية أنها أقامت هذه العلاقات لإنقاذ حياة اليهود من الإضطهاد الألماني النازي، وهذه في الواقع حجة مقبولة إذا أخذت مجرة عن التفاصيل والملابسات التي رافقتها والتي بقيت مجهولة لدى الإنسان العادي، وخاصة الإنسان اليهودي الذي قبلها مقتنعا أن قيادته كانت حريصة على إنقاذ ما يمكن إنقاذه. إلا أن هذه القناعة الهشة لم تستمر طويلا حيث بدأ بعض زعماء الحركة الصهيونية بإلقاء الأضواء على الحقيقة. ففي عام 1966 وفي لقاء نظمته جريدة معاريف الإسرائيلية شارك فيه أليعازر لفنه الذي كان يشغل منصب رئيس تحرير المجلة الناطقة باسم الهاغاناه إبان الحرب العالمية الثانية، قال ليفنه (انه بالنسبة للزعامة الصهيونية لم يكن إنقاذ اليهود غاية بحد ذاتها بل مجرد وسيلة لإقامة دولة يهودية في فلسطين).[7]

---

6 إتفاقية هعفارا.

7 كلاوس بولكن - مقال بعنوان: إتصالات الصهاينة السرية بألمانيا النازية -1933 1945 نشر في المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 2 سنة 1976 - جامعة الكويت.

مما لا شك فيه أن النازية كانت ترغب في التخلص من الألمان ذوي الديانة اليهودية. كما أن الحركة الصهيونية كانت ترغب في الإستفادة من بعض هؤلاء اليهود الراغبين والقادرين على إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، لذلك فقد إلتقت الرغبتان على هدف واحد كان ضحيته بقية اليهود وهم الغالبية العظمى. ولقد كانت ميكانيكية تحقيق هذا الهدف تسير ضمن ثلاثة خطوط تصب حصيلتها فيه، وهي ترفد بعضها البعض لتحقيقه. وقد إنسجمت هذه الخطوط الثلاثة إنسجاما فعليا كاملا وهي:-

1. الإتفاق الذي عقد في مطلع الحكم النازي بين شركة هانوتيا ووزارة الإقتصاد الألماني والذي تحول فيما بعد إلى إتفاق بين الوكالة اليهودية والحكومة الألمانية عرف باسم إتفاقية هعفارا (النقل).
2. جملة الممارسات الإرهابية التي قامت بها السلطات الألمانية لدفع اليهود إلى الهجرة مضافا إليها التشريعات العنصرية التي سنتها تلك الحكومة لتحقيق نفس الغرض.
3. موقف الحركة الصهيونية الألمانية والقيادة الصهيونية في الخارج من القوانين العنصرية والممارسات الإرهابية والمقاطعة اليهودية العالمية للبضائع الألمانية.

القسم الأول

إتفاقية هعفارا[8]

في كتابه دولة اليهود إقترح تيودور هيرتزل إنشاء مؤسستين لخدمة الأهداف الصهيونية، مؤسسة للتمثيل السياسي العام على المستوى الدولي، ومؤسسة إقتصادية واجبها القيام بالإشراف على تصفية ثروات مواطني العالم من الديانة اليهودية والإشراف على نقلها إلى منطقة الإستعمار الصهيونية.[9]

ولقد تجسدت المؤسسة الأولى في تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية والتي مارست نشاطها مع نهاية المؤتمر الصهيوني الأول في بازل 29-1897/8/31 .

بينما إقتصر نشاط المؤسسة الإقتصادية الصهيونية التي عرفت أنذاك باسم الشركة اليهودية على جمع التبرعات الصهيونية واستثمارها ضمن مخططات المنظمة الصهيونية العالمية لأن اليهود لم يفكروا بتصفية وجودهم وممتلكاتهم في أوطانهم والرحيل إلى المستوطنة الصهيونية، كذلك لم تفلح معهم وسائل الإقناع العادية بضرورة عمل ذلك الأمر الذي جعل الحركة الصهيونية تستبشر بقدوم هتلر إلى الحكم بما يحمله من أفكار وآراء ومواقف تجاه اليهود بحيث تصبح الأرض خصبة ليفكر هؤلاء بضرورة الرحيل، وللمرة الأولى والوحيدة تنجح المنظمة الصهيونية في وضع مخطط لبناء مؤسسة إقتصادية عالمية هدفها تصفية ثروات الألمان على أمل أن تلقى هذه المؤسسة ظلالها على كل يهود العالم في كل مكان وهكذا نشأت إتفاقية هعفارا.

تشير الإحصائيات إلى أنه كان يوجد في ألمانيا سنة 1932 (503.000) يهودي يشكلون 0.76 بالمئة من مجموع السكان وكان 31% من مجموع اليهود

---

8 هعفارا كلمة عبرية تعني (النقل) باللغة العربية.

9 .The jewish state, theodor herzl- London 1972, page 33, 34

الألمان يقطنون في العاصمة برلين كانوا يشكلون 4.3 بالمئة من مجموه سكان المدينة.

ولقد كان معظم اليهود الألمان إما لا صهيونيين أو معادين للصهيونية، وقبل سنة 1937 وجد الإتحاد الصهيوني لألمانيا (ZVFD) صعوبة كبرى في إسماع صوته إليهم، فبين يهود ألمانيا الذين أحصوا عام 1925 مثلا كان هنالك 8739 شخصا فقط (أقل من 2%) يستطيعون الإقتراع في المؤتمرات الصهيونية (أي أنهم أعضاء في المنظمات الصهيونية).

وفي تقرير قدمه الكيرين هايسود إلى الدورة الرابعة والعشرين للإتحاد الصهيوني الألماني في تموز سنة 1932، جاء فيه مايلي: (في معرض تقويم عمل الكيرين هايسود في ألمانيا يجب أن لا يغرب عن البال أننا نتعامل ليس مع لا مبالاة الدوائر اليهودية الكثيرة بل أيضا مع مواقفها العدائية).

وفي الوقت الذي كان الصهيونيون أقلية صغيرة ولا أهمية ولا نفوذ لها بين يهود ألمانيا كانت المنظمات غير الصهيونية هي التي تقوم بالدور الرئيسي بينهم، وعلى رأس هذه المنظمات كان يوجد الإتحاد المركزي للمواطنين الألمان من ذوي الديانة اليهودية (CV) الذي تأسس سنة 1893 والذي كان يعتبر اليهود الألمان كما يدل إسمه ألمانا وكان يرى واجبه مكافحة اللاسامية. وانسجاما مع هذا الموقف الأساسي فإن الإتحاد المركزي (CV) أعلن رفضه البات للصهيونية ووقف قبل أي منظمة أخرى في مقدمة الفئات والمنظمات التقدمية التي وقفت تكافح اللاسامية، ولقد أشار إلى هذا الموقف الكاتب اليهودي فيرنر. أي. موسى بقوله: (رأى قادة الإتحاد المركزي (CV) أن واجبهم الخاص أن يمثلوا مصالح يهود ألمانيا في الصراع السياسي الناشط في حين أن الصهيونية كانت تدعو إلى عدم إشتراك اليهود في الحياة الألمانية العامة. وكانت ترفض من حيث المبدأ أي مساهمة في الصراع الذي كان يقوده الإتحاد المركزي (CV).[10]

ولقد تحدد موقف الصهيونية إزاء التهديد العدواني للسيطرة الفاشية في ألمانيا نتيجة بعض المنطلقات العقائدية المشتركة، فقد كان الفاشيون

10 كلاوس بولكن.

الصهيونيون يؤمنون بنظريات عرقية غير علمية، كما إلتقى الطرفان على أرضية واحدة في إعتقادهم تعميمات صوفية مثل (الشخصية القومية) والعرق، وكان كلاهما يتصف بالشوفينية ويميل نحو التفرد العرقي الحصري، ففي الوقت الذي يسجل البرنامج الصهيوني مفهوم الشعب اليهودي المتجانس، أي أن معيار الشعب اليهودي ليس التصريح باعتناق الدين وإنما هو شعور شامل بالإنتماء إلى مجموعة عرقية تربط بين أفرادها روابط الدم والتاريخ وتصمم على الإحتفاظ بشخصيتها القومية الفردية في نفس الوقت نرى الفاشيين يستعملون نفس التعابير ويرحبون بالمفاهيم الصهيونية.[11]

على هذه الأرضية الفكرية المشتركة وعلى ضوء التقسيمات السياسية بين اليهود والألمان نشأت علاقات التعاون ذات الطابع الإقتصادي الظاهر بين الحركتين العرقيتين الفاشية والصهيونية، وكانت الخطوة الأولى من جمعية (الهانوتيا) التي شكلتها الأوساط الإستيطانية الصهيونية في فلسطين والتي كانت تملك مساحة كبيرة من الأرض في منطقة مدينة نتانيا الحالية في فلسطين، وبتكليف من هذه الجمعية سافر سام كوهن إلى ألمانيا ونجح في 1933/5/19 في الحصول من وزارة الإقتصاد الألمانية على رخصة بتحويل مبلغ مليون مارك، وذلك بأن تتلقى الشركة دفعات نقدية بالمارك (ضمن حدود المبلغ المحدد) من المهجرين اليهود لشراء سلع ألمانية تصدر إلى فلسطين على أن تكون السلع مخصصة لاستهلاك الشركة.[12] إلا أن هذه الشركة إستطاعت في 18 تموز من نفس العام الحصول من وزارة الإقتصاد على ترخيص بتحويل مبلغ ثلاثة ملايين مارك دون أن تلزم نفسها بتخصيص السلع المشتراه بها لاستهلاكها الخاص.[13] ولما كان مثل هذا العمل من إختصاص المؤسسات العامة الصهيونية إذ أنه يتحقق بسياسة الهجرة ونقل الأموال إلى فلسطين، لذلك قام الممثلون الأساسيون للإقتصاد في فلسطين بزيارة قنصل ألمانيا العام واقترحوا جعل البنك الفلسطيني -

11 موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية - د. عبد الوهاب المسيري - مركز الدراسات الإستراتيجية والسياسية - القاهرة - 1975 - صفحة 391 - 394.

12 تحويل رؤوس الأموال إلى فلسطين من 1933 - 1939 - لودفيج بينز - من كتاب في عالمين، بمناسبة عيد الميلاد ال 75 لموسى هيس - لجنة الدراسات الفلسطينية سنة 1979.

13 وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية 1918 - 1945 - داجنتسين سنة 1960 مجلد -1سلسلة آي - وثيقة 369.

البريطاني صاحب الحق في الترخيص العام بالتحويل. وكان أن نصح القنصل وزارة الخارجية بقبول الإقتراح.

بسبب هذا الإقتراح تخلت شركة هانوتيا عن الترخيص الخاص الممنوح لها وفي 8 آب 1933 عقدت في وزارة الإقتصاد الألمانية محادثات حاسمة مع مندوب الحكومة (هاركشتاين) إشترك فيها هوفيان مدير بنك انجلو فلسطين وممثلون عن هانوتيا. أبلغ بعدها وزير الإقتصادي الألماني هوفيان عن إستعداده لتوسيع الأساس العام للإتفاق المعقود مع شركة هانوتيا بهدف منح اليهود والمهاجرين من ألمانيا إلى فلسطين إمكانية أكبر لنقل ثرواتهم وتعزيز تصدير السلع الألمانية إلى فلسطين في الوقت ذاته.[14] وقد تضمن الإتفاق الأسس التالية: (إن المهاجرين الذين يمنحهم مكتب الهجرة الإستشارية شهادة تثبت ضرورة حصولهم على مبلغ يتجاوز الألف جنيه استرليني المصرح بها ليتمكنوا من تأسيس حياتهم الجديدة في فلسطين، يستطيعون بالإستناد إلى هذه الشهادة[15] أخذ موافقة بإيداع المبلغ الزائد عن مجموع الألف جنيه (كانت تساوي 15 ألف مارك) في رصيد خاص ذي الرقم -1- لدى مصرف مجتمع الهيكل المحدود عن طريق مصرف الرايخ الرئيسي لحساب جمعية إئتمانية ستقام في فلسطين (تحول إلى المصرف الأنجلو- فلسطين لحين إقامة الجمعية)، إن الرصيد الخاص لحساب رقم (واحد) الذي تقرر أن يخصص له مع رصيد الحساب رقم (إثنين) الذي سيرد ذكره تاليا، إن رصيد الحسابين هو ثلاثة ملايين مارك ألماني في البداية سيفتتح مصرف الهيكل لرصيد إئتماني لحساب الجمعية اليهودية الإئتمانية المذكورة. ومن هذا الرصيد ستدفع قيمة السلع الألمانية المصدرة إلى فلسطين على أن تدفع الجمعية اليهودية للمهجرين مبلغا يعادل قيمة ودائعهم من الأموال التي سيدرها بيع السلع الألمانية في فلسطين، وذلك حسب تسلسل أسمائهم وقيمة ودائعهم في الحساب الخاص رقم (واحد) على أن يكون الدفع بالجنيه الفلسطيني. وقد تأسس مكتب فلسطيني لتقديم المشورة لليهود الألمان (شركة مساهمة محدودة) مقره في برلين شارع فردريك رقم 218 كي يقدم لليهود الألمان النصح حول القضايا الناجمة عن هذا الشكل من تحويل رؤوس الأموال إلى فلسطين.[16]

14 المصدر السابق رقم الوثيقة 1360/50.

15 نموذج شهادة تحويل (هعفارا) باللغة العبرية.

16 لودفيج بينز صفحة 5.

أما الحساب رقم (إثنين) الذي ورد ذكره أعلاه فقد تم من أجله إفتتاح حساب خاص لدى مصرف الرايخ الرئيسي، تخول بموجبه الجهات الإقتصادية الألمانية المشرفة على القطع أن تمنح لمواطني الدولة الألمانية من اليهود الذين لم يهجروا بعد (ولكنهم راغبون منذ الآن في إقامة ملجأ يهودي لهم في فلسطين) ترخيصا بدفع مبالغ تصل إلى خمسين ألف مارك للشخص الواحد تسجل لصالح حساب المصرف الأنجلو- فلسطين- وهكذا أسست بنتيجة الإتفاقية التي تم التوصل إليها في برلين شركتان: شركة هعفارا في تل أبيب وشركة تقابلها في برلين إسمها بالترو (Paltreu) كما أسس الصهاينة شركة فلسطين للملاحة خاصة بهم، وقد إشترت هذه الشركة الباخرة الألمانية (هوهنتشاين) والتي سميت فيما بعد (تل أبيب) ومن المصادفات الغريبة أن هذه الباخرة عندما أبحرت في أول رحلة لها من المرفأ الألماني بريمرهافن إلى حيفا في بداية سنة 1935 وصلت والصليب المعكوف يرفرف على صاريها بينما كتب على مؤخرتها إسمها الجديد باللغة العبرية، أما قبطانها فكان العضو المسجل في الحزب النازي واسمه ليديج (Leidig).[17]

كان هذا الإتفاق يشمل الأفراد اليهود فحسب الذين برغبون في الهجرة أو الذين يمكن أن يهاجروا في المستقبل إلى فلسطين ولكنه لم يشمل الأموال اليهودية ذات النفع العام ولذلك تحركت الأوساط الصهيونية في فلسطين وألحقت بطلب شمول الإتفاقية لهذا النوع من الأموال. ولهذا الغرض فقد أوصى القنصل الألماني في فلسطين بتاريخ 1933/6/24 بأن تقبل ألمانيا طلبا قدم من (أوسيشكين) صاحب النفوذ الكبير في مؤسسة الكيرين كيميت لإسرائيل (صندوق أرض إسرائيل) بشأن تحويل أموال هذه المؤسسة من ألمانيا إلى فلسطين في إطار إتفاق التحويل وقد أكد القنصل أن قبول مثل هذا الطلب سيكون بمثابة بادرة حسنة من الحكومة الألمانية ودليلا على إستعدادهم لتقديم تنازلات معينة في المجال الإقتصادي. وقد لقيت مقترحات القنصل آذانا صاغية في برلين، إذ أنه تم الإتفاق مع البنك الأنجلو- فلسطيني يمنح الكيرين كايميت الحق بتحويل أموالها.[18]

---

17 كلاوس بولكن.

18 الرايخ الثالث وأرض إسرائيل، دافيد يسرائيلي، باريلان سنة 1974 بالعبرية صفحة 127، 128.

إن من أهم الأهداف التي دعت الحركة الصهيونية لتحقيق مثل هذا الإتفاق هو تمويل هجرة الشباب والعمال من الطبقات الفقيرة غير القادرين على تأمين مبلغ ألف دينار فلسطيني (وهو المبلغ الذي قررته الحكومة البريطانية للسماح للمهاجرين بموجبه من دخول أراضي فلسطين) وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد فازت بإحضار طبقتين مهمتين لعمليات الإستيطان. الطبقة الأولى هي أصحاب رؤوس الأموال والمصانع والمعامل. والثانية هي مجموعة الشباب والعمال الضروريين لتسيير المصانع والمعامل من جهة والقيام بالأعمال العسكرية والعدوانية من جهة أخرى.

وكل هذا أيضا يصب في ساحة تكثيف التواجد اليهودي الصهيوني في فلسطين ليصبح فيما بعد أغلبية قادرة على بسط نفوذها على كل أرض فلسطين سواء من ناحية العدة والإمكانيات أو من ناحية العدد الذي بدأ يتزايد بفضل السياسة الألمانية الفاشية.

لقد سرى مفعول هذه الإتفاقية ست سنوات أي منذ عام 1933 - 1939 وتم تحويل (8.101.490) جنيها فلسطينيا من أموال يهود ألمانيا وهي تعادل (139.568.110) رايخس مارك. ووفقا لأرقام قسم الإحصاء في الوكالة اليهودية فإنه خلال تنفيذ إتفاق التحويل إرتفعت الواردات الألمانية إلى (أرض إسرائيل) بنسبة كبيرة إذ وصلت نسبة الإرتفاع في عام 1933 إلى 10.73% من الإستيراد العام وفي العام 1934 وصل إلى 10.24% وفي عام 1935 وصل إلى 12.30% وفي عام 1936 وصل إلى 14.60% وفي عام 1937 وصل إلى 16.35% وفي عام 1938 وصل إلى 12.71% (أي في الشهور العشرة الأولى فقط).

يخول إتفاق التحويل حق الإمتياز الوحيد على التجارة من ألمانيا خاصة الماكينات ومواد البناء ةالأسمدة الكيماوية. ولكن عندما غزداد النقص في المواد الخام وازداد تسلح الرايخ الثالث وعندما بدأ في خطة السنوات الأربع وكان ذلك في عام 1936 بدأ تقليص الإتفاق ومنع تصدير المنتجات التي تشمل مواد خام كلفت ألمانيا نفسها عملة صعبة أو أن هذه المواد كانت مطلوبة لألمانيا من أجل التسليح[19] ولكن هذا التقليص لم يؤثر على نسبة الواردات الألمانية إلى فلسطين ولم يؤثر أيضا على نوعية المواد المطلوبة لأن

19 المصدر السابق صفحة 124.

شركة هعفارا كانت قد تعاقدت سلفا على كميات كافية منها. ولعل الملفت للنظر أن الإتفاق هذا لم يلغ إطلاقا بصورة رسمية ولكن ظروف الحرب هي التي أدت إلى تقليصه فقط.

بسبب هذا الإتفاق فقد نما الإقتصاد الصهيوني الرأسمالي في فلسطين وليس من قبيل الصدفة أن تكون معظم المشاريع المهمة في إسرائيل اليوم قد تأسس أو أدير من قبل مهاجرين قدموا من ألمانيا. فقد تأسس أكبر مصنع لسبك المعادن وكذلك تأسست صناعة الإسمنت على يد المدير السابق لشركة كهرباء ومياه برلين الدكتور كارل لنداو. كما أسست مصرف ليئومي مجموعة من الشخصيات الألمانية وعلى رأسهم الدكتور ارنولد بارت من برلين والدكتور سيجفريد ساهلهاين من هامبورغ وهربرت فورد من برسلاو. بالإضافة إلى جملة مشاريع إقتصادية ضخمة أسسها وأدارها المهجرون من ألمانيا.[20]

لم تقتصر إتفاقية التحويل على أرض فلسطين بل تجاوزتها- بناء على طلب الوكالة اليهودية وتوصية القنصل الألماني في القدس- لتشمل البلدان العربية المجاورة مثل سورية والعراق ولقد إصطدم هذا التوسيع في البلدان بمعارضة وزارة الإقتصاد الألمانية خوفا من أن يضر هذا بالصادرات المنتظمة لهذه البلاد. أي الصادرات بالعملة الصعبة. لكن الوزارات وافقت في نهاية الأمر وأقيمت لهذا الغرض شركة فرعية لشركة التحويل إستطاعت أن تدخل البضائع الألمانية إلى البلدان المجاورة إلى فلسطين وخاصة العراق.

إختلفت المصادر المعتمدة في تحديد العدد من المهجرين الألمان الذين وصلوا إلى فلسطين في الفترة من -1933 1939 فبعضهم قدر بأربعين ألفا والبعض الآخر بخمسين ألفا والثالث بستين ألفا. ويبدو أن الرقم الأخير هو الأقرب إلى الصحة[21] فإذا أضفنا إلى هذا العدد. أعداد اليهود الآخرين التي قدمت من بلدان أخرى والتي أصبحت بمجموع 210 آلاف يصبح مجموع اليهود المستوطنين في فلسطين في تلك الفترة حوالي أربعمائة ألفا مقابل حوالي تسعمائة وخمسين ألف عربي وهذا يعني أن الأغلبية العربية الساحقة بدأت تنحسر أمام موجات الهجرة المتلاحقة التي سميت فيما بعد (الهجرة الخامسة) أو

20 كلاوس بولكن.

21 مذكرات جولدامائير - دار المسيرة - بيروت سنة 1979 صفحة 120.

(العليا الخامسة) ويعود الفضل إلى هعفارا في أن 35% من مهجري ألمانيا صنفوا تحت بند أصحاب الشهادات التي تثبت كونهم رأسماليين وهذا يفسر إلى حد كبير الإزدهار الإقتصادي الذي شهدته فلسطين في الثلاثينات في الوقت الذي كانت تعاني فيه معظم بلدان العالم من الركود الإقتصادي نتيجة الأزمة الإقتصادية العالمية آنذاك، ولذلك فإن البلاد لم تعرف البطالة بل نمت فيها صناعات كثيرة بسبب رؤوس الأموال الضخمة التي وصلت إليها تطبيقا لاتفاقية هعفارا، إذ أن الأرقام الرسمية المسجلة لدى الوكالة اليهودية التي أشرنا إليها أعلاه لا تمثل حقيقة ما وصل فعلا من أموال ولا بد من القول أن مجموع اليهود الذين غادروا ألمانيا في نفس الفترة بلغ 135 ألفا، لم يصل منهم إلا في حدود ستين ألفا إلى فلسطين والشؤال الذي لا بد من الإجابة عليه هو لماذا لم يرحلوا جميعا إلى فلسطين؟.

لماذا كانت هعفارا؟

أثارت الإتفاقية طيلة ست سنوات جدلا في الأوساط الألمانية الحزبية والحكومية والشعبية، وقد تعصبت كل فئة لرأيها وموقفها محاولة في النهاية فرضه ليكون السياسة الرسمية للحكومة تجاه الحركة الصهيونية وقد أثرت في وجهات النظر المختلفة عوامل آيدولوجية واقتصادية وسياسية جعلت الخلاف حاد وبلورته في إتجاهين إثنين. وقبل أن نخوض في بحث تفاصيل آراء ومواقف الجهات المختلفة سنرى ما هي المبررات التي أدت إلى عقد الإتفاقية من وجهة النظر الصهيونية:

1. كان أثر المقاطعة التي فرضت ضد السلع الألمانية ملموسا في أوساط إقتصادية واسعة مما أخاف الحكومة من الفقدان المستمر لأسواق التصريف وقد أرادت الحكومة من الإتفاقية مع الجهات الصهيونية أن تحدث تأثيرا مناسبا لدى يهود البلدان الأجنبية وخاصة أمريكا، فضلا عن ذلك فإن ألمانيا قلقة على مصير تجارتها مع الشرق فيما لو قام يهود فلسطين بتنظيم المقاطعة داخل البلدان المجاورة.
2. في مقدمة الأهداف التي سعت إليها السياسة الإقتصادية الألمانية خلق فرص عمل من خلال التشغيل الإضافي للصناعة الألمانية، ومن ثم القضاء على البطالة التي كانت متفشية في ألمانيا وغيرها.

3. كانت فلسطين البلد الوحيد الذي يمكن توجيه هجرة مستمرة وذات حجم كبير إليه وكانت تسهيلات التحويل للطبقة الوسطى اليهودية تعني تعزيز هجرة العائلات وتقوية قدرة البلاد بطريقة غير مباشرة على إستيعاب العمال الذين ربطت حكومة الإنتداب هجرتهم بطاقة الإقتصاد في فلسطين على استيعابهم.
4. العزلة السياسية الخارجية التي فرضت على النظام النازي منذ أن تصدر الحكم في ألمانيا.
5. إحتمال قيام بولنده بحرب وقائية ضد النظام النازي.
6. عدم وضوح السياسة الداخلية التي يزمع النظام إتباعها[22].

لكل هذه الأسباب- كما ترى المراجع الصهيونية- أقدمت ألمانيا الهتلرية على عقد إتفاقية هعفارا. ويبدو من خلالها وكأن النازية أرادت أن تحل مشاكلها الإقتصادية وغير الإقتصادية فقط، بصرف النظر عن الأهداف السياسية المشتركة التي تربط النظريتين (النازية والصهيونية) وبصرف النظر عن تطلعات كليهما التوسعية. حتى أن هذه المراجع تعتبر الإتفاقية مبادرة شخصية ومن هوفين المدير العام للمصرف الإنجليزي الفلسطيني ولذلك كثيرا ما يطلق عليها إتفاقية هوفين لتبقى المسؤولية كلها محصورة بشخص واحد وحتى تظهر الإتفاقية أنها إتفاقية شخصية لا علاقة للمؤسسة الصهيونية بها. والواقع أن المفاوضات التي دارت قبل توقيع الإتفاقية كانت بإشراف الإتحاد الصهيوني لألمانيا وبوجود حاييم ارلوزوروف الذي كان يشغل وقتئذ منصب رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية وأن المؤتمر الصهيوني العالمي (التاسع عشر) الذي عقد في لوزان عام 1936 وافق عليها واعتمدها.

كذلك فإن إشارة المصادر الصهيونية وتأكيدها على أن ألمانيا النازية عقدت هذا الإتفاق من أجل التخلص أو تجاوز المقاطعة اليهودية العالمية ضدها يعتبر مخالفا للواقع لأن المقاطعة لم تكن تحمل طابع الشمولية. وقد أشار إلى هذا ناحوم جولدمان إذ قال[23]: (إن كثيرا من الفئات اليهودية رفضت المشاركة في المقاطعة إما لأنه صدف أن كانت شركات يهودية كثيرة هي الوكيلة لأعمال

22 دافيد يسرائيلي صفحة 135.
23 حياة ناحوم جولدمان بقلمه - كولون برلين سنة 1970 صفحة 196.

المؤسسات التجارية والألمانية أو لأن بعض المنظمات اليهودية وتلك الموجودة في الولايات المتحدة بالتحديد، أخذت موقفا مفاده أنه من غير الوطنية القيام بتنظيم مقاطعة ضد بلد بينه وبين بلده (أمريكا) علاقات تجارية طبيعية.

وحجة الحركة الصهيونية بأن فلسطين هي الأكثر إستيعابا للمهاجرين اليهود وبشكل منظم من غيرها من البلدان ولذلك عمدت السلطات الألمانية إلى عقد الإتفاقية لتوجيه الهجرة إليها هي حجة ضعيفة جدا لأن اليهود الذين وصلوا إليها لا يشكلون أكثر من ⅛ يهود ألمانيا فقط وكذلك يشكلون أقل من نصف اليهود الذين غادروا ألمانيا في الفترة ما قبل الحرب بينما توجهت الأغلبية إلى بلدان أوروبا الغربية وأمريكا. أما الإستفادة من القطع النادرة كدافع لإبرام الإتفاقية فإنه من السذاجة التفكير بأن دولة عظمى مثل ألمانيا- تدخل حربا بعد سنوات ضد العالم أجمع- بحاجة إلى قطع نادرة في حدود ثلاثة ملايين مارك، هذا مع العلم أن هذه الأموال كانت تدفع بالقطع المحلية وليس بالقطع النادرة وتستبدل بالبضائع والمعدات والمصنوعات الألمانية التي ربما كان قسم منها مستوردا بالقطع النادرة، وهذا يعني أن العملية من الناحية الإقتصادية هي خسارة بحتة لألمانيا.

هعفارا بين معارضيها ومؤيديها من الألمان:

نوقشت قضية هعفارا بين الأوساط الألمانية من خلال زاويتين أولاهما المسألة اليهودية التي تعتبر بالنسبة للنازية مسألة عقائدية لا بد من حلها والخلاف هنا هل تحل من خلال خروج اليهود إلى فلسطين والتخلص منهم بهذا الأسلوب أم بقائهم رهائن لدى ألمانيا يمكنها بواسطة إحتجازهم أن تبتز اليهودية العالمية ودول الغرب بشكل عام. أما الزاوية الثانية فهي زاوية سياسية إقتصادية تتعلق بالوضع العام في فلسطين والمنطقة العربية ومصلحة ألمانيا في مصادقة العرب أو معاداتهم، لأن إستمرار مثل هذه الإتفاقية يجعل موقف العرب صعبا من الناحية البشرية حيث سيزداد عدد اليهود بشكل يطغى على العرب، ومن الناحية الإقتصادية حيث أن الإتفاقية تعطي دعما مباشرا للجالية اليهودية في فلسطين، ومن الناحية السياسية تعني الإتفاقية أن ألمانيا تقف إلى جانب إقامة دولة يهودية من خلال إصرارها على تجميع اليهود في فلسطين، يضاف إلى كل هذا موقف الجالية الألمانية والتي تعد نحو ألفي شخص بدأوا يرون أن حكومتهم فضلت

اليهود في تعاملها الإقتصادي مع المنطقة عليهم، من خلال منحها لليهود بموجب إتفاقية هعفارا إمتيازا لتصريف البضائع الألمانية ليس في فلسطين فحسب بل في المنطقة العربية المجاورة لها أيضا ضمن هذا الجو من الجدل السياسي الحاد نوقشت إتفاقية هعفارا واستمر النقاش فترة طويلة من الزمن إلى أن حسمه هتلر فيما بعد وانتصر أصحاب الرأي القائل باستمرار الإتفاقية دون النظر لأي إعتبار آخر مهما كان.

أ. الجالية الألمانية في فلسطين:

لم تكن هذه الجالية راضية إطلاقا عن إتفاق التحويل منذ بداية تنفيذه، ولم يسلموا بحقيقة أن مؤسسة يهودية حصلت على إمتياز التجارة الألمانية لفلسطين، حتى أن مندوب هؤلاء وهو القنصل الألماني في يافا (ت. فيرست)(T.werst) أثار في أحد لقاءاته في وزارة الخارجية الألمانية عام 1937 سؤالا حول ما إذا كان هتلر مستعدا لأن يسمح ببقاء اليهود في ألمانيا (تحت المراقبة) بدلا من إرسالهم إلى فلسطين، وقد إستعان هؤلاء الألمان سكان فلسطين (تمبلرم) في معارضتهم لاتفاق التحويل برابطة الألمان من سكان الخارج وهذه الرابطة كانت برئاسة (هجوليتر بوهلا) الذي عمل في إطار الحزب النازي وفي عام 1936 إستعانوا بتأييد القنصل الألماني الجديد في القدس (دوهل)(Deohle) الذي عارض هو الآخر إتفاق التحويل لأنه أعطى اليهود إمتياز التجارة مع فلسطين وقد وجد هؤلاء الألمان أيضا في عرب فلسطين حليفا طبيعيا إذ إنهم متحدون في معارضتهم لهذا الإتفاق لأنه يساعد على هجرة اليهود وتقوية (اليشوف) وقد أشار القنصل (دوهل) في رسائله العديدة إلى وزارة الخارجية بشأن تغيير أو إلغاء التحويل لأن بقاءه سيصيب الرايخ الثالث بفقدانه تأييد العرب.[24] كما قدمت مذكرة من أحد العاملين في هيئة الحزب النازي التي تعنى بشؤون المواطنين الألمان في الخارج قدم إلى وزارة الخارجية أكد فيها أن إتفاقية هعفارا تضع كامل الصادرات الألمانية إلى فلسطين في خدمة تحويل رؤوس أموال اليهود من ألمانيا إلى فلسطين لذلك فإن أولئك البائن الآريين اليهود في فلسطين، الذين يستوردون البضائع الألمانية مرغمون على دعم هجرة اليهود وأضافت المذكرة بأن التحويلات بموجب الإتفاقية تعادل إقتصاديا تصريف البضائع بدون مقابل إقتصادي

24 مجلد 7 وثيقة رقم 577 بتاريخ 1938/1/14 و 587 تاريخ 1938/11/12.(D وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية، السلسلة (

سواء بالقطع الأجنبي أو على شكل بضائع. وهذا يعني سياسيا دعما هاما لتشكيل دولة قومية يهودية بمساعدة رأس مال ألماني.[25]

ب. الدوائر السياسية والإقتصادية في برلين:

عارضت الإتفاقية بشدة الدائرة السياسية في وزارة الخارجية وطالبت بإلغائها أو تعديلها لأنها حسب رأي الدائرة- تخلق ظروفا للألمان في فلسطين والعرب- لا يمكن تحملها ولدى إستمزاج رأي وزارة الإقتصاد الألمانية تبين أنها لا تؤيد التعديل فحسب بل تؤيد إلغائها واستبدالها بنظام جديد. ففي مذكرة قدمها قسم الشؤون الداخلية في بوزارة الخارجية أشار أيضا إلى أن إتفاقية هعفارا سببت نزاعا حادا في دوائر الدول المختلفة، وأن هذا القسم طالب منذ فترة طويلة بإلغاء الإتفاقية للأسباب التالية[26]:-

1. بالنظر للقوانين الصارمة الخاصة بالقطع الأجنبي فإن إتفاقية هعفارا تقدم لليهودي الألماني الإمكانية الوحيدة لنقل رأسماله إلى الخارج.
2. يتعزز بناء دولة يهودية بتدفق الرأسمال الألماني إلى فلسطين بأيد يهودية وهذا حتما ليس في الصالح الألماني ما دام لن يؤدي إلى إستيعاب يهود العالم، ولكنه فقط سيقدم لهم في يوم ما مكسبا لا يحصى من القوة السياسية والدولية كما فعل الفاتيكان بالنسبة للكاثوليكية السياسية.
3. لا مصلحة لنا في تشجيع هجرة اليهود الأغنياء الذين يأخذون معهم أموالهم من ألمانيا.

وفي رأي جميع المؤسسات- تتابع المذكرة- وبوجه خاص المؤسسات الحزبية باستثناء وزارة الإقتصاد ومكتب مراقبة القطع الأجنبي أنه قد حان الوقت وأصبح بصورة ملحة لسد هذه الفجوة في قوانين القطع الأجنبي الألماني التي يتسرب من خلالها رأس المال الألماني إلى الخارج في أيد يهودية. وبناء على ذلك فإن هناك قضايا مطروحة لا بد من أن ترفع للفوهرر للإجابة عليها:-

---

25 المصدر السابق وثيقة رقم 562 تاريخ 1937/6/5.

26 المصدر السابق وثيقة رقم 580 تاريخ 1935/3/10.

أ. هل ما يزال ممكنا الدفاع عن أن فكرة تركيز هجرة اليهود الأغنياء إلى فلسطين والمساهمة نتيجة لذلك ببناء دولة يهودية في صالح ألمانيا؟

ب. أليس ضروريا الإعلان فورا عن إنهاء إتفاقية هعفارا على الرغم من أن المصدرين الألمان المستفيدين يدافعون عن إبقائها باستخدام حجج سياسية منمقة لأن هؤلاء المصدرين يحققون ربحا كبيرا مع أنه ليس قطعا أجنبيا؟

إستمرت المعارضة ترفع صوتها وتقدم الحجج والبراهين على صحة موقفها فترة طويلة من الزمن مؤكدة أن الإتفاقية ليست في مصلحة ألمانيا، سواء من الناحية الإقتصادية إذ أنها توفر لليهود نقل أموالهم دون ان يستفيد من ذلك الإقتصاد الألماني، بل إن هناك خسارة واضحة، أو من الناحية السياسية. لأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ستؤول حتما إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين وهذا يتناقض تناقضا كاملا مع السياسة الألمانية (الرسمية المعلنة) كذلك فإن الإتفاقية فوق كل ذلك تضر ضررا شديدا بمصالح الجالية الألمانية في فلسطينوأن الوضع الناشئ عن تدفق الهجرة إلى فلسطين سيجعل موقفها حرجا تجاه العرب وسيخلق عداء واضحا لها، لذلك فإن الأصوات المعارضة للإتفاقية لم تجد إطلاقا ما يبرر قيامها أو إستمرارها وطلبت بشدة بضرورة إلغائها أو إستبدالها بأخرى أكثر توازنا وضمانا للمصلحة الألمانية.

ج. المؤيدون:

كان لإنفجار الأزمة الفلسطينية عام 1936 ووصول لجنة بيل عام 1937 وتقديمها مخططها الرامي إلى إقامة دولتين في فلسطين إحداهما يهودية والأخرى عربية، واستمرار الإنتداب البريطاني على الأماكن المقدسة، كان لهذين الحدثين أثر كبير على على ألمانيا من أجل إعادة فحص سياستها الفلسطينية التي مارستها حتى ذلك الحين، نظرا لأن ألمانيا ساهمت في تطور الأزمة الفلسطينية من خلال سياستها في دعم الهجرة اليهودية، وعندما حاول المستشار تشومبرج- رئيس قسم في وزارة الخارجية الألمانية- تحديد موقف دائرته بتاريخ 21 كانون الثاني 1936 بالتأكيد على أن قيام دولة يهودية في فلسطين ليس من مصلحة ألمانيا وبالتالي لا بد من ضرورة تشتيت اليهود، وبالرغم من أنه لم يقدم أية مقترحات عملية لإعادة النظر

في السياسة الألمانية إلا إن رئيس قسم الشرق بالوزارة لم يقبل مثل هذه الأفكار مؤكدا أن قضية الموقف الألماني من إقامة دولة يهودية في فلسطين ليست ملحة وأن مشكلة إقامة هذه الدولة لا تزال تخضع لتذبذبات تتغير من شهر لآخر, وهذا يجعل المناقشة النظرية لهذه المسألة صعبة وغير مجدية في المدى المنظور.[27] لذلك فإن إنفجار الأزمة في نيسان 1936 والتي بدأت بحوادث بين العرب واليهود وانتهت بإضراب عربي عام صاحبته صدامات مسلحة بين الثوار العرب والقوات البريطانية لم يفض إلى مناقشة الموقف الألماني حيال القضية واكتفت الصحافة الألمانية بإبراز رغبة ألمانيا في عدم التدخل في التطور الذي تشهده فلسطين.

ولما حاول قائد الإنتفاضة العربية فوزي القاوقجي إقناع المبعوث الألماني إلى بغداد فريتز جروبا بضرورة دعم هذه الإنتفاضة بالمساعدات الألمانية رفض جروبا ذلك وعلل رفضه بأن الرايخ الألماني يعلق أهمية كبيرة على العلاقات الحسنة مع إنجلترا ولا يستطيع دعم إنتفاضة عربية موجهة ضدها- رغم مشاعر الود تجاه عرب فلسطين-.

ومن جهة أخرى ففي نهاية كانون الثاني 1937 شرح معاون مدير القسم السياسي في وزارة الخارجية الألمانية (فون فايسزيكسر) أمام سلطات الرايخ والحزب طبيعة المصلحة الألمانية المبدئية في هجرة اليهود من ألمانيا وإن كان يرى أن تفتيت اليهود في أكثر من مكان يعتبر أقل خطرا على السياسة الألمانية. إلا أن تحفظه هذا لم يلبث أن إصطدم بمعارضة القسم التجاري السياسي في وزارة الخارجية حيث علق المستشار (كلاوديوس) على شرح (فايسزيكسر) بملاحظة تقول: (إن تفتيت الهجرة اليهودية تلحق بالمصالح الألمانية ضررا أكبر من الضرر الذي ينزله بها تجمعهم في فلسطين لأن يهود ألمانيا خارج فلسطين هم الذين ألحقوا الأذى الأكبر بها.[28]

وفي 24 أيار 1937 أرسل وزير خارجية الرايخ (نيوراث) التوجيهات التالية إلى ممثليات الرايخ في كل من لندن وبغداد والقدس وروما. ونلاحظ أن هذه

27 السياسة الألمانية في الصراع على فلسطين من سنة -1937 1938 أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه- من كلية الفلسفة بجامعة فريدريك ويلهلم, بون سنة 1977 تأليف فردريك لويبيلرن.

28 المصدر السابق.

التوجيهات تختلف جذريا من بلد إلى آخر بشكل فاضح يدل على محاولات ألمانيا النازية في رسم تكتيك سياسي يضمن مصالحها لدى كل الأطراف صاحبة المصلحة في نزاع فلسطين:-

1. كان التوجيه المرسل إلى لندن يقول: يجب على السفارة الألمانية أن تؤكد للحكومة البريطانية صحة إفتراض لجنة بيل وأن ألمانيا سترحب لأسباب تتعلق بتعزيز هجرة اليهود منها بتشكيل دولة فلسطينية (يهودية) أي قيام كيان دولة يقودها اليهود تحت سيادة الإنتداب البريطاني.
2. وفي بغداد: على المبعوث الألماني في العراق أن يؤكد بقوة تفهم ألمانيا للمطامح القومية للعرب، دون أن يقدم وعودا محددة بأي حال من الأحوال.
3. وفي روما: على السفارة في روما أن تبرز أمام الحكومة الإيطالية التفهم الألماني للسلوك الإيطالي حيال الإسلام.

أما بالنسبة لتوجيه قنصل ألمانيا في القدس فقد أرسلت له الملاحظة التالية: (إن قرارات لاحقة ستتخذ بصدد المسائل المطروحة في تقرير القنصل العام بتاريخ 1937/3/22 حول إعادة تنظيم العلاقات السياسية الإقتصادية وقضايا الهجرة إلى فلسطين). وقد أغفل التوجيه مسألة هعفارا كليا.[29]

نلمس خلاصة مؤيدي الإتفاقية بوضوح في نشرة وزارة الخارجية المؤرخة في 22 حزيران 1937 حيث تقول إحدى فقراتها:[30] (حتى الآن كان تشجيع هجرة اليهود من ألمانيا إلى الحد الأقصى هو الهدف الأساسي للسياسة الألمانية تجاه اليهود؟

وبغية تحقيق هذا الهدف تقدم التضحيات حتى في سياسة القطع الأجنبي وعن طريق إتفاقية تحويل مع فلسطين (إتفاقية هعفارا) يسمح لليهود المهاجرين إلى فلسطين بغية تأمين أسباب العيش، الحصول على ترخيص بتحويل مبالغ محددة على شكل صادرات ألمانية إضافية إلى فلسطين، إن هذا الموقف الألماني الذي أملته متطلبات السياسة الداخلية يشجع عمليا

29 المصدر السابق.
30 وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية - وثيقة رقم 564.

إندماج اليهود في فلسطين ويسرع بالتالي تطور دولة يهودية في فلسطين وقد يساهم هذا في تعزيز وجهة النظر القائلة بأن ألمانيا تؤيد إقامة دولة يهودية في فلسطين).

ولقد تكرر المعنى تقريبا في مذكرة القسم السياسي السابع[31] بتاريخ 1937/8/7 ولكن هذه المذكرة إحتوت تحليلا لمزايا الدولة اليهودية التي ستقوم حتما -حسب رأيها- عاجلا أم آجلا وحسب تقريرلجنة بيل أم بصيغة أخرى. وهذه المزايا هي:-

أ. تخليص الرايخ الألماني من عدد كبير من المهاجرين اليهود الذين ما يزال من الواجب العناية بهم حتى اليوم.
ب. تجعل في الإمكان عندما تهاجم ألمانيا من قبل اليهود أن تتعامل (ألمانيا) مع ممثلين رسميين وليس كما هو الحال الآن مع عناصر مجهولة وبالتالي غير مسؤولة حيث يملك اليهود بشكل خاص الكثير منها تحت تصرفهم.

لم تكن الخارجية الألمانية وحدها تتبنى هذه المواقف الخاصة بدعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالإبقاء على إتفاقية هعفارا- تلك الإتفاقية التي سينتج عنها حتما إقامة دولة يهودية- وإنما شاركها الرأي أيضا وزارة الإقتصاد التي تبنت الإتفاقية منذ البداية وشملتها باهتمامها ودعمها. واستمرت في موقفها هذا بقوة لأنها كانت ترى أنها تنفذ سياسة عليا في التخلص من اليهود بشكل شامل.[32]

ونشير بهذا الصدد إلى رسالة مكتب الرايخ للإشراف على القطع الأجنبي الموجهة إلى وزارة الخارجية مرفقة بتقرير عن نتائج الهجرة اليهودية من ألمانيا والتي يؤكد فيها مرسلها حرصه الشديد على التمسك باستمرار نشاطات إتفاقية هعفارا وذلك من خلال الأرقام التي يطرحها في التقرير المرفق مع الرسالة.[33]

---

31 وثائق حول السياسة الألمانية - وثيقة رقم 571.
32 فردريك نوبيلرت
33 وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية - وثيقة رقم 575.

تلك كانت خلاصة آراء المؤيدين لاستمرار الإتفاقية وتوابعها، الخاصة بتأييد توجيه الهجرة إلى فلسطين، وبصرف النظر عن الحجج التي قدمها المعارضون أو تلك التي قدمها المؤيدون فإن الحقيقة وراء مثل هذا القرار لم تكن أبدا نابعة من حجج أي من الطرفين وإنما هي قرار الفوهرر الذي ترك الأجهزة تتصارع فترة طويلة من الزمن دون أن يتدخل لحسم هذا الصراع إلى أن حان الوقت، ففي 27 كانون الثاني سنة 1938 وردت ملاحظة عابرة في مذكرة من نائب مدير دائرة السياسة الإقتصادية تشير إلى رأي الفوهرر في موضوع الهجرة تقول: (إذا كان الفوهرر قد قرر أن يتواصل توجيه المهاجرين اليهود نحو فلسطين فإن مناقشة لاحقة غير ضرورية).

إن الذي يمكن أن نستنتجه من الحوار الساخن الذي دار بين المؤسسات النازية الرسمية هو طبيعة السياسة التي يتبعها هذا النظام سواء مع خصومه أو مع حلفائه وطريقته في التعامل ومن ثم نظرته إلى المسألة اليهودية والقضية الفلسطينية:-

1. مهما كان موقفه من اليهود معاديا- وهذا صحيح- إلا أنه كان صاحب الفضل الأساسي في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. وهو الذي أتاح للصهاينة بناء إقتصاد متين قوي من خلال تسهيله لأصحاب رؤوس الأموال نقل أموالهم إلى فلسطين. والملاحظ أن كل هذه التسهيلات كانت تعطى فقط لليهود الألمان الذين يرغبون في الهجرة إلى فلسطين دون غيرها. لذلك فإن عداءه لليهود لم يكن ليغضب الصهاينة بل على العكس تماما فقد لاقى موقفه هذا الدعم الصهيوني والتحريض الصهيوني للإستمرار فيه لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يرحل اليهود من ألمانيا وإذا رحلوا فلن يرحلوا إلى فلسطين.
2. ظن بعض العرب- بسذاجة- إن النظام النازي المعادي لليهود سيقف إلى جانب قضاياهم العادلة. وباعتبار أن الإنكليز يدعمون مطامع الصهيونية في فلسطين فإن الألمان سيدعمون الفلسطينيين العرب. إلا أن كل ممارسات الألمان النازيين كانت تدل على الإصرار والتصميم على إقامة دولة يهودية في فلسطين بصرف النظر عن كل التصريحات والمذكرات التي كانت تصل إلى مسامع الزعماء العرب. لأن ما كان من تصريحات ومذكرات للأطراف الأخرى كان يتناقض تماما معها. ولاحظنا

كيف أن المذكرات التي تصل إلى لندن أو روما تختلف كليا عن تلك التي تصل إلى القدس أو بغداد. كذلك لاحظنا الإصرار من الجانب الألماني على أن إتفاقية هعفارا ستؤدي بالنتيجة الحتمية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.

3. لم تكن إتفاقية هعفارا مفيدة للألمان من الناحية الإقتصادية أو المالية أو الإجتماعية. لأنها في النتيجة كانت في صالح الرأسمال الصهيوني، فهي لم توفر القطع النادر للخزينة كما أنها لم تكن تكسر طوق المقاطعة مثلما إدعت بعض الأوساط ولم تكن بالحجم الذي يمكن أن يقضي على البطالة وإذا قيل أن السبب الأساسي هو التخلص من اليهود باعتبار أن أولويات السياسة النازية القضاء على اليهود، فالرد على ذلك أنها فعلا تخلصت من أغنياء اليهود فقط ولم تتخلص من فقرائهم وكادحيهم وعمالهم الذين بقوا في ألمانيا عبئا عليها. إن التفسير الوحيد لإصرار السلطات العليا النازية على إستمرار هذه الإتفاقية ضاربة بعرض الحائط المصالح الإقتصادية ومصالح الجالية الألمانية في فلسطين هو وجود إتفاق بين الرايخ من جهة والقيادات الصهيونية من جهة أخرى على إقامة وطن قومي يهودي يرتبط بالإمبريالية الألمانية ويكون لها في منطقة الشرق الأوسط مخلب قط يحقق لها مصالحها وتعبر من خلاله للوصول إلى مطامعها التوسعية.

د. هعفارا دولية من خلال إقتراح شاخت:

مع تفاقم مشكلة اللاجئين، بعد إحتلال النمسا بادر رئيس الولايات المتحدة روزفلت إلى عقد مؤتمر دولي لبحث مشكلة لاجئي ألمانيا. عقد المؤتمر في التاريخ من 6-15 تموز 1938 في إيفيان بفرنسا. إشترك به ممثلون عن 31 دولة كانت هذه في الواقع الساعة الملائمة والممتازة لألمانيا لتنظيم هجرة من ألمانيا وتوسيع إطار (التحويل) للمناطق خارج فلسطين. إلا أن ألمانيا رفضت الإشتراك في مؤتمر إيفيان معلنة أنها غير معنية بحل مشكلة اللاجئين اليهود أو بهجرة منظمة أو إخراج أموال اليهود من ألمانيا. وفي مذكرة إلى القنصليات والبعثات الدبلوماسية الألمانية بتاريخ 1938/7/8 أعلن (فايتسكر) المدير العام لوزارة الخارجية، أن السفير البريطاني في برلين طرح على وزارة الخارجية الألمانية السؤال عما إذا كانت ألمانيا مستعدة للتعاون في إخراج الأموال اليهودية وقد نقل (فايتسكر) المدير العام لوزارة الخارجية إلى السفير

البريطاني إجابة وزير الخارجية الألمانية (أن ألمانيا ترفض من حيث المبدأ التعاون مع أية دولة أخرى بالنسبة لقضية يهود ألمانيا. هذه مشكلة داخلية). ثم بعث (فايتسكر) بإرشاداته إلى الدبلوماسيين الألمان في الخارج بأن عليهم الإجابة بالنفي حول ما إذا كانت ألمانيا مستعدة لتسهيل إخراج أموال اليهود وأن تعاون ألمانيا مع الدول الكبرى في إيفيان غير وارد. وفي 1938/10/30 قدم فايتسكر مذكرة إلى ريبنتروف مقدمة من السفير الأمريكي وفيها إقتراح باستقبال (رابلي) مندوب أمريكا في مؤتمر إيفيان من أجل بحث موضوع هجرة اليهود وإخراج أموالهم، كان جواب ريبنتروف بأن الزيارة غير واردة.[34]

ولكن في كانون الثاني (يناير) سنة 1939 عرضت شاخت مشروعا لهجرة منظمة لليهود من ألمانيا وأخذ أموالهم معهم وقد تفاوض حول هذا الموضوع مع الموظف الأمريكي رابلي ومع موظفي سيتي بنك في لندن ويتلخص المشروع فيما يلي: (هناك ستمائة ألف يهودي في ألمانيا (وفقا لقوانين نورمبرغ) رحل منهم 150 ألف معيل خلال ثلاث سنوات وأن الأموال اليهودية في ألمانيا تقدر بـ (6) مليار مارك. يقام صندوق لتمويل الهجرة اليهودية، وعلى اليهود خارج ألمانيا الحصول على قرض قدره (1.5) مليار مارك بالعملة الصعبة، هذه الأموال تستغل لشراء بضائع ألمانية، وأكد شاخت في مشروعه أنه ينبغي عدم إعتبار ألمانيا مسؤولة عن تسديد هذا القرض وإنما اليهود المهاجرين أنفسهم). كان شاخت يقصد من وراء هذه العملية جمع عملات صعبة من أجل تمويل عملية التسلح في ألمانيا. ولكن كما ذكرنا قبل قليل، ففي الوقت الذي كان شاخت يروج لمشروعه الإقتصادي البحت كان وزير الخارجية الألمانية يؤكد على الرفض المطلق لمقابلة رابلي الموظف الأمريكي ومندوب أمريكا في مؤتمر إيفيان.

وترى أوساط صهيونية أنه وبرغم التأكيدات المستمرة على أن السياسة الألمانية معنية بالتخلص من اليهود في ألمانيا فإنها لم تتعاون بشكل جاد في السماح لليهود بالخروج من خلال إتفاقية على نمط إتفاقية إيفيان. ومع ذلك تشكو إحدى مذكرات وزارة الخارجية الألمانية الدورية من أن الجهود المكثفة التي بذلت خلال خمس سنوات لم تحدث تقدما في مسألة هجرة

34 الرايخ الثالث وأرض إسرائيل - ديفيد يسرائيلي صفحة 145 . وأيضا: the final solution, grald retiling new York 1961 page 19

اليهود. كما أن قوانين نورنبرغ وغيرها من القوانين التي كانت موجهة ضد اليهود لم تساهم مساهمة فعالة في هجرتهم بل على العكس. ففي كل فترة هدوء نسبية كان يلاحظ أن هناك تيارا من اليهود عائدين إلى ألمانيا وحتى عام 1938 -تتابع المذكرة- لم تضعف إرادة اليهودي في الإستمرار في الحفاظ على مركزه ومكانته في إنتظار (أوقات أفضل) ويعتقد كاتب المذكرة أن اليهودية العالمية لم تكن راغبة حقا في هجرة جماعية ليهود ألمانيا ويهود البلدان الأخرى دون ضمان دولة يهودية لهم.[35]

هذا وقد ورد في المذكرة أيضا جوابا عن سؤالين قد يطرحان على الدبلوماسية الألمانية لتكون الإجابة واضحة ومحددة وموحدة وذلك فيما يتعلق بموضوع هجرة اليهود وهما:-

أ. كيف يمكن أن تتم عملية تمويل وتنظيم اليهود؟ إن ألمانيا تتوقع مساعدة من يهود العالم في (تنشيط حركة الهجرة).
ب. ما هو الإتجاه الذي ينبغي أن تتوجه إليه هجرة اليهود؟ لا بد من مهاجمة الدول المشتركة في مؤتمر إيفيان لأنها رفضت إستقبال مهاجرين يهود بأعداد كبيرة.[36]

واصل (فولتان) الذي كان مساعدا لشاخت ثم أصبح في عام 1939 أحد كبار الموظفين في الوزارة المسؤولة عن تنفيذ خطة السنوات الأربع التابعة لـ (غورنغ) واصل المفاوضات مع أصحاب بنوك في الخارج حول إتمام عملية (تحويل) عالمية وحول مشروع شاخت لإخراج ممتلكات اليهود من ألمانيا بواسطة بضائع من أجل تشجيع الصادرات الألمانية والحصول على العملات الصعبة، وكانت هذه المفاوضات تدور بموافقة غورنغ شخصيا، وأخيرا في الأول والثاني من شهر فبراير سنة 1939 أعد مشروع إتفاق بين فولتان ورابلي لإخراج الأموال اليهودية من ألمانيا وقد كان متطابقا تماما مع مشروع شاخت الأصلي لكنه أصغر حجما ونشرت جريدة نيويورك تايمز بتاريخ 1939/2/4 تفاصيل المشروع، إلا إن هذا المشروع فشل.

---

35 ديفيد يسرائيلي صفحة 47.

36 ديفيد يسرائيلي صفحة 148.

يعود سبب الفشل هذا - من وجهة نظر الأوساط الصهيونية- إلى تصرفات هتلر المتمثلة في إحتلال تشيكوسلوفاكيا في آذار سنة 1939 وفشل سياسة الوفاق والتهديدات الموجهة لبولونيا، ثم تعود نفس الأوساط لتقول أم سبب الفشل يعود إلى أن السياسيين الغربيين إعتبرا المشروع محاولة للطلب من شعوب العالم دفع فدية مقابل الإفراج عن الرهائن وتبديل (هذا المأساة الإنسانية بقضية تصدير).[37]

إلا أن شاخت نفسه يلقي باللائمة على الدول الغربية ويعتبرها هي السبب الأساسي في وضع العراقيل بوجه مشروعه، ففي آخر خطاباته عام 1939 قال أن القوى الغربية أضاعت فرصة عظيمة برفضها مشروعه حين كان يحظى بدعم هتلر وتأييده ولو نفذ هذا المشروع لما فقد يهودي ألماني واحد حياته.[38]

ونظرا لأن فلسطين لم تكن لتستوعب كل اليهود الخارجين من البلدان التي تقع تحت سيطرة النازية، فقد كان هناك إقتراح بنقلهم إلى مدغشقر على أن تمول نقلهم وإقامتهم مجموعات أصحاب الملايين اليهود.[39]

إلا أن هذه الإقتراحات جميعا التي كانت ضمن مشروع شاخت لم يكتب لها النجاح ولم تر النور. والسؤال الذي لا بد أن نطرحه هو، لماذا نجحت إتفاقية هعفارا الفلسطينية بينما فشلت هعفارا الدولية؟ مع العلم أن الهدف الظاهر لكلا الإتفاقيتين هو إنقاذ اليهود. وسؤال آخر يرد أيضا يتعلق بالجهات التي وقفت في طريق تنفيذ هعفارا الدولية. أو من هي الجهات صاحبة المصلحة في تعطيل مثل هذه الإتفاقية؟ للإجابة على هذه الأسئلة نورد هنا النقاط التالية:-

1. ترى اليهودية العالمية أن أية هجرة لغير فلسطين (الوطن القومي اليهودي) هي غير ذات فائدة أو جدوى، ولذلك فإنها لن تكون مشجعة للخوض فيها أو مناقشتها لأن مثل هذه الهجرة ستصيب المشروع الصهيوني بالضرر الفادح.

---

37 ديفيد يسرائيلي صفحة 150.

38 Gerald retiling, page 20.

39 Ibid page 20.

2. إن مشكلة إنقاذ اليهود -بصفتهم الإنسانية- لا تشغل بال الحركة الصهيونية طالما أن هذا الإنقاذ لن يحقق الهدف المنشود وبالتالي فإن أية تضحية في غير هذا المنحى تذهب أدراج الرياح.
3. كان واضحا من نتائج مؤتمر إيفيان أن الدول الغربية التي إشتركت فيه لم تكن راغبة في استقبال أعداد من المهاجرين اليهود على أراضيها ولذلك فإن كل دولة من هذه الدول تذرعت بأسباب لتؤكد أنها غير قادرة على إستقبال أحد. وطالما أن هذه الدول غير راغبة في ذلك فإن المنظمات الصهيونية واليهودية العالمية لا تستطيع أن تخرج على إرادتها، هذا إذا إفترضنا أن لديها الرغبة في ذلك.
4. نستطيع أن نرى من مجريات الأحداث أن هتلر كان صادقا في تنفيذ هذا المشروع -ليس لأسباب إنسانية- لأنه كان بحاجة ماسة إلى العملة الصعبة التي سيمول بها أغراضه التسليحية لدخول الحرب. وهذا يعكس إتفاقية هعفارا الفلسطينية التي لم يكن الموضوع الإقتصادي عنصرا هاما في عقدها.

القسم الثاني

الإجراءات النازية للتعجيل بالهجرة

لم يكن سهلا -رغم كل الإغراءات التي قدمت لليهود الألمان- أن يقبلوا إقتلاعهم من أوطانهم التي عاشوا فيها مئات السنين، ولم يكن ممكنا أن يستبدل هؤلاء إستقرارهم ورخاءهم بمجهول. كذلك لم تك الأفكار الصهيونية لتجد طريقها إلى قلوبهم وعقولهم دون أن تكون مشفوعة بإجراءات من شأنها (إقناعهم) بمثل هذه الأفكار، لذلك فإن تسهيلات الهجرة من خلال إتفاقية هعفارا كانت متزامنة بشكل متواتر مع إجراءات قمعية مارستها السلطات النازية، هدف هذه الإجراءات مزيد من (القناعة) لدى اليهود بأفكار الحركة الصهيونية التي تستنكر الإندماج وتهزأ بالرأي القائل أن اليهود الألمان هم مواطنون ألمان لحما ودما وإن إختلفوا عن أقرانهم بالدين.

لم يعتبر اليهود الألمان أن ما ورد في كتاب كفاحي لهتلر حول اليهود والمسألة اليهودية يمكن أن يترجم إلى إجراءات عملية تقضي على اليهود في ألمانيا وإنما إعتبروه نوعا من النزوات الفكرية التي لا تلبث أن تخبوا بعد أن تصل النازية إلى الحكم ولذلك لم يأخذوا هذه الأفكار بالجدية المطلوبة ولم يصدقوا أنها تحمل لهم من الأخطار ما سوف يجرفهم.[40]

إلا أن ما ورد في (كفاحي) لم يكن إلا بداية ومؤشرا للسياسة التي قررت النازية أن تنتجها نحو اليهود للتخلص منهم، وقد إتبعت أسلوبين لتحقيق ذلك فهي من جهة ناصرت ودعمت المنظمات الصهيونية التي كانت في ذلك العهد ضعيفة البنية قليلة الأنصار مرفوضة من الأغلبية، ومن جهة ثانية وضعت قوانين عنصرية هدف هذه القوانين تجريد اليهود من حقوقهم الدنية والسياسية واتبعت هذه القوانين بعمليات عنف واضطهاد وقتل ولذلك نستطيع أن نقول أن النازية إتبعت مع اليهود سياسة الترغيب

40 كفاحي - أدولف هتلر، صادر عن، دار بيروت سنة 1960 صفحة 21 وتراجع الصفحات 170، 171، 174، 177،178، 186، 187.

والترهيب مستندة في تنفيذ سياستها على الصهاينة الذين كانوا يرحبون بها ويؤيدونها.

وفي ربيع عام 1933 قام البارون (ليوبولد اتزفون ميلد نشتاين) الظابط في فرقة الصاعقة والمسؤول عن السياسة اليهودية يرافقه (كورت توخلر) من الإتحاد الصهيوني الألماني برحلة إلى فلسطين، لدراسة التجربة الصهيونية على أرض الواقع وبحث ما يمكن عمله لتحقيق أهدافها وكان فون ميلد نشتاين من أصحاب النظرية القائلة أن حل المشكلة اليهودية يتماشى مع مسألة حق تقرير المصير وكان متعاطفا بشكل جوهري مع القضية الصهيونية وكان يحضر إجتماعات ومؤتمرات الصهيونية ليزداد معرفة بقضاياها وليقيم علاقات صداقة مع مندوبيها إلى تلك الإجتماعات حتى أصبح صهيونيا متحمسا، الأمر الذي أكسبه شهرة واسعة بين رؤسائه في فرقة الصاعقة بصفته الخبير في الشؤون الصهيونية وفي المسألة اليهودية واستطاع أن يقنع زملاءه بالبرنامج الصهيوني الذي إعتبره مخرجا من التشويش والإرتباك الذين سادا بين واضعي النظريات بشأن السياسة اليهودية للنازيين ولذلك لم يعد مستغربا التعاون بين الصهيونية والنازيين.[41]

ويشير جاكوب بواسي[42] موضحا أن ميلد نشتاين لم يكن صديقا لليهود وإنما إتجه تعاطفه فقط نحو ذلك القطاع من اليهود الذي هو القطاع (الصهيوني) أما بالنسبة لليهود المندمجين مع الشعب الألماني الذين يقولون نحن ألمان أولا ويهود ثانيا، والذين ينكرون يهوديتهم تماما ويتحاشون أي شعور بعنصريتهم، أولئك لم يكن يؤيدهم، وكانت وجهة نظره قريبة من وجهة نظر الحزب الرسمية ونظريته عنهم، تلك النظرية التي تتلخص بأن أي عرق هو نتاج -إتحاد روحي بين الشعب والأرض التي إنغرست أصوله فيها تاريخيا- ونظرا لأن اليهود تنقصهم تلك العلاقة الحيوية بالأرض الألمانية، فقد إعتبرهم النازيون قوة غريبة تقيم بينهم واصفين إياهم بأنهم صنف من الجنس البشري لا أصل له متفسخ، طفيلي، وضيع.

---

41 History today, january 1980, london

42 Ibid January 1980, london

ويتابع بواسي قوله: (لقد نجح فون ميلد نشتاين في أوائل عام 1934 في الحصول على موافقة رؤسائه في فرقة الصاعقة وقبولهم بفكرته القائلة بأن حل المسألة اليهودية يكمن في هجرة يهودية جماعية إلى فلسطين ونتيجة لذلك عين رئيسا للمكتب اليهودي في دائرة هيدريخ للخدمات الأمنية التابعة لفرقة الصاعقة ومن خلال موقعه الجديد شرع في تطبيق سياسته القاضية بتوسيع النفوذ الصهيوني بين يهود ألمانيا الذين برغم ظروف الإضطهاد التي كانوا يعيشون في ظلها لم يبدوا رغبة في الهجرة إلى فلسطين وأخذت فرقة الصاعقة تعمل على تقوية الموقف الصهيوني بين الجالية اليهودية من خلال التعليمات وأوامر تصدرها لتشجيع نشاطات الصهيونيين وتثبيط عزيمة غيرهم بالإضافة إلى منح الصهيونيين إمتيازات محظورة على الآخرين.

أولا: التشريعات النازية ضد اليهود:

أبرز التشريعات والأوامر التي أصدرتها السلطة النازية ضد اليهود أوامر الشرطة وقوانين نورنبرغ وتوابعها التي نظمت الوضع القانوني الجديد لليهود والتي حرمتهم من معظم حقوقهم الإنسانية:-

1. قرارات الشرطة السياسية البافارية:

كانت جميع القرارات التي أصدرتها الشرطة السياسية الألمانية تصب في دائرة التضييق على اليهود الإندماجيين وتفتح جميع الأبواب للصهاينة خدمة للأهداف المشتركة. وقد تناولت هذه القرارات المواضيع التالية:

أ. الإجتماعات العامة:

أعفيت المنظمات الصهيونية من حظر الإجتماعات العامة الذي أصدرته الشرطة البافارية واستثنيت من ذلك الحظر، كما سمح للصهاينة أن يؤسسوا الجمعيات الرياضية ويقيموا الألعاب الرياضية طالما أنهم لا ينتمون إلى الأحزاب الإندماجية اليهودية تحت طائلة الحل إذا مورست في هذه الجمعيات أي نشاطات سياسيى داخلية أو محلية.[43]

---

43 Hersl year book, page 338, 339 document no.

ب. السماح بالتدريب:

سمحت قرارات الشرطة لمنظمات الشبيبة اليهودية (صهيونية) بأن تقوم بأعمال التدريب المهني والزراعي والحرفي للأفراد اليهود قبل هجرتهم إلى فلسطين حيث إعتبرت هذه القرارات أن مثل هذا العمل هو مصلحة الدولة الوطنية ثم أكدت هذه القرارات على ضرورة التمييز في المعاملة بين هذه التنظيمات وبين التنظيمات اليهودية الإندماجية التي لا بد من أن تعامل بمنتهى القسوة.[44]

ج. جمع الأموال:

ورد في الوثيقة رقم (8) المؤرخة في 9 تموز سنة 1935 قرار للشرطة السياسية بخصوص جمع التبرعات من قبل الصهاينة وينص هذا القرار على السماح للمنظمات الصهيونية بجمع الأموال من أعضائها ومن المتعاطفين معها لتعزيز الهجرة وشراء الأراضي وتقديم المعونة للمستوطنين الجدد. ولم تكن تلك الجباية تخضع لأي ترخيص مسبق ولا إعتراض للشرطة عليها، لأنها تخدم متابعة الحل العملي للمشكلة اليهودية.[45]

د. الزي الرسمي:

سمح قرار سري صدر عن قيادة الشرطة للمنظمات الصهيونية دون غيرها بارتداء أعضائها الزي الرسمي النظامي داخل مراكزها. وهذا الإستثناء أعطي للصهاينة حيث أثبتوا أنهم يحاولون بجميع السبل القانونية أن يرسلوا شبابهم إلى فلسطين وأنهم نتيجة لجهودهم المخلصة الموجهة نحو الهجرة يلتقون في وسط الطريق مع حكومة الرايخ في إخراج اليهود من ألمانيا.[46]

2. قوانين نورنبرغ:

في 15 أيلول سنة 1935 وإثر إنعقاد المجلس الإجتماعي القومي في نورنبرغ تمت الموافقة على تشريعين معادين لليهود، وقد حظي هذا القانون بموافقة هتلر، ويحدد القانون الأول مواطنية الرايخ حيث ميز بين رعايا الدولة ومواطني الرايخ، وتقول المادة الثانية من هذا القانون (أن مواطن الرايخ هو ذلك الشخص ذو

---

44 Ibid, document no. 2 page 340

45 Ibid, document no. 8 ,page 348

46 Ibid, document no. page 341

الدم الألماني أو المتوالد من أم ذات دم ألماني والذي يثبت من خلال سلوكه أنه راغب وملائم ليخدم الشعب الألماني والرايخ بإخلاص). بهذا أسقط القانون من أحكامه كل المواطنين اليهود. أما التشريع الثاني فهو قانون حماية الدم الألماني والشرف الألماني، وقد حرم هذا القانون التزاوج بين اليهود والمواطنين الألمان أو المواطنين المتوالدين من أم ذات دم ألماني، كما حرم العلاقات الخاصة بين اليهود والمواطنين ذوي الدم الألماني ومنع اليهود من توظيف مواطنين من دم ألماني تحت سن 45 عاما في بيوتهم ومنعهم أيضا من رفع علم الرايخ والعلم القومي وإبراز شارات الرايخ، ولكن سمح لهم بإبراز الشارات اليهودية (نجمة داوود) تحت إشراف الدولة. إلا أن هذا القانون لم يحدد من هو اليهودي. إلى أن صدر في 14 نوفمبر سنة 1935 تشريع حدد أنماطا من اليهود فقسمهم إلى يهودي كامل ويهودي جزئي (مختلط الدم) واستعمل لأول مرة تعبير (لا آري).

وبشكل إجمالي فقد نشر ما لا يقل عن 13 قانونا بعد قوانين نورنبرغ جردت اليهود من المراكز والمهن والحرف والوظائف والتعليم والجامعات وغيرها. وحددت تحركاتهم كما اشترطت وجوب طبع حرف (ي) (J) على بطاقاتهم الشخصية.

لم تكن هذه القوانين نهاية المطاف للوضع اليهودي لكنها كانت شبه بداية للقمع القانوني الذي مورس ضدهم.[47]

لم تكن قوانين نورنبرغ هي الأولى في عهد النازية ضد اليهود وإنما سبقتها قوانين أخرى في عام 1933 حرم اليهود بموجبها من الوظائف العامة والخدمة في الحكومة والعمل في الصحافة والإذاعة والزراعة والتعليم والمسرح والأشرطة السينمائية وكذلك خرجوا عام 1934 من الأسواق المالية (البورصة) ومن ممارسة المهن الحرة كالمحاماة والطب.[48]

واستمر إصدار القوانين والأوامر الإدارية والتشريعات طيلة الحرب العالمية الثانية حتى جرد اليهود من كامل إنسانيتهم ورفعت عنهم كل حماية أو حصانة قانونية وأصبحوا مستباحين لا حول لهم ولا قوة.[49]

---

47 الموسوعة اليهودية - القدس سنة 1974 مجلد 12 صفحة 274

48 تاريخ ألمانيا الهتلرية - وليام شيرز. دار الكتاب العربي، ترجمة خيري حماد، صفحة 427

49 30-The holocaust year, roselle chartock and jack spencer, new York 1978, page 22

ثانيا: الإجراءات القمعية:

كان يعيش في ألمانيا ستون ألفا من اليهود البولنديين وكانت ألمانيا تزمع التخلص منهم فتنبهت السلطات البولندية وأصدرت مرسوما ببطلان جوازات هؤلاء الذين أصبحوا بعد تاريخ 29 أكتوبر 1934 مجردين من أية جنسية لذلك وفي يوم 28 أكتوبر كان خمسة عشر ألف يهودي قد سلموا إنذارات ترحيل ونقلوا بمختلف وسائل النقل إلى الحدود البولندية التي أغلقت بوجوههم فقفلوا إلى داخل الحدود الألمانية وبعد مدة قصيرة إستؤنفت المحاولة وأرسل عشرة آلاف يهودي بسيارات شاحنة ووضعوا في الحقول قرب الحدود حيث مات الكثير من الشيوخ والأطفال والنساء المرضى. وفيما بعد كررت هذه المحاولة عبر الحدور الروسية الشرقية وحدود سيلسيا على الرغم من إحتجاجات الحكومة البولندية التي وجدت في هذه العمليات عبئا ثقيلا لا تستطيع تحمله خصوصا وأن جميع هؤلاء اليهود من الفقراء المعدمين المحتاجين إلى الرعاية والمساعدة.[50]

كانت أعمال الترحيل القمعية هذه سببا في أن يقوم الفتى اليهودي (هيرشل جرنزيان) الذي يعيش في باريس بانتظار الدبلوماسي الألماني (فون رات) على درج السفارة الألمانية في باريس ويقتله. كانت هذه العملية نقطة الإنطلاق الأساسية في ليلة الكريستال المشهورة التي حدثت يوم 11 نوفمبر سنة 1938 والتي شهدت إجراءات قمعية شملت كل مناحي الحياة اليهودية والتي نتج عنها إحتراق 191 معبدا و 171 شقة سكنية كما تم نهب 815 محلا تجاريا وحجز حوالي عشرين ألف يهودي أرسلوا إلى معسكرات الإعتقال بحجة حمايتهم كما قتل 36 يهوديا وجرح عدد مماثل. ولكن المصادر الصهيونية تعتقد أن عدد المتاجر التي تم نهبها هو سبعة آلاف وخمسمائة وليس العدد كما أوردته المصادر الألمانية.[51]

إثر هذا الحادث تم إعتقال مئة وسبعة عشر من المشاغبين الذين تسببوا به وقدموا للمحاكمة وبعد ثلاثة أشهر إعترفت محكمة الحزب أن المشاغبين كانوا أعضاء في الحزب ولكنها طلبت محاكمة خمسة منهم وأخلت سبيل الآخرين ثم طلبت إلى الفوهرر إلغاء الأحكام التي صدرت ضدهم.

50 Gerald retiling page 14

51 Ibid page 17

وتقييما لما نتج عن ليلة الكريستال من خسائر فادحة وبعد مداولات بين قادة الرايخ خرجوا بنتيجة أن اليهود هم المسؤولون عن هذا التمرد ولذلك تقع عليهم المسؤولية كاملة ويتحتم عليهم تقديم التعويضات اللازمة للآريين الذين تضرروا. وبناء على هذه النتيجة صدرت ثلاثة مراسيم، الأول يأمر بطرد اليهود من الحياة الإقتصادية والثاني يلزمهم بدفع غرامة مقدارها ألف مليون مارك والثالث بدفع النفقات عن التلف الناتج عن التمرد. وبعد ثلاثة أيام صدر أمر بحظر المدارس الألمانية على اليهود وأماكن الإستجمام وبعد مدة قصيرة صدرت مراسيم العمل الإجباري والقانون الذي يحدد الأملاك اليهودية المستأجرة، وكانت هذه الإجراءات هي الخطوة الأولى نحو حياة الجيتو.[52]

لم تكن تلك الممارسات ضد اليهود مقتصرة على دولة الرايخ وإنما إسحبت على كل مكان وطأته أقدام جنوده، فقد خلق الوجود النازي في النمسا مشكلة واسعة وجديدة بالنسبة لليهود وبالنسبة لغيرهم من المسيحيين المعادين للنازية وقبل إحتلال رومانيا وبولونيا بدأت تصل إلى هذين البلدين موجات العداء لليهود. كما إمتدت هذه الموجات إلى دول حوض الدانوب التي يعيش فيها حوالي مليوني يهودي بالإضافة إلى ثلاثة ملايين يهودي في بولندة.[53]

وما أن وقعت جميع هذه الدول تحت الإحتلال النازي حتى بدأت تمارس ضد اليهود كل الإجراءات القمعية والقهرية التي مورست في ألمانيا توطئة لإجلائهم عن أوطانهم واقتلاعهم من جذورهم، وهكذا سارت جنبا إلى جنب مع الإتفاقية الإقتصادية مدعومة ومسنودة بالقرارات والقوانين العرقية والممارسات الإرهابية والقمعية.

---

52 Ibid page 18

53 Foreisn affairs, Dorothy Thompson 1939, vol 10 no. page 376

القسم الثالث

قيادة الحركة الصهيونية تدعم إجراءات النازيين

هل كانت إجراءات هتلر وقوانينه ضد اليهود ذات الطابع العنصري العرقي تزعج القيادة الصهيونية أم أنها كانت تباركها وتؤيدها؟ وما هي مواقف هذه القيادة سواء في التصريحات أو في أجهزتها الإعلامية وعلى وجه الخصوص الصحافة الصهيونية التي كانت تصدر في ألمانيا وكذلك في قرارات المؤتمرات الصهيونية العالمية التي عقدت في تلك المرحلة؟

أولا: الصحافة الصهيونية:

أصبح الإتحاد الصهيوني في ألمانيا بعد نجاح النازية في الوصول إلى الحكم قوة يحسب لها حساب ضمن الجالية اليهودية الألمانية، في حين لم يحرز إلا نجاحا محدودا قبل عام 1933. ونتيجة لهذا التطور إزدهرت الصحف الصهيونية التابعة للإتحاد وارتفعت نسبة مبيعاتها بشكل ملفت للنظر وعلى الخصوص صحيفة (جوديش روندشاو) التي يصدرها الإتحاد والتي إرتفع توزيعها من عشرة آلاف عدد قبل صعود هتلر إلى (38.500) عدد في نهاية عام 1933. ومع تعاظم قوة الحركة الصهيونية -بدعم النازيين- في الأوساط الشعبية بدأت تطالب لنفسها بحصة أكبر من السلطة في أوساط الجالية اليهودية بانية طلبها هذا على أساس الفشل السابق لزعماء اليهود الألمان في تهيئة وإعداد اليهود لمجيء هتلر. فعقب ذلك مباشرة كتبت الصحيفة المشار إليها أعلاه تقول: (إن الكفاح من أجل حقوق اليهود يمكن أن يتحرك فقط بوساطة أولئك الذين كان إلتزامهم بالشعب اليهودي وبالقومية اليهودية بعيدا دائما عن اللوم والإنتقاد -الصهاينة-). وفي عددها الصادر بتاريخ 1933/4/7 أعلنت تقول: (أنه من بين جميع فئات اليهود فإن الصهيونيين هم وحدهم القادرون على العمل مع النازيين بثقة جيدة «كشركاء أوفياء»). وبعد شهرين ونصف من ذلك إقترح الإتحاد الصهيوني الألماني في مذكرة وجهها إلى السلطات النازية بتنظيم

وضع اليهود الشرعي على أساس مجموعات. كما رفع عريضة إلى الحكومة يطلب مساعدتها في إعداد هجرة منظمة.[54]

وفي تاريخ سابق نشرت نفس الصحيفة بيانا أصدره الإتحاد الصهيوني في ألمانيا يفند الأخبار التي يتناقلها الجمهور خارج ألمانيا ويسيئون إستعمالها بقصد (الإساءة) إلى ألمانيا فيقول: (لقد وقفنا بحزم في إعلاننا الذي نشرناه في 17 آذار الجاري مؤكدين أننا ضد كل دعاية معادية لألمانيا، واعترضنا على كل ما هو مناف للحقيقة من قدح وذم ومن أخبار مختلفة مثيرة، ونحن نكرر اليوم إحتجاجنا بشكل علني، ونحتج فوق ذلك على كل محاولة لتسخير قضية اليهود في خدمة السياسة لدول أخرى أو مجموعات من الدول أو الفئات. لا يمكن ولا يجوز الربط بين الدفاع عن حقوق المواطنية لليهود في الدول التي يعيشون فيها وبين الحملات السياسية التي تقوم ضد ألمانيا وضد السياسة الخارجية للرايخ الألماني بقصد الحط من قيمة ألمانيا وسمعتها).

ثم تؤكد الصحيفة أن اليهود لا يمكن أن يلفقوا مثل هذه الأخبار المزيفة وإنما هم ضحيتها وأن يهود ألمانيا ينددون بالتقارير الكاذبة والمثيرة التي تنشر في البلدان الأجنبية وأن على الصحافة اليمينية أن تعتمد فيما تنشر بخصوص أحوال اليهود على ما تنشره فقط (جوديش روند شاو) والتي نفت منذ مدة الشائعات التي تتحدث عن إضطهاد اليهود وتستمر الصحيفة أن حملات التحريض ضد ألمانيا ستضر باليهود، وبحماس تحاول الصحيفة تكذيب كل الأخبار التي تنشر عن أحوال اليهود السيئة، واستمر هذا الدفاع حتى أهاج الطوائف اليهودية خارج ألمانيا[55] وفي نفس الوقت إجتهدت الصحيفة لإثبات أن مقاطعة ألمانيا إقتصاديا هو ضد صالح اليهود فاستشهدت بمواقف يهودية خارج ألمانيا.[56]

قد نجد مبررا لهذه الصحيفة عندما تتولى قيادة هذه الحملة بأنها مضطرة لأن تمالئ النظام النازي خوفا على رقاب الصهاينة ولذلك تقوم بما قامت به

54 History today, January 1980

55 صحيفة يوديشي روندشاو العدد 1933/3/28

56 المصدر السابق عدد 1933/3/30

من أجل إيهام هذا النظام بأنها ترفض دعوى اليهود في الخارج حتى تحافظ على اليهود في الداخل ومن ثم لتعمل بهدوء على إنقاذ اليهود وإنقاذ ما يمكن إنقاذه منهم. يصح هذا الإفتراض إذا لم تكن الصهيونية واعية على أهداف النازية ومطلعة على تفاصيلها ومشاركة في تنفيذها. ولذلك نلاحظ أنها في نظرتها للمسألة اليهودية تثبت هذه الحركة من خلال صحافتها الخط السياسي نفسه الذي سارت عليه الفاشية الألمانية وتتبناه حيث تقول: (تعترف الصهيونية بوجود المسألة اليهودية وتريد حلها بطريقة بناءة. لهذه الغاية فإنها تريد أن تجند مساعدة جميع الشعوب سواء من كان يصادق اليهود أو من يعاديهم ذلك بأن هذه المسألة بحسب مفهومها ليست مسألة عاطفية بل مسألة تتعلق بمشكلة حقيقية تهتم جميع الشعوب بحلها).[57]

وفي مقال لـ (آرنست هوفمان) في الصحيفة المشار إليها أعلاه وتحت عنوان (عداء السامية وحل المسألة اليهودية) يقول فيه: (يتهم أعداء اليهود الصهاينة منذ هيرتزل وحتى أيامنا هذه بأنهم -الصهاينة- يتصرفون مثلما يتصرف أعداء السامية فهم يعترفون بوجود مسألة يهودية ويريدون حلها في نطاقهم الخاص بمعزل عن الشعب المضيف. ان توصل الصهاينة إلى إعتبار عداء السامية الحديث هو نتيجة لذوبان اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها أوحى إليهم بأن التخلي عن الذوبان في هذه المجتمعات يخدم الجهود الرامية إلى حل صهيوني نهائي والعودة إلى اليهودية كحل قومي، الأمر الذي سيضعف اللاسامية ويوجد تصالحا بين اليهود وغيرهم ضمن حدود معينة شيئا فشيئا).

(إننا نسمع في الواقع هنا وهناك أصواتا غير يهودية تؤيد مثل هذا الرأي. وهذا يعني أن الدوائر اللاسامية أجمعت بشكل مباشر وغير مباشر على ضرورة تنظيم العلاقة بين اليهود وبيئتهم حسب المفهوم الصهيوني).[58]

إنطلاقا من هذه الأفكار الواضحة المبنية على أن المسألة اليهودية لا يمكن حلها إلا من خلال الحلول الصهيونية الرامية إلى إعتبار اليهود شعبا مستقلا

57 المصدر السابق عدد 1933/6/13

58 المصدر السابق عدد 1933/4/4

قائما بذاته وعرقا وعنصرا منفصلين عن باقي الأعراق والعنصريات. وتأكيدا على أن فكرة الإندماج هي السبب الأساسي في وجود اللاسامية، وأن الذوبان يعمقها ويجذرها، من هذا الفهم شنت الصحيفة الناطقة باسم الإتحاد الصهيوني الألماني- وهو المؤسسة الوحيدة في ألمانيا التي يسمح لها أن تتحدث باسم اليهود- هجوما شديدا على الإندماج والإندماجيين منسقا جهوده مع السلطات النازية، مسوغا للقومية الإشتراكية موقفها من السامية فتقول: إن الدولة الليبرالية تقبل تلاؤم اليهود باندماجهم لأنها ليست لديها أية مشاعر للقيمة التاريخية، ولكن يتوجب على الدولة القومية الإشتراكية أن ترفض ذلك بحماس لأنها لا تستطيع أن تحصل على يهودية مموهة ومتخفية ومتملقة. إنها لا ترغب بأن يلعب اليهود ذوو الأصل الألماني والذين عمدوا على هذا الأساس دورهم كألمان حتى لو كان تفكيرهم يتوافق مع الحزب الحاكم. ويوجد يهود هائجون لتصرف الدولة لأنهم يجهلون الحالة الموضوعية. فإذا رفضنا نحن اليهود من عمدنا واعتبرناهم بلا أخلاق فكيف تقبلهم الأمة الألمانية في جماعتها؟ هنالك يهود أرواحهم عمياء وطرشاء يحاولون في أيامنا هذه أن يظهروا الرغبة في الذوبان ويعتقدون بأن المرء يستطيع كالسابق عن طريق نزاهته أن يتودد ويتزلف مقدما نفسه كيهودي زالت عنه قوميته، لكن الآخرين (الألمان) يعرفوا أن الطبيعة اليهودية ستعود إلى الظهور في الإنسان اليهودي حتى عندما تتم محاولة طردها بكل الوسائل إن الكثيرين من غير الصهاينة يعرفون ذلك وبوسع جميع اليهود أن يعرفوه).[59]

ولا تكتفي الصحيفة بانتقاد الإندماجيين في ألمانيا بل أنها توجه لهم اللوم والإنتقاد الشديد أينما كانوا وتستغرب هذه الصحيفة كيف أن اليهود إستمروا مؤمنين بالإندماج بالرغم مما أصابهم وهي بهذا تعني اليهود الألمان الذين هاجروا من ألمانيا إلى بلجيكا ولذلك فهي تحثهم على إقامة تشكيلات يهودية مستقلة سواء في المدارس أو حركات الشباب والكشافة أو غيرها وترى أن وضع هؤلاء طالما أنهم لم يندمجوا في المؤسسات الصهيونية يدعو إلى الحزن والأسى.[60]

59 المصدر السابق عدد 1933/5/9

60 المصدر السابق عدد 1933/11/18

كانت تؤمن الصحيفة بضرورة فعل كل ما من شأنه أن يدفع اليهود للهجرة إلى فلسطين دون غيرها. ولذلك فقد إستجوبت الصحيفة الدكتور ارلوزوروف عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والذي كان له دور كبير في عقد إتفاقية هعفارا والذي قتل في ظروف غامضة فيما بعد على شواطئ تل أبيب. يقول الدكتور ارلوزوروف: (لن أتعرض للنقاش النظري فيما إذا كانت فلسطين هي الحل للوضع الألماني اليهودي ولكن يجب أن لا نغفل أن فلسطين على عكس بعض الخطط الأخرى (يقصد البلدان الأخرى) ليست حلا مؤقتا وليست ملجأ لليلة. إن الذي نفعله في فلسطين له صفة الإستمرار وهو يجري في جو القدرة الذاتية والتقرير اليهودي، ما لم توفره لنا أية دولة في العالم).

ثم يتحدث عن إمكانيات إستقبال الأطفال واستيعاب تعليمهم في المدارس الداخلية ومدارس الضاحية السكنية والضواحي التعليمية والتأهيل المهني وإمكانات الإستيطان الزراعية والمجالات الإقتصادية والصناعية الضخمة، ثم يتحدث عن إمكانية عقد إتفاقية تصدير سلع ألمانيا إلى فلسطين وهو بالتأكيد يعني هنا إتفاقية هعفارا. ويخلص إلى القول أن فلسطين ستكون فخورة بالشيء الذي تقدمه وان المؤسسة التي يرأسها الدكتور وايزمان ستكون جاهزة لتمويل كل المشاريع التي أشار إليها وهي بالفعل -كما يقول- تقوم بذلك.[61]

وحتى تقفل الصحيفة أبواب المهاجر الأخرى أمام اليهود عمدت إلى الحديث بإسهاب عن صعوبات الهجرة إلى كولومبيا. وأوحت إلى أن التأشيرات القانونية التي تعطى للمهاجرين اليهود من قبل قناصل هذه الدولة لا يعترف بها عند وصول المهاجرين إلى الموانئ، كل هذا حتى تثبط عزيمة اليهود المهاجرين إلى هذا البلد وحتى يصرفوا النظر نهائيا عن الهجرة إليه.

وبنفس الأسلوب تحدثت عن البرازيل وكوبا مؤكدة أن هذين البلدين وضعا من العراقيل ما يجعل الوصول إليهما أمرا مستحيلا وأن قوانين كلا البلدين وضعت خصيصا لمنع اليهود من دخولهما.[62]

61 المصدر السابق عدد 1933/4/23

62 المصدر السابق عدد 1933/11/18

ثانيا: أقوال وتصرفات الحركة الصهيونية:

كانت جماهير اليهود سواء في أمريكا أو غيها عفوية في موقفها تجاه السياسة النازية العنصرية الموجهة ضدهم ولذلك كانت ردود فعلها عفوية أيضا عندما إهتاجت وتظاهرت وطالبت بمقاطعة ألمانيا إقتصاديا. إنه الموقف الطبيعي الذي يمليه عليها واجبها وعلاقة الدين التي تربطها بهم. ولكن هذه الجماهير كانت ولا تزال غافلة عما تراه القيادة وما كانت تفعله.

في مستهل العام 1933 عمت العالم موجة من الحوادث اللاسامية في ألمانيا والمجر ووارسو وحتى وصلت هذه الموجة إلى الصين بحيث بات الخطر يهدد الطائفة اليهودية في أماكن مختلفة من العالم لذلك تداعى اليهود الأمريكيون لتدارس الإجراءات الواجب إتخاذها ضد اللاسامية ودعى لهذا الغرض ستيفن وايز بصفته رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي لوضع إستراتيجية عامة ومعالجة الأمر بهدوء وحتى لا يستفز النازيون واللاساميون ويمعنون في ممارستهم القمعية ضد اليهود. إلا إن ستيفن وايز فاجأ الجميع بأن أعد تظاهرة ضخمة في حديقة ساحة ماديسون ليخطب فيها زعماء اليهود وأعلن في دعوته لاحتجاج شعبي صارخ ضد هتلر قائلا: (على اليهود أن يعبروا عما في قلوبهم فقد مضى عهد الحذر والتعقل يجب أن نتكلم كما يتكلم الرجال... كيف لنا أن نسأل أصدقائنا المسيحيين أن يرفعوا أصواتهم إستنكارا للمظالم التي يعانيها اليهود إذا بقينا نحن صامتين) ثم تابع فقال محذرا: (ما يحدث في ألمانيا اليوم قد يحدث غدا في أي بلد آخر على وجه البسيطة ما لم يلق تحديا وتعنيفا فليس اليهود الألمان هم الذين يعتدى عليهم... إنهم اليهود) إلا أن الشتدلانيم (Shtadlenim) قاموا بتوجيه ضغط كبير على وايز طالبين إليه أن يلوذ بالصمت ويلغي المهرجانات المزمع إقامتها وحذر بأن إجتماع الإحتجاج إذا ما عقد فستكون دماء يهود ألمانيا في عنقه، واستخدموا نفوذهم لإبعاد حاكم نيويورك عن التحدث في المهرجانات. ولكن وايز إستمر في مساعيه لإقامة هذه المهرجانات يدعمه في ذلك برانديس (الزعيم الصهيوني) الذي كان يثق به والذي خاطبه بقوله (إمضي وليكن الإحتجاج قويا قدر المستطاع).[63]

---

63 AMERICAN Zionism From Herzl to the Holocaust, Malvin .1. Urofsky New York 1972, Page 363, 364, 365

ويشير إلى هذه المرحلة ناحوم جولد مان عندما يتحدث عن إنشاء المؤتمر اليهودي العالمي بشكل رسمي عام 1936 وعن الإجتماعات التي عقدها المؤتمر قبل هذا التاريخ في 1932 و 1933 و 1935 وكيف كانت جملة المناقشات في هذه اللقاءات تتعلق بالوضع في أوروبا ثم يقول: (عندما يعود الإنسان ليقرأ خطاباتنا في ذلك العهد فإنه سيلاحظ أنني مع ستيفن وايز كنا نحذر اليهودية مع هتلر ولكن أكثرية (الشعب) اليهودي لم تعر ذلك أذنا صاغية وعندما يتحدث شوبنهاور عن التفاؤل الملعون لدى اليهود فإن هناك ما يرغمنا على الإعتراف بأن فيلسوف التشاؤم كان على حق.[64]

فقبل أن يصعد هتلر إلى الحكم مثلا وبالتحديد في عام 1932 أعلن حاييم وايزمان أن فلسطين ستنهض على خراب يهود الشتات. وكان يقصد -حسب تعبير وولترلوكير- الخراب الإقتصادي لا الدمار المادي (البدني).[65]

ثالثا: المؤتمرات الصهيونية وموقفها خلال تلك المرحلة:

يبدو موقف القيادات الصهيونية وهي تقود مظاهرات الإحتجاج ضد أفعال النازية وكأنها تتناقض مع مسيرة الحركة الصهيونية بشكل عام في دعمها وتأييدها للقرارات والممارسات القمعية التي بدأت تطبقها النازية ضد اليهود خصوصا وهي تعلن الحرب الشعواء (الكلامية) على ألمانيا الهتلرية وتطالب كل القوى الغربية بالوقوف إلى جانبها إلا أن هذه القيادات نفسها إتخذت مواقف مغايرة كليا لما كانت تعلنه عندما جلست في مؤتمراتها العامة لتتخذ قرارات ذات طابع تنفيذي عملي.

في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد في براغ من 1 آب إلى 14 أيلول 1933، جرى نقاش حاد حول مصير اليهود الألمان والسياسة النازية العنصرية وموضوع مقاطعة ألمانيا إقتصاديا ردا على سياستها تجاه اليهود. إلا أن مطالعات معظم الزعماء البارزين أمثال سوكولوف وروبين وغيرهما لم تكن تحتوي على أي مضمون عملي، سار الحوار في جو من الحسرة والألم والإحباط. إذ قال سوكولوف مثلا: (إن الكلام خطر ولكن الصمت أخطر..

64 المفارقة اليهودية - ماحوم جولدمان، ترجمة الدراسات الفلسطينية صفحة 35.

65 History of Zionism LWalter Laquer Page 499

إننا لم نشعر بهشاشة وضعنا بمثل هذا القدر من الوضوح والقسوة. لقد كان من المستحيل أن يتصور المرء وقوع مثل هذا التطور قبل خمس سنوات) أما روبين فقد قال: (إن أفضل إحتجاج على السياسة المناهضة لليهود هو إنقاذهم) ثم تنبأ أن يفقد حوالي مئتي ألف منهم أي نصف عدد اليهود الألمان تقريبا مصادرهم الإقتصادية، وبعد ذلك تحدث عن طاقة فلسطين لاستيعاب مايمكن منهم. ثم أشار بشكل عابر إلى نشاطات سام كوهن مدير شركة الحمضيات الذي سبق له أن عقد إتفاقية باسم شركته مع الألمان والتي تحولت إلى هعفارا. تلك الإتفاقية التي رأت فيها بعض الأوساط اليهودية خيانة أنها نسفت كل التدابير التي يجب أن تتخذ ضد ألمانيا. لقد لوحظ أنه خيم على مؤتمر براغ صفة الفشل التي كانت تتردد على ألسنة الحاضرين الذين قالوا أننا قصرنا في عدم المبادرة إلى مساعدة اليهود الألمان، كما عجزنا عن إجتذاب الجماهير اليهودية إلى الفكرة الصهيونية.[66]

وخلافا للطرح الخاص باتفاقية هعفارا والحوار الذي دار حولها لم يجر أي حوار مستمر كما لم تتخذ أية قرارات ذات أهمية أو جدوى. الأمر الذي يجعل المؤتمر وكأنه عقد فقط للتصديق على هذه الإتفاقية التي عرضت بشكل ثانوي وسريع. وخفتت كل الأصوات التي كانت تنادي في الخارج بضرورة المقاطعة ولم يصدر في هذا المؤتمر أي قرار يتعلق بالمقاطعة بل على العكس من ذلك جرى تغيير رئيس تحرير صحيفة الصهيونية (بريد اليوم) (ايتمار بن آفي) ليحل محل (موشي سميلنسكي) الذي يعارض المقاطعة ويؤيد إستمرار الإتفاقية.[67] حتى تخرس كل الأصوات التي تنادي بالمقاطعة أو تسعى لتطبيقها. وحتى تسير إتفاقية هعفارا في طريقها المرسوم وحسب الخطة التي وضعتها قيادة الحركة الصهيونية مع الرايخ النازي. ففي الوقت الذي لم تعط فيه الإتفاقيات الإقتصادية مع ألمانيا أي اهتمام نلاحظ أن المؤتمرين في المؤتمر الصهيوني العالمي التاسع عشر المعقود في لوزان العام 1935، يعبرون عن إحتجاجهم وسخطهم تجاه السياسة النازية ثم يؤكدون القناعة بالحل الصهيوني للمسألة اليهودية وأن فلسطين هي البلد الوحيد الذي يستقبل هجرة يهودية كبيرة وأن (الشعب اليهودي) أثبت قدرته على خلق إمكانات في فلسطين لاندماج إقتصادي لجماهير غفيرة من اليهود.

---

66 Ibid Page 503

67 ديفيد يسرائيلي صفحة 128

وبعد ذلك يتوجه بنداء إلى العالم وإلى الرأي العام العالمي لمساعدة اليهود من أجل أن يتجمعوا في (وطنهم التاريخي). وأن هذا الوجود سيؤكد إرادة (الشعب اليهودي) في الحياة بانسجام وتفاهم مع سكان فلسطين العرب ومع الشعب العربي في البلدان المجاورة. وأن إعمار اليهود لفلسطين قد جلب الخير العميم لسكانها العرب وللعرب المجاورين وأنه سيشكل سندا لتطور الشرق الأوسط بأسره.

ويستمر المؤتمر في إستعراض الوضع اليهودي في فلسطين ومطالب المنظمة الصهيونية من عصبة الأمم ومن الدول المنتدبة إلى أن يصل إلى البند 22 من القرارات السياسية ليذكر جملة واحدة فقط عن إتفاقية هعفارا تقول: (لتعزيز هجرة اليهود من ألمانيا إلى فلسطين تقوم اللجنة التنفيذية بوضع مجمل عمل الهعفارا تحت رقابتها).[68] وهو بهذه الجملة أراد أن يحقق هدفين في آن واحد:

أولهما: أن أي حديث عن المقاطعة لن يكون مقبولا ولن يعتبر من صلب الصهيونية وسياستها الخاصة تجاه يهود ألمانيا.

وثانيهما: أن الإتفاقية تتم بموافقة وبإشراف وبرعاية المنظمة الصهيونية العالمية وقد تم إعتمادها.

68 قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن عشر، المعقود في آب وأيلول سنة 1933 -براغ- طبع في فيينا سنة 1934 وقرارات المؤتمر الصهيوني التاسع عشر- طبع سنة 1936.

الفصل الثاني

موقف قيادة الحركة الصهيونية من المذبحة

إن الحديث عن المذبحة التي أصابت اليهود في الحرب العالمية الثانية على يد ألمانيا النازية يتطلب منا التعرف على مواقف زعماء الصهيونية من هذه المذابح والإجراءات التي إتخذوها لوقفها أو للحد منها أو لتقليل أخطارها خصوصا ونحن نعرف ما لهذه الزعامات من نفوذ واسع في كل دول الغرب هذه الدول التي كانت تخوض الحرب ضد النازية.

نفترض أن الصهيونية ستبذل كل ما تملك من إمكانات مالية وغير مالية لإنقاذ اليهود أو على الأقل أن تعمل لإبقائهم حتى تنتهي الحرب، نفترض أنها ستثير الرأي العام العالمي وتلفت نظره إلى هذه المذابح حتى يتحرك وتتحرك الحكومات بعد ذلك لعمل ما يخلص هؤلاء من المصير المشؤوم.

إلا أن ما فعلته الصهيونية كان عكس ما نفترض تماما:-

1. فهي لم تقدم أية مساعدة مادية أو غير مادية لضحايا النازية، ولم تسمح لأية جهة أن تقدم أية مساعدة مهما كان نوع هذه المساعدة.
2. وقد أخفت المعلومات التي كانت ترد من داخل أسوار الغيتو ومعسكرات الإعتقال تلك المعلومات التي توضح حقيقة ما يجري. وإذا ما اضطرت إلى الإعلان عن أي أمر فإنها تقوم بذلك بشكل يشكك بصحة هذه المعلومات ويقلل من خطورتها.
3. إعتمدت الصهيونية مبدأ الإنتقاء والإختيار عندما قامت بحملات لتخليص اليهود من المذبحة حيث نصبت نفسها الآمر والناهي فيما يتعلق بحياة اليهود وهي التي تقرر من يستحق الحياة ومن يستحق الموت.
4. وهي لم تبذل أي جهد لدى دول العالم وخاصة الدول الغربية لقبول اللاجئين اليهود الفارين من جحيم الكارثة. بل وضعت عراقيل في وجه كل الجهود التي كانت تبذل من قبل الجماهير المسيحية أو من قبل

اليهود غير الصهاينة أو من قبل بعض الدول التي رأت أن تجد حلا لمثل هذه المشكلة الإنسانية.

5. لم تكتف الصهيونية بذلك بل قامت بعمليات تحريضية واسعة ضد اليهود الواقعين تحت الإحتلال النازي وذلك لاستعداء النظام الهتلري ضدهم والأنتقام منهم وتوسيع عمليات الإبادة الجماعية، حيث كانت الحركة الصهيونية تعلن في أمريكا أو في فلسطين عن مواقف عدائية إستفزازية للسلطات النازية ومن شأن هذه المواقف أن تزيد من حدة الهجمة الشرسة التي بدأتها هذه السلطات ضد اليهود تمهيدا لإبادتهم.
6. موقف حركة التحريفيين بقيادة جابوتنسكي وخليفته مناحيم بيجن من هذه المذبحة. قبل أن ندخل في تفاصيل هذه البنود، وقبل أن نضع علامات الإستفهام والدهشة والإستغراب والإستنكار علينا أن نعود إلى الوراء قليلا، إلى أصول الفكر الصهيوني، إلى أدبيات المفكرين وآرائهم وتصوراتهم لما سموه القومية اليهودية والمسألة اليهودية. لنزيل من حيث المبدأ كل أسباب الدهشة التي قد تصيبنا. ثم ننتقل بعد ذلك إلى نقل الشواهد والإثباتات والأدلة التي تدمغ الممارسات الصهيونية في هذا الميدان، هذه الممارسات التي جعلت زعماء الصهيونية شركاء في عمليات الإبادة التي أصابت التجمعات اليهودية في أوروبا الغربية والشرقية فاقتلعت هذه التجمعات من جذورها وقضت عليها بشكل شبه نهائي.

وقد يتسائل متسائل، ولكن ما هي مصلحة الصهاينة من ذبح اليهود أبناء دينهم؟ ولماذا يكونون شركاء في هذه المذابح؟ وما الذي يدفعهم إلى ذلك؟

أن مثل هذه (الإتهامات) تبدو مخالفة للمنطق وقد تبدو بشكل أوضح مبالغا فيها، بل قد تعتبر نوعا من التشكيك والإساءة المتعمدة للحركة الصهيونية، وقد يتهم من يتكلم بهذا أنه عدو للصهيونية، ومن هذه الزاوية فهو يكيل لها الإتهامات للإساءة إليها ولتشويه صورتها في ذهن العالم. الذي إعتبرها -كما أرادت أن يعتبرها- حركة تحرير قومي يهودي تسعى إلى تحرير اليهود في كل أنحاء العالم، وتبحث عن حل مناسب ومعقول للمسألة اليهودية التي طال الزمن عليها. وهي فوق كل هذا وذاك الممثل الشرعي والوحيد أينما كانوا ومهما إختلفت آراؤهم وتعددت إتجاهاتهم ومذاهبهم وطريقة حياتهم ونمط تفكيرهم.

من هنا كان من الضروري أن نطلع أولا على الأسس الفكرية التي قامت عليها الحركة الصهيونية قبل أن نطلع على الممارسات التي جاءت منسجمة كل الإنسجام مع تلك الأفكار، فتدعمت الأفكار بالوقائع، والنظرية بالتطبيق.

يرى هرتزل المسألة اليهودية على أنها مشكلة قومية عرقية، وليس مشكلة إجتماعية إقتصادية. ولإيجاد حل لها يجب أن ينظر إليها على أنها مشكلة سياسية دولية[69] وبالتالي فهو يؤكد أن اليهود، شعب واحد وغير قادر على الإندماج في الشعوب الأخرى. وفي الوقت نفسه فإن الشعوب الأخرى ترفضه وتلفظه. على الرغم من أنه يعترف أن فئة من اليهود إندمجت في المجتمعات التي تعيش فيها، ويعترف أيضا أن اليهود سينصهرون في أي مجتمع إذا مكثوا فيه مدة (بأمان)... ويعقب على ذلك بقوله: (وليس هذا في صالحنا.[70] ثم يتنبأ بوجود إعتراضات على مقولته هذه باعتباره يساعد المناوئين للسامية حينما يتحدث عن القومية اليهودية وأنه يعيق الإندماج بل ويعرضه للخطر. ولكنه لا يبالي لمثل هذه الإعتراضات... ثم يتحدث عن الهجرة المنظمة الخاضعة لرقابة الدول والرأي العام، هذه الدول التي ستستفيد من مثل هذه الهجرة، إلا أنه لا يقبل بالهجرة التي تتم على شكل هروب.[71] وذلك لأن الحكومات المعنية (ويقصد الحكومات المسؤولة عن الوطن المختار) ستضع حدا للتسلل والهروب وبمعنى أدق للهجرة اللاشرعية. وذلك نتيجة ضغط المواطنين الأصليين لهذه البلاد.[72] من هنا نراه مرة أخرى يؤكد على أن الهجرة يجب أن تتم من خلال إتفاق مع الجهات الرسمية المختلفة بحيث تبدأ بانتظام من بلد ما وتستمر حسب رغبة ذلك البلد في التخلص من اليهود.[73]

ويهاجم مفكر صهيوني آخر[74] جميع المحاولات اللا صهيونية لحل المسألة اليهودية ويعتبرها طوباوية، كما يعتبر الإندماجيين اليهود خاليين، ويعزو

69 الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية- مركز الأبحاث الفلسطينية- بيروت سنة 1970 صفحة 105
70 المصدر السابق صفحة 106
71 المصدر السابق صفحة 111
72 المصدر السابق صفحة 119
73 المصدر السابق صفحة 127
74 المصدر السابق صفحة 233

عدم إيمان الجماهير اليهودية بالصهيونية إلى عبوديتهم وسلبيتهم اللتين هما نتاج عبودية ألف سنة وكذلك الفقر والفراغ اللذان يعيشان بداخلهم.[75]

ومرة أخرى نعود إلى أقوال هرتزل الذي أجاب في خطاب له أمام الجمعية الملكية البريطانية عام 1902 وبصراحة تامة على السؤال التالي:- (ما الذي يجبر اليهود على الهجرة من بلدانهم وتأسيس الدولة اليهودية؟) أجاب: (اللاساميون). وفي مذكراته كتب يقول: (في باريس إتسعت آفاق نظري إلى اللاسامية التي بدأت أفهمها تاريخيا وأغفر لها كل شيء، وأكثر من هذا أعترف بتفاهة وعدم جدوى النضال ضدها. وعلاوة على ذلك فإن هذه القوة الجبارة المتمثلة فيها لن تجلب الضرر لليهود بل أعتبرها حركة مثيرة لتطوير الشخصية اليهودية.[76]

نكتفي بهذه المقتطفات من أقوال تيودور هيرتزل ونحمن سيركين وهما من زعماء الصهيونية، ومن أصحاب (الفضل) في ترسيخ الفكر الصهيوني وتعميقه. إلا أنه يمكننا ان نستنتج من هذه المقتطفات النقاط التالية:-

1. إن الحديث عن القومية اليهودية والعنصرية اليهودية كأساس للفكر الصهيوني يعزل اليهود عن الشعوب التي ينتمون إليها ويضع حاجزا منيعا بين الطرفين قائما على عدم الثقة وزعزعة رابطة المواطنية التي استمرت بينهما أكثر من ألف سنة.
2. تحريض اليهود على رفض الإندماج في مجتمعات (الشتات) على الرغم من وجوده كواقع باعتباره يشكل حلا فاشلا لما سموه المسألة اليهودية. وذلك تمهيدا لاقتلاع اليهود من جذورهم ونقلهم إلى (الوطن الموعود).
3. إن (للقومية اليهودية) و (رفض الإندماج) نتيجة حتمية واحدة هي الهجرة اليهودية. إلا أن هذه الهجرة ستكون مرفوضة من وجهة نظر الفكر الصهيوني، إذا لم تكن مدروسة ومنظمة ومسيطرا عليها لأنها ستكون غير ذات جدوى وبمعنى أدق، إذا لم تكن الهجرة موجهة بشكل رسمي وحازم نحو (الوطن الموعود) فلن تكون هجرة مفيدة ولن تؤدي إلى النتائج المبتغاة.

---

75 المصدر السابق صفحة 234

76 إحذروا الصهيونية - يوري إيفانوف- دار التقدم- موسكو سنة 1970 صفحة 8,86.

4. إن رفض اليهود للفكر الصهيوني هو نوع من (العبودية) التي سيطرت على حياة اليهود ألف سنة. يضاف إلى هذا الفقر والفراغ اللذان يعيشان بداخلهم.
5. عدم إقامة أي وزن لأقوال ومصير اليهود الإندماجيين المعادين للفكر الصهيوني إذ لا بد من تجاوزهم أو التخلي عنهم إذا ما استمروا في إعتناق أفكارهم هذه.

تلك هي بعض أفكار زعماء الصهيونية وتلك هي نظريتهم التي وضعها هيرتزل وزملاؤه.

فكيف كان التطبيق عندما حان وقت التطبيق؟.

القسم الأول

المساعدات الصهيونية لضحايا المذبحة ..!

لم يكن يهود أوروبا، ويهود أوروبا الشرقية بالذات يعتنقون الصهيونية أو يؤمنون بها، ولم يكن الوطن القومي اليهودي يعنيهم من قريب أو بعيد لذلك حينما تعرضوا للمذبحة تجاهل مصيرهم (العالم الحر) ولكن كان أول المتجاهلين صهاينة القدس، أولئك الذين أعمتهم شهوة السلطة والحكم عن المصير المظلم الذي كان يتعرض له اليهود في أوروبا.

وفي هذا المجال يرسم (بن هخت) صورة دقيقة لزعماء الصهيونية في القدس حين يقول: (إن شخصية سادة إسرائيل الحاليين تتناقض مع شخصية اليهودي التقليدية، فقد إنتهت شخصية التقى والندم اللاحقة بالمشتتين وشخصية الأخوة المرحة والحميمة اللاحقة بالمكروهين، لتحل محلها شخصية العقلانية السياسية إذ إبتدأ قادة اليهود منذ أعوام الثلاثينات يأخذون دورهم كحكام صهيون الجدد).

(يفرز الحكم الشخصية التي تتناسب معه، الأنانية المتصلبة. لقد سيطر على مجرى التاريخ الإنسان السكران بنشوة الثقة منذ أن تشكلت الحكومات، ولا يختلف الوضع إذا كان هذا الإنسان يهوديا أو رومانيا أو يونانيا أو غير ذلك. إنه يعرف أن ما هو في مصلحة الشعب هو استمراره في الحكم وهو يعرف أن الصواب هو كل ما يبقيه في السلطة).

(عن هذا النوع من السكان سأتكلم عن أمراء القدس المسيسين، فهم لن يفكروا في اليهود الذين يموتون في أوروبا بل في إستمرارية الحكم في فلسطين واستمراريتهم معه كلما توضح لي إزدياد إبتعاد سلوكهم عن الإنسانية إزداد حب يهود فلسطين والعالم لهم والفخر بهم، فهم (اليهود) خاضعون لهم رغم عدم ولائهم لهم تماما كخضوعهم لله الذي ينزل بهم

المصائب، وهذه غريزة إنسانية غريزة الخضوع للطغاة، ولكنني أعلن أنها ليست الغريزة الوحيدة السائدة).[77]

هذه هي الصورة التي حاول بن هخت أن يلخص فيها موقف حكام الصهاينة في القدس من قضية اليهود في أوروبا مشيرا إلى أن أخلاق الصهاينة لم تعد أخلاقا إنسانية وإن همهم الأول والأخير هو كيف تزدهر سلطتهم ويزدهرون بها ضاربين عرض الحائط كل ما يصيب اليهود. ما دام هؤلاء اليهود ليسوا في (أرض إسرائيل) أو ما داموا لا تتوفر لديهم النية للسفر إليها، أو ما دامت أرض إسرائيل ليست بحاجة إليهم. وهذا ما يؤكده أيضا زعيمان صهيونيان بارزان:

الأول: هو إسحق غرينباوم رئيس لجنة الإنقاذ في الوكالة اليهودية أيام الحرب إذا أعلن في عام 1943 في تل أبيب جوابا على السؤال: ألم يكن بمقدوركم تخصيص الأموال من الصندوق القومي اليهودي لإنقاذ اليهود في أوروبا؟ أجاب قائلا: (أبدا.. وأكرر مرة أخرى كلا.. يجب علينا أن نقاوم هذا التوجه الذي يدفع النشاطات الصهيونية إلى مهام ثانوية..) ثم ردد شعاره المشهور (عنزة في أرض إسرائيل أكثر أهمية من كل مجتمع الشتات).[78]

وعندما ترأس غرينباوم إجتماعا في تل أبيب لدراسة موضوع (الشتات والإنقاذ) في بداية شباط عام 1943 أقر بما يلي: (من أجل إنقاذ اليهود في الشتات علينا أن نعزز قوتنا الزائدة، وفائض الجهود التي نملكها وعندما يأتون إلينا بخطتين، إنقاذ جماهير اليهود في أوروبا أو تحرير الأرض أصوت دون تفكير لصالح تحرير الأرض. وكلما إزداد الحديث عن ذبح شعبنا كان التقليل من شأن جهودنا لتعزيز وتشجيع تهويد الأرض أعظم. وإذا ما توفرت اليوم إمكانية لشراء علب الطعام بأموال الـ (كيرين هايسود) النداء اليهودي الموحد لإرسالها عبر لشبونة فهل نفعل شيئا كهذا؟ كلا... مرة أخرى كلا).[79]

---

77 Perfidy, Ben Hecht, U.S.A. 1961 Page 12

78 Ibid page 50

79 The Holocaust Victims Accuse By: Rabi Moshe Shonfield, Naturai Karta, Brooklyn U.S.A, 1977 Page21

أما الزعيم الثاني فهو حاييم وايز مان أول رئيس لدولة إسرائيل، فقد قال متحدثا عن مصير ستة ملايين يهودي في أوروبا تتركز في الهجرة، وجوابا على سؤالها (اللجنة) هل يمكن أن تنقلهم إلى فلسطين أجبت: كلا، سيموت الطاعنون في السن متحملين قدرهم أو غير قادرين على ذلك فهم سقط المتاع إقتصاديا وأخلاقيا في عالم ظالم، ولن ينجو منهم سوى فرع ضئيل... وعليهم أن يتقبلوا قدرهم هذا).[80]

ترى هل كان وايزمان يتنبأ أم كان يخطط لإبادة الطاعنين في السن وإنقاذ الشباب فقط؟ ولماذا يجب على الكبار والشيوخ فقط أن يواجهوا قدرهم بينما تهيأ لغيرهم أسباب النجاة؟

لم تكن تلك الأفكار والتصريحات تلقى في فراغ وإنما كانت نتيجة ممارسة عملية أو توطئة لممارسات عملية قامت بها الحركة الصهيونية وهي في ملجئها الأمين بعيدة كل البعد عن أخطار المذبحة وأهوال الإبادة التي كانت تمارس على إخوانهم -في الدين- في طول أوروبا وعرضها.

أولا: مصير اليهود الرومان:

قدمت الحكومة الرومانية عرضها بتهجير سبعين ألف يهودي مقابل خمسين دولارا للشخص الواحد، وقد قدم هذا العرض إلى كل من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة، وقد حول هذا العرض للمنظمات الصهيونية العالمية إلا أن هذه المنظمات تجاهلته، ولم تكتف بذلك بل ألقت عليه ظلالا من الكتمان حتى لا ينتقل إلى الرأي العام اليهودي وغير اليهودي.

نشر هذا العرض في صحيفة سويسرية أشار إليها (بن هخت)[81] وأكدته مجلة نيوزويك،[82] إذ قالت هذه المجلة: (إن العرض قدم لعصبة الأمم من قبل الحكومة الرومانية تقترح فيه نقل سبعين ألف يهودي من (ترانس دينستريا) إلى ملجأ يحدده الحلفاء، وقد قدم هذا العرض من خلال دبلوماسيين محايدين. وتعهدت رومانيا بنقل هؤلاء على سفن رومانية تحمل شارة الفاتيكان

80 Perfidy, page 19 , 20
81 Shonfield, R.M. page 99
82 نيوزويك 1943/2/16

لضمان سلامة المرور وإن شخصيات دينية رومانية مرموقة من بوخارست سترافقهم وستوفر لهم وسائل راحة خاصة حتى رحيلهم. وسيكون على رأس هؤلاء المرافقين أسقف رومانيا والسفير البابوي. على أن تتقاضى الحكومة الرومانية ما يعادل خمسين دولارا للشخص الواحد تكاليف نقل. وجاء في الإعلان أيضا أن ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار ستنقذ سبعين ألف يهودي روماني من القتل على يد الألمان.

إثر نشر الإعلان أصدر الحاخام ستيفن وايز كبير زعماء صهاينة أمريكا وصاحب الكلمة المسموعة لدى وجهاء يهود نيويورك، أصدر بيانا بتاريخ 1943/2/23 جاء فيه:[83] (لقد درس المجلس اليهودي الأمريكي وبالتعاون مع المنظمات اليهودية المعترف بها الموضوع المذكور وهو يعلن هنا أنه لم يتلق أية معلومات تتعلق بعرض روماني مزعوم للسماح لسبعين ألف يهودي بترك رومانيا والهجرة منها، ولذلك فليس هناك أي مسوغ لجمع تبرعات لهذا الأمر).

لم يكتف بهذا التكذيب بل إنبرت الوكالة اليهودية بدورها ومن لندن إلى تكذيب العرض الروماني وتبرق بتكذيبها هذا إلى الصحافة الأمريكية لنشره. الأمر الذي أثلج صدور اليهود الأمريكيين وجعلهم يقدرون هذا (الجميل) للوكالة اليهودية التي أراحت ضمائرهم من قضية اليهود الرومانيين.

والحقيقة أن العرض كان صحيحا لأن (بيتر بيرغسون) أحد زعماء لجنة الطوارئ والإنقاذ التي ينتمي إليها (بن هخت) إتصل بنائب وزير الخارجية الأمريكية (أدولف بيرك) وطلب إليه أن يؤكد أو ينفي الخبر فأجابه بصحته وأكد له إن الخارجية الأمريكية قد تلقت فعلا العرض المذكور من الحكومة الرومانية. وبعد عدة سنوات أكد (بارتلي كروم) الخبير في شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية هذه الحقيقة وقال: (كنا نعلم ذلك)، وأذاف أنه من البديهي أن الصهيونية والوكالة اليهودية بما لهما من منظمات شديدة الفعالية كانوا يعملون ذلك أيضا وأكد كروم أنه كان بالإمكان إنقاذ سبعين ألف يهودي ولكن بسبب الضغط اليهودي (الصهيوني) فإن وزارة الخارجية الأمريكية لم تعلن هذه المعلومات.[84]

83 Perfidy, page 191

84 Ibid, page 192

حاول كثيرون من أصحاب الضمائر الحية من اليهود القيام بأي شيء نحو إنقاذ هؤلاء وتقديم يد العون والمساعدة لهم، إلا أن نفوذ الصهاينة وإمكاناتهم الهائلة واتصلاتهم مع الحكومات (الديمقراطية) وتأثيرهم عليها حال دون نجاح هؤلاء بل أحبط كل محاولاتهم ومساعيهم، وهكذا فإن الصهيونية لم تكتف بأن تقف موقف المتفرج في قضية مصيرية كهذه تتعلق بأرواح سبعين ألفا من اليهود بل عرضت من حاولوا بذل أي جهد إلى الهجوم والتشهير والتجريح.[85]

تلك هي الفلسفة الصهيونية التي شرحها بوضوح (حاييم كوهن) المدعي العام في قضية- رودولف كاستنر الشهيرة التي سيرد ذكرها فيما بعد- حيث قال أنه يباح للإنسان بل من واجبه أن يقامر بخسارة الكثرة لإنقاذ القلة[86] إن هذه الفلسفة قد تكون مقبولة إذا كان الأمر يتعلق بخسارة الكل وإمكان إنقاذ القلة وكانت في هذه الحالة الخسارة واقعة لا محالة ولا راد لها لا يمكن تفاديها، في هذه الظروف يمكن أن يكون مسوغا إنقاذ الأقلية والتخلي عن الأغلبية التي لم يكن لإمكان إنقاذها. لهذا كله فإننا نورد هنا الملاحظات التالية:-

1. لم تجر محاولة إنقاذ أحد- لا الأقلية ولا الأغلبية- وقضية اليهود الرومان لم تكن مطروحة بهذه المعادلة. وإنما طرحت بشكل صفقة بشرية لقاء مبلغ من المال.
2. لا يمكن للصهيونية العالمية أن تدعي أنها لم تكن تملك هذا المبلغ أو أن المبالغ التي كلنت لديها، إنما هي مخصصة لأمور أكثر قدسية من حياة الإنسان.
3. لم تكتف الصهيونية برفض العرض وإنما دلست وموهت على الجماهير اليهودية التي كانت تشتعل حماسا لجمع التبرعات لعملية الإنقاذ وأوهمتها أن القضية لا أساس لها من الصحة. ونحن نفترض أن الأمر لو ترك لهذه الجماهير لأمكنها جمع المبالغ المطلوبة وافتداء اليهود بها.
4. شنت الحركة الصهيونية حملة شرسة ضد أولئك الذين حاولوا أن يفعلوا شيئا أو يؤدوا دورا ما أو على الأقل أن يرضوا ضمائرهم تجاه أبناء دينهم في رومانيا. حتى هؤلاء لم يسلموا من تقريع الصهاينة لهم.

85 Ibid, page 192

86 Ibid, page 193

ثانيا: مصير يهود هنغاريا:

إن قضايا (إنقاذ اليهود) التي تتحدث عنها الصهيونية بشكل مغاير للحقيقة والواقع كثيرة، ويمكن أن نتحدث عن عشرات الأمثلة والقصص الشبيهة بقصة يهود رومانيا. إلا أن القضية الأكثر شيوعا وانتشارا هي قضية يهود هنغاريا ويعود السبب في إنتشارها إلى المحاكمة الشهيرة التي جرت في القدس ضد رودولف كاستنر رئيس لجنة الإنقاذ في هنغاريا، والتي أدت إلى قتله على يد رجال (الشيين بت) فيما بعد حتى تدفن معه كل الحقائق التي لم تعلن ولم يعرفها أحد.

كان عدد اليهود في هنغاريا لا يقل عن مليون إنسان، لم يلفت وجودهم بادئ ذي بدء نظر السلطات النازية الألمانية، إلا أن التمرد الذي حصل في غيتو وارسو سنة 1943 نبه رجال الجستابو والـ (S.S) إلى ضرورة إعطاء هذا التجمع اليهودي الضخم عناية أكثر وزيادة العيون الساهرة عليهم حتى لا يثوروا أسوة بما حصل في وارسو حيث كان درسا قاسيا للوحدات الألمانية العاملة هناك. والتي تكبدت بسبب إخماده خسائر لا تصدق. هذا التمرد جعل القيادة الألمانية تعيد النظر في أسلوبها وطريقة عملها في حل المسألة اليهودية، حتى لا تتكرر التجربة البولونية مرة أخرى في هنغاريا.[87]

كانت الأغلبية العظمى ليهود هنغاريا غير منظمة، فهم لم يرتبطوا بالصهيونية أو بالوكالة اليهودية بل كان إنتماؤهم لهنغاريا فقط، هنغاريا بمساكنها وشوارعها وحوانيتها وملاعبها ومقاهيها، ليس لهؤلاء اليهود المندمجين في هنغاريا من ينطق باسمهم إلا طيبتهم وعدم قدرتهم على الضرر وكفائتهم، لذلك تصدى للتحدث باسمهم كأمر واقع اليهود المنظمون الذين بدأوا الإتصال بالألمان على هذا الأساس وأخذوا على عاتقهم (إنقاذهم).

يذكر آيخمان أنه كان قلقا بالنسبة ليهود هنغاريا، حيث عاشوا خلال الحرب دون أن تمسهم قيود صارمة نسبيا، لذلك فقد كانت تعليمات هملر له القيام بتمشيط كامل لهم قبل أن يفطنوا إلى خطة إبادتهم فينظموا

---

87 مجلة لايف الأمريكية - مجلد رقم 49 - عدد 22 تاريخ 1960/11/18 - مقال بعنوان: (محرر مجلة لايف يعرض وثيقة تاريخية).

مقاومة ضد النازيين وهكذا ترأس قوة من البوليس الألماني الخاص وتوجه فجر يوم 1944/3/19 من معسكر الإعتقال في (موتوسين) بإتجاه بودابست وذلك للإسراع في إتخاذ الإجراءات المناسبة نحو الحل النهائي.[88]

ولكن هناك أسباب أخرى تستدعي إعتماد السرية للإسراع في تصفية يهود هنغاريا التي لم تكن بلدا مهزوما مثل بولندا أمام ألمانيا، بل كانت شبه حيادية، فيها خمس سفارات عيونها مفتوحة في بودابست كما يوجد مبعوث خاص من البابا وبعثة خاصة من الصليب الأحمر الدولي، لذلك فإن التمتع بإراقة الدماء في هذا الجو المفتوح غير عملي.[89]

كذلك فقد قدر الألمان أن بعض المشاكل بادية في الأفق، فقد علموا أن جماعات يهودية تجتمع سرا من أجل تنظيم المقاومة المسلحة، وأن مجموعات أخرى قد هربت عبر الحدود للحصول على ملجأ، وربما توسع الخروج والهروب.

إن الألمان يعلمون جيدا أنهم لا يستطيعون وحدهم إبقاء اليهود المهيئين للموت هادئين دون أن يشكوا بأمرهم، وأن العلاج المطلوب يجب أن يكون أقوى من الإبتسامات الألمانية لهذا السبب كان المطلوب من اليهود، يهودا هامين ذوي علاقات عالية وموثوقين وتستطيع كلماتهم أن تقضي على تخوف اليهود وتهدئ قطعانهم رجالا ونساء وأطفالا ريثما يتم إعدادهم وتسليمهم إلى أوشفتز.[90]

لذلك وقع إختيار الألمان على رودولف كاستنر ممثل الوكالة اليهودية وعضو في مباي حزب بن غوريون هذا الحزب الذي سكت طيلة أيام الحرب عن مذابح اليهود في أوروبا وهذا يعني أنه سيسكت أيضا على أي أمر يقع ليهود هنغاريا.

يصل آيخمان في صبيحة اليوم التالي إلى بودابست ويشرع فورا في إجراء مفاوضات مع كاستنر الذي يصفه آيخمان بأنه شاب في مثل سنه ومحام بارد الأعصاب وصهيوني متعصب وبعد حوار يوافق كاستنر على ما يلي:-

---

88 المصدر السابق.

89 Perfidy, Page 96

90 Ibid, Page 98

1. المساعدة في جعل اليهود لا يقاومون عمليات الترحيل.
2. يضمن أن يحافظ اليهود على النظام في معسكرات التجمع.

مقابل ذلك يغض آيخمان الطرف عن السماح لبعض مئات من اليهود بالهجرة إلى فلسطين بأسلوب لا شرعي.

في العشرين من شهر حزيران سنة 1944 أبلغت إذاعة لندن عن وصول مبعوثين إلى تركيا من قبل الحكومة الهنغارية ليقدما إلى ممثلي الحلفاء العرض التالي من الحكومة الهنغارية: (سيسمح لجميع اليهود الباقين على قيد الحياة في هنغاريا بالخروج مقابل تقديم كميات محدودة من المعدات الطبية وسيارات الشحن من إنكلترا وأمريكا. على أن تتعهد ألمانيا بعد إستخدام هذه المواد على الجبهة الغربية). لا يمكن إماطة اللثام عن إسمي المبعوثين الآن، وتعتبر الدوائر البريطانية العلمية هذه الصفقة محاولة فجة لإضعاف الحلفاء الذين يعرف تجاوبهم مع يهود هنغاريا. وإن هذه الصفقة من شأنها خلق إختلاف بين الحلفاء، ولا توجد إمكانية مهما كانت بسيطة لأن توافق الحكومتين البريطانية والأمريكية على الدخول في مفاوضات من هذا النوع رغم رغبتهما الشديدة في تقديم العون ليهود هنغاريا.[91]

إن المعلومات التي أوردتها الإذاعة البريطانية ليست دقيقة، وقد صححها السيد (بادر) مدير وزارة التطوير الزراعية الإسرائيلية من خلال شهادته في محاكمة كاستنر حيث قال: (لقد عرض آيخمان صفقة على (جويل براند) مساعد كاستنر والمبعوث الذي حمل العرض، وقد سمى آيخمان هذه الصفقة بـ (دم مقابل البضائع والبضائع مقابل دم) وتتضمن هذه الصفقة إنقاذ حياة مليون يهودي هنغاري ينقلهم أحياء خارج هنغاريا دون أي أذى مقابل:-

1. ألف طن شاي.
2. ألف طن قهوة.
3. عشرة آلاف شاحنة.

---
91 Ibid, Page 209

ثم يتابع بادر شهادته فيقول: (كان رد فعلنا الأول أن العرض خدعة وخطة شيطانية حقودة، إلا أن براند أخبرنا أن آيخمان قرر تأجيل قتل إثني عشر ألف يهودي يوميا لمدة أسبوعين حتى يفسح المجال لبراند أن يبتدئ المفاوضات مع الزعامة الصهيونية. وأكد لنا براند أن عودته إلى هنغاريا السريعة هي في غاية الأهمية إذ أنها توضح لآيخمان أن دراسة العرض أمر جدي وإذا عهاد إلى بودابست سيتم إطلاق سراح مئة ألف يهودي مقدما للتدليل على رغبته (آيخمان) في إتمام الصفقة.[92]

تأخرت عودة بران إلى بودابست إلى ما بعد الأسبوعين إستنادا إلى تعليمات وردت من الوكالة اليهودية في القدس التي كانت تدرس تقريرا شاملا عن مهمته، وترتب على هذا التأخير وصول سيل من الرسائل من يهود هنغاريا تستصرخ عودة براند الفورية وحذرت أن الإبادة ستباشر بنسبة أكبر إذا لم يعد براند. وفي نفس الوقت إستمر إصرار الممثلين البريطانيين في تركيا الذين كانوا على إتصال معنا على ضرورة إخراج براند من تركيا وأعلمونا أنهم لن يعرقلوا سفره إلى فلسطين إذا رغب في تقديم تقرير شخصي إلى الوكالة اليهودية.[93]

وأثناء إجتيازه الحدود التركية تم إعتقاله من قبل السلطات البريطانية في حلب حيث حضر موشي شاريت واجتمع به بحضور ضابط مخابرات بريطاني واستمر إعتقاله أربعة أشهر ونصف، الأمر الذي جعل عرض آيخمان يسقط بتجاوز المدة المحددة لعودته وهكذا إنتهى يهود هنغاريا.

أما جويل براند نفسه فهو يروي القصة بطريقة أخرى، وهو الذي حاولت الحكومة الإسرائيلية أن تمارس عليه بكل الوسائل ضغوطا حتى لا يتقدم للمحكمة بشهادته في قضية كاستنر، وعندما أخفقت في ذلك سرقت منه عدة وثائق هامة تفيد المحكمة وتنيرها، ولكنه عندما إستدعي للاستجواب أدلى بما يلي: (في منتصف شهر نيسان عام 1944 وقبل شهر تقريبا من سفري إلى تركيا أخبرني أحد العملاء الألمان أن أنتظر في زاوية شارع في بودابست، إذ علي أن أقابل آيخمان، وبعد نصف ساعة إقتادني إلى

92 Ibid, Page 210

93 Ibid, Page 213

مركز قيادة آيخمان وأدخلني إلى غرفته، وقد حفرت الكلمات التي قالها في ذاكرتي وستبقى حتى يوم موتي. قال لي: هل تعرفني؟ إنني الرجل الذي أنجز العمل (أي الإبادة) في ألمانيا والنمسا وبولونيا وسلوفاكيا. وواجبي اللاحق هو هنغاريا لقد دققت في مدى إمكانية لجنة التوزيع المشتركة (التي ينتمي إليها براند وكاستنر) في إنجاز ما يجب عمله. وأود أن أبرم إتفاقية معك. دم مقابل البضائع وبضائع مقابل دم. والآن أخبرني من الذين تود إنقاذهم. النساء الحوامل؟ الرجال في ذروة رجولتهم؟ المسنون؟ الشباب؟ تكلم...[94]

وصل براند إلى استانبول فاعتقلته الشرطة التركية ثم لم تلبث أن أطلقت سراحه، وهنا خطر بباله أن يقابل السفير الأمريكي في أنقرة وهو رجل يهودي (شبتنهاروت) فلربما إستطاع إقناع دولته بتقديم المساعدة. إلا أنه لم يتمكن من مقابلته لأن القادة الصهاينة لم يستطيعوا أن يوفروا له الأوراق المناسبة للسفر. ولكنهم وعدوا أن يوفروا له أوراقا تمكنه من مغادرة الأراضي التركية إلى الأراضي البريطانية (سورية وفلسطين)، ولكن عليه أن ينتظر وصول شخصية صهيونية هامة. وفي نفس الوقت المحدد لعودته وهذا يعني أن عملية شحن اليهود إلى أوشفتز ستبدأ بمعدل إثني عشر ألفا كل يوم.

لذلك خطرت بباله فكرة مفاجئة، لماذا لا يسطر القادة اليهود في إستانبول وثيقة يوافقون بموجبها على الصفقة الضخمة من البضائع مقابل الدم اليهودي. ثم يحمل هذه الوثيقة ويطير عائدا إلى بودابست ويقدمها إلى آيخمان حيث سيتم إنقاذ مئة ألف يهودي فورا. يوافق القادة ويسطرون الوثيقة ويطير براند من الفرح. فقد نجح في مهمته وما عليه سوى تسليم الوثيقة... إلى آيخمان. إلا أن زملاءه يثنون عزمه عن السفر إذ كيف يغادر إلى بودابست دون مقابلة السيد شاريت وجها لوجه وشاريت هو يد حاييم وايزمان اليمنى، وبهذه الصفة يستطيع شاريت أن يضع الموضوع على أعلى المستويات السياسية ويعطيه الصفة الرسمية.

موشي شاريت لم يصل... لا يستطيع دخول تركيا. أنه ممنوع من الدخول هكذا قيل له مع أن التقارير الرسمية تؤكد أنه كان موجودا بها قبل عدة أشهر فقط. وبعد إنتظار مرير يبلغ بأنه بإمكانه السفر إلى حلب لمقابلة

94 Ibid, Page 219, 220

شاريت هناك، وهناك يبلغه شاريت أن من الضروري سفره إلى القاهرة وأنه لا ضرورة أن يعود إلى بودابست في الوقت الحاضر. وبالفعل تم إعتقاله من قبل البريطانيين في القاهرة فترة لا تقل عن أربعة أشهر إلى أن أطلق سراحه وعاد إلى فلسطين ولكن بعد أن تم الإجهاز بشكل نهائي على كل يهود هنغاريا.[95]

وهنا يؤكد براند في كتابه (الشيطان والروح) أن البريطانيين كانوا يرغبون إطلاق سراحه قبل هذا الوقت بزمن طويل إلا أن الذي أدهشهم (البريطانيين) أن الوكالة اليهودية أبرقت لهم قائلة (أخروا إطلاق سراحه) ثم يقول أيضا: لم تكن ثمة رغبة لإنقاذ شعبنا... إن الوكالة اليهودية حالت دون عودتي إلى هنغاريا.[96]

كيف إكتشف براند الخيانة؟ وما هي خيوطها؟ وبماذا خاطب وايزمان وماذا كان رد هذا عليه؟ وقبل هذا أو ذاك، من هو جويل براند. ولماذا وقع الإختيار عليه؟ ولماذا لم يكن رسول هذه المهمة كبير القوم وقائد الطائفة وزعيمها المعتمد كاستنر؟ ثم ما هي دوافع الألمان لعقد مثل هذه الصفقة؟

كان العرض في الأساس موجها لرودولف كاستنر باعتباره رئيس لجنة الإنقاذ اليهودية ومعتمد الوكالة اليهودية في هنغاريا وعضو حزب الممباي. إلا أن آيخمان إختار جويل براند عضو لجنة الإنقاذ ومساعد كاستنر حتى يبقى هذا إلى جانبه يؤدي دوره في المحافظة على الهدوء وحتى لا يشيع خبر قتل اليهود الهنغاريين فيلجأون إلى الثورة كما فعل يهود جيتو وارسو. ومن جهة أخرى عقد الضباط الألمان وعلى رأسهم آيخمان وكرومي وويسيلزني إجتماعا مع المجلس اليهودي في بودابيست وأكدوا لهم أن كل شيء سيستمر كما في السابق وأنهم (الألمان) لن يسمحوا لأحد بالتدخل في شؤونهم أوممارساتهم الدينية، وأنهم لن يسمحوا لأحد أن يتحرش بهم ما داموا يضعون نجمة داوود على صدورهم، وطلبوا من المجلس اليهودي إبلاغهم بكل صراحة عن أية شكوى يشعرون بها. والهام هو التعامل بين الطرفين القائم على حسن النية المتبادلة.[97] وفي نفس الوقت الذي خطط فيه الألمان لنقل عشرين ألفا

95 Ibid, Page 243

96 Shonfield, R.M. Page 37

97 Perfidy, Page 97

من أهالي قرية كلوج (الهنغارية) كان لا بد من إتمام العملية بمنتهى السرية فعمدوا إلى إحتجاز الـ (380) شخصا الذين غخناهم كاستنرمن أهل هذه القرية لإنقاذهم، ريثما يتم نقل الجميع إلى معسكرات الإعتقال، وكان الواجب الملقى على عاتق المختارين هو أن يهونوا على المغدورين الأمر ويحافظوا عليهم هادئين وآملين بالخلاص. وهذا ما تم فعلا إلى أن تم نقل آخر يهودي من كلوج في القطار المغلق وتسليمه إلى معسكرات الإعتقال. وبعد ذلك، وبعد أن إنتهت مهمة المختارين مظوا في قطارات خاصة ومروا عبر الجيتو المفرغ من أهله وخلال الشوارع الخالية باتجاه بودابست ومنها إلى (العالم الحر).[98]

من هنا يبدو أن جويل براند لم يكن داخل اللعبة التي يلعبها كاستنر ولم يكن يعرف حقيقة الدور الملقى على هذا الأخير. ولذلك فإن إختياره كان يقصد منه أحد أمرين:-

1. إما أن ينجح ويحقق الألمان ما يقصدون من وراء هذه المهمة.
2. وإما أن يفشل ويبقى خارج هنغاريا، وهنا يتمم كاستنر مهمته على الوجه المطلوب.

أما الإجابة على السؤال حول إكتشاف جويل براند خيانة (إخوانه) فإن الواضح أنه لم يستطع إكتشاف الخيانة في وقت مبكر وإنما إكتشفها بعد فوات الوقت على الرغم من وجود مؤشرات كثيرة وشواهد أكثر تدلل على الخديعة التي أدت إلى فشل بل إفشال مهمته عن سابق إصرار وتصميم وأبرز هذه الشواهد هي:-

1. حينما وصل براند إلى استانبول لم يستقبله أحد في المطار، رغم الإخطار المسبق للوكالة اليهودية بقدومه وعلمهم بخطورة المهمة التي قدم من أجلها.
2. لم توفر الوكالة اليهودية له الأوراق الرسمية اللازمة لسفره إلى أنقرة لمقابلة السفير الأمريكي اليهودي الديانة الذي كان يطمح براند إلى تفهمه لمهمته وإمكانية إسراعه في إبلاغ حكومته التي ستسرع بدورها- حسب قناعة براند- إلى إنقاذ اليهود.

---

98 Ibid, Page 174

3. بعد موافقة القيادة الصهيونية في إستانبول على تسليمه وثيقة الموافقة على الصفقة من حيث المبدأ. راحت هذه القيادة تماطله وتطالبه بتأجيل السفر بانتظار وصول موشي شاريت. ولو قبلوا باقتراحه لأمكنه إنقاذ مئة ألف يهودي فورا. وفي رواية آيخمان سيتم إنقاذ مئتي ألف يهودي فورا، كدفعة أولى تعبيرا عن حسن نية آيخمان، وذلك قبل وصول المعدات وحتى قبل الإعتماد النهائي من القيادة السياسية الصهيونية العليا في فلسطين.
4. عدم وصول شاريت إلى إستانبول برغم الإنتظار الطويل والمرير، ثم إعلان الزعامة الصهيونية هناك، إنه لا يستطيع الحضور بحجة أنه كان ممنوعا من دخول الأراضي التركية، في الوقت الذي تؤكد التقارير الرسمية أنه -أي شاريت- كان في تركيا قبل بضعة شهور. إن هذه المماطلة تعني أن القيادة الصهيونية كانت تعمل على إهدار الوقت لإنهاء المهلة المعطاة لبراند دون وصوله إلى حل أو جواب.
5. أبلغ براند من قبل مرافقه افريل المبعوث من قبل الوكالة اليهودية في تركيا أنه من الممكن أن يعتقله الإنجليز وذلك أثناء وجودهما في القطار وقبل وصولهما بقليل إلى الحدود السورية التركية.وهذه تظهر النية السيئة المرتبة له، إذ لو كانت النوايا حسنة لتم إبلاغه قبل أن يغادر استانبول وليس في الوقت الذي لا يستطيع فيه أن يقوم بأي جهد. ويثبت فيما بعد أن أيهود افريل هو نفسه الذي وشى ببراند للبريطانيين حيث إعترف (برلس أو بادر) أحد شهود قضية كاستنر.

وفي شهادته أمام محكمة القدس أثناء النظر بقضية كاستنر أكد براند أن ممثل أغودات إسرائيل (المتدينين) في لجنة الإنقاذ بتركيا وهو الحاخام يعقوب غريفل كان يشك بأن ممثلي الوكالة اليهودية أرادوا أن يخذلوا مهمته وحذره من الذهاب إلى فلسطين لأن البريطانيين سوف يعتقلونه إلا أن براند لم يصدق ولم يأبه لهذه التحذيرات.[99]

6. أبلغ موشي شاريت، براند- الذي أمضى يومين في ضيافة الإنجليز في سورية- أنه (براند) لا يستطيع البقاء في فلسطين، وإنما سيمر عبرها دون توقف إلى القاهرة حيث تم إعتقاله هناك، وفات وقت طويل

99 Shonfield, R.M. Page 76

(أربعة أشهر) قبل أن يخلي سبيله ويعاد إلى فلسطين، ولكن بعد فوات الوقت وانتهاء مشكلة اليهود الهنغاريين بنقلهم جميعا إلى معسكرات الإعتقال.

عاد براند إلى فلسطين- على الرغم من طلب الوكالة اليهودية عدم إخلاء سبيله- ليمارس نشاطه بكل قوة ويبدأ إتصالات حثيثة مع كل زعماء الصهيونية بإرسال الكتب والمذكرات والرسائل لقناعته أنه لا يزال بالإمكان إنقاذ اليهود ومن جملة من إتصل بهم كما أسلفنا- حاييم وايزمان- حيث أرسل له عدة رسائل... وبعد أربعة أشهر كاملة كتب له وايزمان الرسالة التالية:-

روحوبوت 1944/12/29 [100]

السيد براند - تل أبيب:

أرجو أن تعذرني عن التأخير في إجابة رسالتك- وكما أطلعت من خلال الصحافة - فقد كنت كثير السفر ولم يكن لدي الوقت الكافي منذ وصولي إلى هنا. قرأت رسالتك ومذكرتك ويسرني أن ألتقي بك أثناء هذا الأسبوع أو الذي يليه أي حوالي العاشر من كانون الثاني.

ستقوم الآنسة (أيتي) السكرتيرة بالإتصال معك لتحديد موعد اللقاء.

المخلص حاييم وايزمان

لقد إختلفت فيما بعد تعليقات زعماء الصهيونية على مهمة براند. فبعضهم أنحى باللائمة على الأمريكيين الذين رفضوا الفكرة من أساسها وبعضهم إعتبر المهمة من أساسها قصة خيالية.

فقد حاول ناحوم جولد مان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي أن يعمم اللوم على كل القيادة الصهيونية لأنها لم تذهب إلى كل الأبعاد في عملية

100 Ibid, Page 38

إنقاذ اليهود. إلا أنه يحول الإتهام أيضا إلى الأمريكيين -وهم في الواقع شركاء- لأنهم رفضوا العرض الألماني الذي حمله براند. ويدعي أنه إستعرض هذه القضية مع وزير خارجية أمريكا (ستيتنس) ولكن هذا إعتبرها منافية للإستراتيجية العسكرية الأمريكية. ثم يسوغ جولد مان سكوت الصهاينة على الموقف الأمريكي هذا بقوله: (لقد كنا مبهورين بمقولة أنه يجب ترك جنرالات الحلفاء في سلام حتى يخوضوا الحرب).[101]

ثالثا: يهود سلوفاكيا:

موقف آخر لصهيوني آخر وفي مكان آخر. خارج إطار الإحتلال النازي. في (العالم الحر) ينسجم كل الإنسجام مع موقف زملائه الذين أجهضوا عملية جويل براند وأحبطوها والذين رفضوا إفتداء سبعين ألف يهودي روماني بمبلغ بسيط من المال. هذا النموذج هو (سالي ماير) الذي عمل أثناء الحرب العالمية الثانية رئيسا للجنة المشتركة للتوزيع في سويسرا. وبحكم موقعه هذا فقد كان مسيطراعلى المقاليد المالية للصهيونية في دولة سويسرا المحايدة. حيادها هذا أعطاها موقعا ممتازا لتكون صلة وصل بين مناطق الإحتلال والمناطق الحرة. ومكانا صالحا لعقد الصفقات وتقديم الرشوات والتجسس. ولذلك كان سالي ماير بحكم موقعه هذا ضابط إرتباط -أو يفترض أن يكون كذلك- بين اليهود المضطهدين وبين إخوانهم. ينقل الرسائل ويتلقاها ويوزع الأموال. وباختصار يلعب دورا أساسيا وهاما في عمليات الإنقاذ التي يفترض أن تكون الشاغل للحركة الصهيونية واليهودية العالمية. باعتبارها (عمليات الإنقاذ) تشكل من مختلف جوانبها القضية الأكثر إلحاحا في الحياة اليهودية في تلك الحقبة الدقيقة والحرجة من الزمن.

إلا أن أمرا من هذا لم يحصل. ليس لأن سالي ماير غليظ القلب قاس. بل لأنه كان يتصرف ضمن خطة شاملة وضعتها الحركة الصهيونية وأحكمت تنفيذها وتطبيقها. فقام مندوبوها ورسلها في مختلف الأقطار بهذه المهمة عن قناعة تامة. وعلى الخصوص أولئك المطلعين على بواطن الامور وعلى حقيقة الحركة الصهيونية التي لا تعرف معنى الرحمة والإنسانية. ولا تفهم عقولهم إلا تنفيذ التعليمات التي آمنوا بأهدافها محكومين بالأسس التالية:-

101 The Israelis Founders and Sons By: Amos Elon, U.S.A 1972. Page 320

1. إن يهود الشتات في أوروبا محكوم عليهم بالفناء، إن هذا ما أكده حاييم وايزمان عندما قال: (أنهم غبار العالم الإقتصادي والأخلاقي وعليهم أن يتحملوا قدرهم ولن ينجو منهم إلا الأغصان اليانعة).
2. إن دماء ملايين اليهود المسفوكة هي زيت العجلات للدولة اليهودية المقبلة التي ستقوم في نهاية الحرب وهي المساهمة من جانب اليهود التي يقدمونها للمجهود الحربي للحلفاء وهي في نفس الوقت البطاقة التي سيلوح بها زعماء الصهيونية في مؤتمر السلام عندما يطالبون بدولة مستقلة.[102]
3. إذا كانت مصالح الغرب تتناقض مع الجهود المبذولة لإنقاذ جماهير اليهود فإن من الضروري أن تعطى هذه المصالح الأولوية على كل شيء.[103]
4. وحتى إذا لم يوجد مثل هذا التناقض فإن الأموال الموجودة تحت تصرف اليهودية العالمية ينبغي أن توجه نحو قنوات إقامة الوطن القومي في أرض إسرائيل، وإن عمليات الإنقاذ لا تشمل إلا نشطاء الصهيونية.[104]

قلة هم الذين يعرفون أنه في عام 1941 كان النازيون يخططون لترحيل يهود سلوفاكيا لإعدامهم في بولنده. فقد إتصل (سولومون غروس) بـ (وسيلسني) ممثل النازيين في بريسبورغ لمعرفة إمكانية إيقاف تنفيذ القرار عن طريق الرشوة، وسولومون غروس هذا هو أحد اليهود المتدينين من أتباع الحاخام وايز ماندل الذي كان يبذل جهودا مضنية لإنقاذ اليهود في سلوفاكيا وهنغاريا وغيرها. وكان الجواب بعد إستشارة رؤسائه إيجابيا شريطة أن تدفع الفدية ونفقات النقل من قبل اليهودية العالمية، وحيث أنه لم يكن بالإمكان نقل هؤلاء اليهود إلى فلسطين بشكل مباشر وغير مباشر، فق رفضت الوكالة اليهودية واللجنة المشتركة للتوزيع عقد مثل هذه الصفقة، وبالتالي رفضت إبداء أي إستعداد للدخول بمفاوضات حول هذا الموضوع، مما إضطر الحاخام وايز ماندل إلى عقد صفقة مباشرة مع عملاء النازية وذلك بعد أن بدأت عملية الترحيل بالفعل، وكانت شروط هذه الصفقة هي أن يدفع الحاخام مبلغ خمسين ألف دولار، يدفع نصفه فورا ويتم دفع القسط الباقي بعد سبعة أسابيع، وفي هذه الأثناء تتوقف

102 من الأعماق، الحاخام مران حاييم، ميخائيل دوف، وايز ماندل -عبري-، ترجمة لجنة الدراسات الفلسطينية صفحة 24.

103 Shonfield, Page 74

104 Ibid, Page 75

عمليات الإبعاد والترحيل، وفي حال الإيفاء بالقسط الثاني يلغى قرار الترحيل بشكل نهائي، إلا إن هذا يتطلب دفع مبلغ إضافي للحكومة السلوفاكية كرشوة، وهناك شرط آخر هو ان لا تجمع الأموال محليا وإنما لا بد أن تأتي من الخارج،[105] ويقدر الحاخام وايز ماندل أن ما تبقى من يهود سلوفاكيا هو في حدود ثلاثين إلى أربعين ألفا وهذا يعني أن إنقاذ الفرد يكلف بحدود مئة دولار فقط.

وبالفعل قد تم جمع نصف المبلغ في بريسبورغ -ولم يصل من الخارج- واستطاع الحاخام وايز ماندل أن يقنع النازيين بأن الأموال وصلت من الخارج. إن الذين جمعوا الأموال هم مجموعة من الحاخامين ورجال الدين الذين إقتنعوا بضرورة القيام بعملية الإنقاذ بعد أن وضعت عراقيل كثيرة في طريقهم من قبل الرابطة اليهودية التي كانت تتعاون بشكل دقيق مع الألمان والسلوفاك ضد إخوانهم وضد عمليات الإنقاذ. وكان على رأس الذين جمعوا هذا المبلغ الحاخام (بنيامين شلومو شتيرن) الذي كان يقوم بدور الرسول بين مجموعة الحاخام وايز ماندل وسالي ماير في سويسرا. وتم جمع مبلغ عشرة آلاف دولار سلمت للمسؤول السلوفاكي كرشوة. أما المبلغ الأول- وهو نصف المطلوب- فقد سلم إلى (فيللي) مساعد آيخمان.[106]

وهكذا توقفت عمليات الترحيل من سلوفاكيا وذلك بعد أن قتل ستون ألف يهودي بسبب رفض سالي ماير الإجابة السريعة على المراسلات العديدة التي كانت تصله مستغيثة به لإرسال باقي المبلغ حتى يتم إصدار الأمر بإيقاف الترحيل بشكل نهائي.

وأخيرا- وبعد طول إنتظار- وصلت رسالتان من سويسرا إحداهما بتوقيع سالي ماير والأخرى بتوقيع أحد العاملين في لجنة الإنقاذ وهو شوفالف. وبمراجعة الرسالة الأولى[107] نلاحظ أن سالي ماير أورد الحجج والنقاط التالية التي تسوغ له عدم الموافقة على تقديم الأموال المطلوبة للإنقاذ:-

---

105 من الأعماق - صفحة 24

106 المصدر السابق صفحة 26

107 Shonfield, R.M. Page76

1. إن مبلغ خمسين ألف دولار، مبلغ كبير من أجل دولة صغيرة مثل سلوفاكيا مع العلم أن الميزانية التي تلقتها- الطائفة- في العام الماضي من اللجنة المشتركة (J.D.C) لم تتجاوز بضعة آلاف من الدولارات.
2. إن القصص التي ترددونها لتسويغ حاجاتكم إلى المال والرسائل التي نقلتموها عن اللاجئين البولنديين وغيرهم ما هي إلا قصص مبالغ فيها، فهذه هي طريقة يهود أوروبا في طلب المال دائما (يقصد الإبتزاز).
3. لا توجد ثمة إمكانية قانونية في الوقت الحاضر لإرسال قرش واحد لأن أموال منظماتنا قد جمعت من أمريكا وهناك قانون يحظر إرسال الأموال إلى بلدان العدو وليس لدينا رغبة في تجاوز القانون.
4. إن ما يمكن عمله الآن هو تزويد يهود سلوفاكيا بأموال بصورة متقطعة بالإتفاق مع فروع المؤسسات الخاصة بالجباية في هنغاريا وذلك من الحساب القديم الموجود قبل صدور قرارات المنع في أمريكا .

إن الحجج والذرائع التي أوردها سالي ماير في رسالته ترد على نفسها بنفسها، فلربما كان المبلغ المطلوب الآن أكبر مما سبق أن قدم من معونات ليهود سلوفاكيا في العام الماضي أو الذي سبقه ذلك أن الحاجة لم تكن ضرورية وماسة كما هي في هذا العام الذي بدأ يتعرض فيه اليهود لامتحان صعب وعسير ألا وهو الذبح والإضطهاد والإبادة. وبالتالي فإن طلب مبالغ إضافية لا يعني أن اليهود السلوفاك يطلبونها لمزيد من الرفاهية أو الرخاء، وإنما لافتداء إخوانهم وإنقاذهم. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القصص التي يرويها الزعماء عن المذابح قد تكون مبالغا فيها ولكنها أمر واقع. وبإمكان سالي ماير بما له من سلطة ونفوذ وبما يتمتع به من مركز مرموق في مجتمع حيادي أن يتحقق بنفسه من صحة الأنباء، ومن حقيقة ما يجري خلف الستار الحديدي النازي، رغم أن هذه الأنباء والقصص لم تكن بحاجة إلى تأكيد أو نفي لأن السياسة النازية المعلنة أصبحت معزوفة منذ ان تبوأ هتلر سدة الحكم في ألمانيا في مطلع عام 1933. يضاف إلى هذه السياسة كل الإجراءات القمعية والقوانين العنصرية والفاشية التي تبناها الرايخ بين الفترة والأخرى ضد اليهود. وفوق كل هذا وذاك إعلان تطبيق الحل الأول النازي والذي يقضي بتهجير اليهود من ألمانيا ومن كل منطقة تصلها قواتها، ثم تطبيق الحل الثاني بتجميع اليهود في معسكرات الإعتقال وأعمال السخرة.

كل هذه المعلومات المعلنة والمعروفة في كل أنحاء الدنيا تعتبر كافية ليقتنع سالي ماير -إن أراد أن يقتنع- بضرورة مساعدة اليهود وإنقاذهم، وفي أسوأالظروف العمل على تأجيل موعد إبادتهم لعل ضروفا مواتية تأتي أو تنتهي الحرب أو أن يقع ما لم يكن بالحسبان.

أما التسليح بقانونية أو عدم قانونية إرسال الأموال (الأمريكية) إلى بلاد العدو فهي حجة مردودة لأن الصهيونية إستعملت أموالا طائلة في عمليات إنقاذ المقربين والمحسوبين والمطلوبين لمشروعها في فلسطين دون أن تضع في الإعتبار أن هذه الأموال ذهبت إلى مناطق الأعداء أو مناطق الأصدقاء.

نظرا لأهمية الرسالة الثانية التي وصلت في نفس المغلف مع الرسالة الأولى والتي كتبها ناتان شوفالف فإننا نثبتها هنا بنصها[108]: (إنني أكتب للأصدقاء الذين يجب عليهم دائما أن يتذكروا الأمور الأكثر أهمية، وهي الأساس الذي يجب أن يكون نصب أعيننا، في النهاية سينتصر الحلفاء وبعد الإنتصار سيقسمون العالم من جديد بين الشعوب، كما حصل بعد الحرب العالمية الأولى، عندما فتحوا أمامنا الطريق لنخطو الخطوة الأولى، بعد نهاية الحرب يجب علينا أن نبذل كل الجهود من أجل أن تصبح أرض إسرائيل دولة إسرائيل. وقد تمت خطوة هامة في هذا الشأن. أما بالنسبة للصرخات التي تأتي من بلادكم فإنه يجب علينا أن نعلم أن جميع الشعوب المنتمية للحلفاء تقوم بدفع ضريبة الدم غاليا. وإذا لم نقدم نحن الضحايا... بماذا إذا سنشتري حقنا حتى نتقدم إلى مائدة المفاوضات حيث تقوم الدول بتقسيم الشعوب والبلاد بعد الحرب. ولهذا فإنه من الحماقة وحتى الوقاحة- من جانبنا- أن نسأل هذه الشعوب والدول التي تدفع ضريبة الدم الآن أن تسمح لنا بإحضار نقودها إلى دولة عدوة من أجل المحافظة على دمائنا.. لأنه بالدم فقط ستكون لنا البلاد والوطن. هذا كل ما يتعلق بالجمهور (عامة الناس) أما فيما يتعلق بكم أنتم (أبناء الجمعية) فيمكنكم أن ترحلوا ومن أجل ذلك سأرسل لكم النقود بالطرق السوداء بوساطة حامل هذه الرسالة.. (التوقيع - شوفالف-) إنتهت الرسالة).

إن الأمر الأكثر أهمية هو إنتصار الحلفاء -من وجهة النظر الصهيونية- والحقيقة أن الإنتصار هو الأكثر أهمية ولكن أليس هناك ما هو أقل أهمية؟

108 من الأعماق - صفحة 40

إن إنتصار الحلفاء وانتظار هذا الإنتصار ونتائجه لا يعني إغفال أمور أخرى هي بمستوى الإنتصار. إذ ما فائدة القائد المنتصر إذا خسر شعبه. إننا نناقش الأمور هنا ضمن إطار المنطق في نفس الوقت الذي نفهم فيه الواقع.

نقطة ثانية وردت في هذه الرسالة حول تضحية الشعوب وضرورة التضحية باليهود. فما دامت الشعوب الأخرى تقدم الضحايا من أجل النصر فما على الصهيونية إلا أن تضحي باليهود من أجل الجلوس مع المنتصرين والمطالبة بدم هؤلاء (المضحى بهم) ليجلس بعدها الجميع على قدم المساواة... وهذا هو الثمن الذي سيشتري الصهاينة الوطن القومي به. لذلك فكلما إزدادعدد الضحايا -أو المضحى بهم- كان حق الصهاينة في وطن قومي أكبر وأكثر رسوخا.

وأخيرا فإن شوفالف يعتبر طلب النقود (الأمريكية) نوعا من الحماقة والوقاحة لغرض إنقاذ اليهود -عامة اليهود- إلا أنه في نفس الوقت يحلل إرسال نفس هذه الأموال، ومن خلال السوق السوداء لرحيل (القيادة) وإنقاذها. كيف يكون طلب الأموال نوعا من الوقاحة لإنقاذ عامة الناس ويكون مطلبا عادلا لإنقاذ القيادة؟ ربما كان إنقاذ القيادة قبل غيرها أمرا مقبولا من حيث المبدأ وهذا أمر معروف ومشروع، ولكن حينما يكون الحديث عن القواعد والأسس والمبادئ فإن الأمر عندها يحتاج إلى نقاش، حيث أن القرار القاضي بتحريم إرسال الأموال إلى مناطق العدو هو قرار عام وشامل وأي خرق له ينفي وجوده. إننا على الرغم من فهمنا الحقيقة وطبيعة الموقف الصهيوني من هذه القضية إلا أننا نرى أنفسنا مدعويين إلى إخضاع ظواهر هذا الموقف للمنطق والعقل. لذلك فإننا نرى أن هذا الموقف -من هذه الزاوية- مناف لكل عقل ومنطق.

يقول الحاخام وايز ماندل[109]: (لم يكن المال المطلوب لعمليات إنقاذ اليهود من القتل والإبادة فحسب، وإنما كان أيضا لتقديم العون (من أكل وكساء ودواء) لليهود المجمعين في المخيمات الثلاثة (سراد- نيفافوكي- فيهن) في سلوفاكيا، كما كانت الحاجة أيضا لإغاثة اليهود الهاربين المتجهين إلى هنغاريا ورومانيا. ولقد أوضحنا كل هذا بالتفصيل في الرسائل الموجهة إلى سالي ماير، وناتان شوفالف المسؤولين عن النظام الأعلى لليهودية العاليمة من أجل الجباية (الدزشئنط) والوكالة اليهودية في سويسرا، وقبل أن تأتي الرسالتان المشار

109 من الأعماق صفحة 38

إليهما أعلاه. كان الرسول يذهب ويعود مرات عديدة وهو خالي الوفاض من أي جواب مكتوب باستثناء جواب شفوي وصل مرة يقولان فيه، ليس لديهم الوقت الكافي للكتابة وسيكتبون فيما بعد).

وفي عام 1943 لاحت فرصة مناسبة لإرسال طرود الطعام والدواء والكساء لليهود في غيتوات أوروبا. فقام الصليب الأحمر الدولي بالتعاون مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، بحملة لجمع هذه الطرود تمهيدا لإرسالها. إلا إن الحركة الصهيونية عارضت الإقتراح وأحبطت الفكرة بحجة أن الصليب الأحمر الألماني هو الذي سيقوم بعملية الإستلام والتسليم.[110]

نتيجة لهذه المواقف فقد قتل الطاعون والجوع عشرات الآلاف في أحياء الغيتو وذلك قبل أن يبدأ النازيون عملياتهم. وكانت نسبة الوفيات بين الأطفال تتراوح بين 60-70% في أماكن مختلفة وهي ظاهرة مرعبة لا نظير لها. لو توفرت النوايا الحسنة كما توفرت طرق ووسائل إيصال الطرود عن طريق الصليب الأحمر أو بواسطة الدولة المحايدة مثل سويسرا وتركيا والبرتغال. وأرسلت هذه المواد لأمكن إنقاذ كل هؤلاء الأطفال. ولربما يسأل متسائل ولكن ما الفائدة؟ فإذا لم يمت هؤلاء من المرض أو الجوع أو العراء فإنهم سيموتون -وقد حصل- في معسكرات الإعتقال؟ والجواب على هذا هو أن صاحب الضمير الحي لا يمكن أن يترك طفلا يموت جوعا وإن كان يعرف سلفا أن هذا الطفل محكوم عليه بالموت. وإلا لماذا يقدم للإنسان المحكوم عليه بالموت كل ما يحتاج ويتمنى والناس تعرف وهو يعرف أنه بعد دقائق سيعلق على حبل المشنقة؟[111]

لئن كان موقف الحركة الصهيونية من يهود أوروبا هو الإصرار على التخلي عنهم بشكل كلي، ولئن كان موقف دول الحلفاء هو كذلك أيضا، فلم يكن موقف الهيئات والمنظمات والجمعيات الشعبية المسيحية منها واليهودية إلا موقف المتألم الذي حاول بذل ما يمكنه في سبيل إنقاذ أرواح الأبرياء ولكن محاولاتهم هذه كان مصيرها الإحباط من قبل الحركة الصهيونية التي أخذت موقفا حازما وصارما من أولئك التعساء.

110 Shonfield, R.M. Page 46

111 Shonfield, R.M. Page 44

رابعا: يهود من البلقان على ظهر سفينة:

تكررت مأساة يهود رومانيا وهنغاريا وسلوفاكيا في كل مكان في أوروبا تقريبا فما حصل لهؤلاء حصل لغيرهم في ألمانيا وبولونيا وكل دول البلقان.

على ظهر السفينة (الدانوب) تجمع بضع مئات من اللاجئين اليهود القادمين من البلقان وكان ذلك في شهر يناير 1940 وكانت وجهتمهم فلسطين هربا من السياط النازية التي كانت تلاحقهم، رفض قبطان السفينة متابعة سيره نحو فلسطين ما لم يدفع له الركاب كل ما يطلبه من الأموال أجرا له على المخاطرة المطلوبة، الأمر الذي دعا الحاخام (باروخ رابينوفيتش) رئيس طائفة (بناي ابراهام في ميرلاند) لأن يرسل نداء إلى (هنري مونيتور) النائب التنفيذي للنداء اليهودي الموحد يحثه على تقديم الأموال التي يطالب بها القبطان حتى يتمكن من متابعة طريقه وإيصال اللاجئين اليهود إلى فلسطين. ولكن جواب مونيتور الذي أرسله للحاخام رابينو فيتش يعتبر من الوثائق التاريخية الهامة التي تحدد معالم السياسة الصهيونية ونظرتها إلى عمليات الإنقاذ من حيث الهدف والوسيلة والأشخاص. ومن ثم المبادئ التي تقوم عليها هذه العمليات وقد وردت في الرسالة النقاط التالية[112]:-

1. ما دام هؤلاء المهاجرون لم يأتوا عن طريق الوكالة اليهودية ضمن برنامج الهجرة غير الشرعية الذي تمارسه، فإن الوكالة والمؤسسات المتفرعة منها لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عنهم.
2. إن معظم المهاجرين -على ظهر السفينة- من الرجال والنساء المسنين الذين لا يصلحون للإستيطان فلا مصلحة للوكالة بهم وليس ضروريا أن تتكلف أية مصاريف (تهدر) من أجلهم.
3. يدخل في موضوع الهجرة والتهجير التنافس الحزبي، إذ تشير الرسالة إلى أن التحريفيين (حركة حيروت- ليكود فيما بعد) يأتون بمهاجرين من المجرمين والعاهرات، هذا العمل أدى -كما يقول مونيتور- إلى تزايد نسبة الجريمة في فلسطين في السنة الماضية (1939).

112 Ibid, Page 89, 90, 91.

تشمل الرسالة أفكارا أخرى لا نرى ضرورة للإشارة إليها في هذا الموضوع وإنما سنعود إليها مرة أخرى وفي مكان آخر. إلا أن الذي نلاحظه وباختصار شديد أن الحركة الصهيونية تضع لكل مقام مقالا ولكل سؤال جوابا وتخترع لكل قصة ردا، حتى لا تحيد عن الأسس التي وضعتها لنفسها دون النظر لأي إعتبار آخر ضاربة عرض الحائط مصير أرواح الآلاف من اليهود.

خامسا: أطفال يهود هنغاريا:

ومن هنري مونيتور إلى ناحوم جولد مان صاحب المناصب العديدة في المؤسسة الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي حيث يروي بنفسه القصة التالية[113]: (تلقيت ذات يوم برقية من (جير هارت رينيه) مدير مكتب المؤتمر اليهودي العالمي في جنيف يشير فيها إلى أن الهنغاريين الذين كانوا عندئذ حلفاء الألمان، مستعدون لتحرير عدة آلاف من الأطفال لقاء ثلاثة ملايين دولار. ولم يكن لدى المؤتمر اليهودي مثل هذا المبلغ، ولكن لجنة التوزيع كانت تملكه.

وعندي أن الفصل بين السياسة والإحسان في زمن الحرب يعتبر من أكبر السخافات التي كانت تمارسها اليهودية الأمريكية، وكان بوسع هذه المؤسسة أن تتحالف مع المؤتمر اليهودي العالمي في هذا الموضوع. ولكن القائمين عليها رفضوا ذلك بحجة أن الإحسان شيء نقي صاف في حين أن السياسة وسخة قذرة... ثم دعونا عددا كبيرا من زعماء اليهود الأمريكيين- الذين ما زلت حتى اليوم أفضل إغفال أسمائهم- لكي أشرح لهم الموقف فهتفوا مستغربين كيف يكون ذلك؟ أترسل أموالنا إلى العدو؟ إننا لا نستطيع أن نغامر بذلك دون إذن رسمي. وأجبتهم أن روزفلت سيسمح حتما بذلك وما عليهم إلا أن يمضوا للطلب منه قالوا: كيف نستطيع نحن اليهود أن نشير على روزفلت بتقديم إعانة مالية للألمان؟ أجبت: ولكن ماذا تعتقدون أن يفعل هتلر بثلاثة ملايين دولار؟ لا ريب أن الأمر يتعلق بموظف يعمل لحسابه أو لحساب منظمة مشابهة. ومع ذلك رفضوا أن يذهبوا لمقابلة روزفلت وتركوا الأمر لي ولستيفين وايز. مضينا نقابل السيدة روزفلت وهي إمرأة رائعة كانت تقوم بدور وسيط في القضايا الدقيقة أبلغتنا السيدة روزفلت أن الرئيس لا يعارض

---

113 المفارقة اليهودية - ناحوم جولد مان - ترجمة لجنة الدراسات الفلسطينية سنة 1979 صفحة 123 ، 1224.

في التحويل، إذا كان وزير الدولة (كورديل هول) يوافق على ذلك. وهذا الوزير كانت عواطفه معتدلة تجاهنا... تعهد وزير المالية (هنري مورجنتو) بالتوسط لديه. ولكن لم يحصل شيء... حلال ثلاثة أشهر كانت الخارجية الأمريكية تعرقل المشروع مستخدمة بذلك كل الحجج البيروقراطية اللازمة لتأخير القرار ولما قبل الوزير أخيرا كان الوقت قد فات... ذلك أن الأطفال كانوا قد حملوا إلى منافيهم. ومرة أخرى كان لليهود الأمريكيين موقفهم المتميز... كانوا مستعدين لإعطاء المال ولكنهم يرفضون أن (يوسخوا) أنفسهم سياسيا).

لا شك أن جولد مان- بعد هذه السنين- يذكر هذه الحادثة ويخجل من نفسه ومن زملائه. ولذلك يرفض أن يعلن أسماء الذين إلتقوا معه والذين رفضوا فكرة الإنقاذ لأنهم في نظر القانون قبل الإنسانية يعتبرون مجرمين لا بد أن يحاسبوا... فلا فرق بين من آذا إنسانا وبين من رفض أن يرفع الأذى عن إنسان وهو قادر.

القسم الثاني

إخفاء المعلومات

نحاول أن نوضح الموقف المتكامل الذي قامت به الصهيونية تجاه مذبحة اليهود في أوروبا إبان الإحتلال النازي. بحيث نركز على العناصر الرئيسية لهذا الدور والتي كان منع المال عن اليهود أحدها، ولكن لم تكن هذه العناصر أولها ولم تكن آخرها. فجميعها شكلت الدور الكامل الذي أصبح يشبه إلى حد كبير الجريمة الكاملة التي يتحدث عنها قانون الجزاء تلك الجريمة التي تختفي معها كل عناصرها وكل فاعليها وشهودها وإثباتاتها وتسجل بعد ذلك ضد مجهول. وكان يمكن أن تسجل المذبحة اليهودية ضد مجهول. ضد هتلر ونظامه الذي إنتهى إلى غير رجعة، ولولا قلة من شرفاء العالم يهود وغير يهود، شهدوا على ما شاهدوه وتحدثوا عنه ورددوه لمن حولهم وبدأت قطرات الماء تتجمع حتى أصبحت سيلا جارفا وبدأت أصابع الإتهام توجه إلى المجرمين... كل المجرمين. إلى أفعالهم كل أفعالهم. في هذا القسم سنتحدث عن جزء من دورهم. عن الجانب الإعلامي الذي خنقوه... عن الأصوات التي كتمت قبل أن تتحدث، قبل المذبحة وأثنائها وبعدها. إلى يومنا هذا...

وبلغت المنظمة الصهيونية أوج تطورها في عام 1939 حيث كان لها فروع وممثلون في جميع دول العالم التي يسكن فيها اليهود ما عدا الإتحاد السوفييتي، وسيطرت هذه المنظمة على الكونغرس اليهودي العالمي الذي كانت رئاسته مؤلفة من الصهاينة وكان رئيسه ستيفن وايز عضو القيادة الصهيونية، وكانت في نفس الوقت على علاقة جيدة مع وكالات الأنباء والصحافة اليهودية، وكانت لها وكالة أنباء خاصة بها (فالفور) يضاف إلى كل هذا فإنها كانت تسيطر على قاعدة نشطة وفعالة لدى يهود فلسطين. كل هذا خلق شعورا لدى زعماء هذه الحركة بأن لهم صلاحيات واسعة كبيرة تستند إلى حقهم في تمثيل اليهود والتحدث باسمهم. ولكن التنسيق لم يكن موجودا دائما بين إستخدام حقوق التمثيل وبين الشعور الفعلي بمسؤوليتهم عن مصير اليهود الذين يمثلونهم.

يقول إسحاق غرينبوم[114] كلما زاد الحديث عن ذبح شعبنا فإن هذا يعني التقليل من شأن جهودنا لتعزيز وتشجيع تهويد الأرض.

إن إسحاق غرينبوم الذي رفض مجرد الحديث عن المذابح التي وقع ضحيتها اليهود، أعلن قبل ذلك[115] في شهر ديسمبر 1942 (أن أصداء قاتمة ترددت حول ذبح اليهود في بولونيا وقد وصلت هذه الأصداء إلى إسرائيل بطرق مختلفة وكان من الصعب جدا تصديق هذه الإشاعات. وقد سألنا مكتب الوكالة في جنيف وسألنا حاخام الدولة في السويد والدكتور اهرون فرايزر من جنيف، أنه من الصعب أن نعلن الأشياء التي حدثت وذلك خوفا من الألمان. كان ذلك في الخريف من عام 1942 وفي نفس الوقت وصل إلى القدس البروفسور (فوط) الذي كان يشغل منصب ممثل بولونيا في روسيا والذي حصل من الحكومة البولندية في لندن على بيانات وتقارير كانت قد أرسلت إليه من قبل الحركة السرية البولونية وقد جرى التصديق عليها بشكل عام بالنسبة لمقتل اليهود. وأحضرت بيانات غير أكيدة عن الطرد الجماعي. إلا أن مجموعة من اليهود وصلت إلى إسرائيل وأعطت بيانات مفصلة).

إن ما أعلنه غرينبوم مليء بالمغالطات التي لا بد من التركيز عليها بالملاحظات التالية:-

1. عندما إرتفع هتلر إلى سدة الحكم في ألمانيا عام 1933، أعلن سياسته العنصرية الواضحة من اليهود وسبق أن حددها في كتاب كفاحي.

وتبع ذلك سلسلة من الإجراءات التي بدأت بعمليات التهجير الإقتصادية (إتفاقية هعفارا) ثم إنتقل إلى مرحلة أخرى هي معسكرات الإعتقال بعد قوانين نورنبورغ ثم الحل النهائي الذي بدأ يمارسه فعلا في ألمانيا وغيرها. لذلك فحينما يتحدث غرينبوم عن الإشاعات التي تصل الإشاعات القابلة للتصديق والتكذيب، فهذا يعني أحد أمرين، إما أن الصهيونية لا تريدأن يقال أنها تعرف الحقيقة لتسير الأمور في مجراها المرسوم، وإما أنها فعلا ليست

114 Shonfield, R.M. Page 26

115 الصهيونية بعد رفض أوغنده وخلال الإضطهاد النازي - شباتاي بيت تسفي - دار برونغمان ، تل أبيب 1977 (بالعبرية) صفحة -301 313

لديها المعلومات الكافية حول هذه الأخطار وهذا ما يكذبه إمتلاك المنظمة الصهيونية العالمية لكل الوسائط التنظيمية والإعلامية والعلاقات السياسية والدبلوماسية المنتشرة في كل مكان.

2. ثم يذكر غرينبوم أنه لم يعلن هذه المعلومات خوفا من الألمان، ولم يحدد لماذا يخاف من الألمان، هل يخاف أن يجهزوا على كل اليهود؟

إن هتلر يطبق الحل النهائي في كل بلد يصل إليهاوعلى كل اليهود وليس هناك مجال للخوف، بل على العكس من ذلك فإن فضح النظام الهتلري بكل وسائل الإعلام وأمام الرأي العام الدولي، إن فضحه قد يردعه وقد يجعله يتردد كثيرا في السير حتى النهاية. ولكن كان هناك جانبان للصورة، الأول يمثله هتلر ومساعدوه والذين قرروا إستغلال الظروف الخاصة للحرب من أجل إضطهاد اليهود في أوروبا حتى ينجحوا في هذا لا بد من المحافظة على السرية التامة، ولذلك عملت أجهزة غوبلز على تضليل أجهزة الإعلام الغربية والتشويش عليها حتى لا تصل المعلومات الصحيحة إلى الرأي العام. وأما الجانب الآخر فهو الحركة الصهيونية التي كانت ترحب بالتضليل وتستغل التمويه وتستفيد منه حتى تحلل نفسها من مسؤولياتها باعتبارها تتصدى لتمثيل كل اليهود في الوقت الذي لا تدافع عنهم. إن ترحيبها بالتضليل يعفيها من مسؤولية الدفاع بحجة عدم العلم والمعرفة.

3. لتأكيد معلوماته التي وصلت إليه والتي أعطاها عبارات عامة مثل (التصديق العام) و (البيانات غير الأكيدة)، لتأكيد هذه المعلومات أرسلها إلى مندوبيه في جنيف والسويد. ولم يبين ماذا كان رد هؤلاء... ولكن يبدوا أن الأمور تسير بشكل معكوس إذ يفترض أن تكون البيانات قد وردته أصلا من السويد وجنيف لأن المندوبين هناك أكثر إلتصاقا واطلاعا وقربا. وهم أقدر على الحصول على المعلومات الدقيقة. ولديهم هذه المعلومات إذ أن سالي ماير المعتمد الصهيوني في جنيف مثلا كان محط أنظار يهود أوروبا كلهم، وكانت الرسائل تصل إليه أولا بأول سواء من هنغاريا أو رومانيا أو غيرها باعتباره المسؤول عن توزيع الأموال وصلة الوصل مع الجميع، ولو عدنا إلى مكان الحاخام فايسماندل وزملائه لرأينا عشرات الرسائل[116] بل

---

116 من الأعماق - ملحق الرسائل

مئات منها تصل إلى سويسرا وإلى لندن وإلى تركيا وإلى كل مكان تشرح أدق التفاصيل وتوضح كل ما يحصل.[117]

4. لقد جاء من يؤكد هذه المعلومات من الناجين من المعتقلات ولم تعد هناك حجة أو ذريعة تحول دون فضح السياسة النازية ومع ذلك ومنذ عام 1942 وحتى إنتهاء الحرب بقي الوضع على حاله ولم تتحرك أجهزة الإعلام الصهيونية وحتى أجهزة الإعلام الغربية، إلا بالقدر الذي تضطر معه إلى تسريب بعض المعلومات التي لا تستطيع إخفاءها ولكن بأسلوب يجعل القارئ لا يأخذها بشكل جاد أو يجعله مشوشا، نظرا لتناقضها الأمر الذي يحول دون تركيزه وبالتالي دون إتخاذه موقفا حاسما تجاه هذه الأخبار أو تجاه القيادة الصهيونية.

في محاكمة (إسرائيل كاستنر) التي تمت في محكمة القدس عام 1953 تلى المحامي الإسرائيلي شمويل تايمير رسالة موجهة إلى الحاخام وايزماندل يتحدث فيها عن المذابح التي يتعرض لها اليهود ويورد تفاصيل دقيقة عن الوقائع والأحداث. هذه الرسالة كما أسلفنا هي إحدى مئات الرسائل التي أرسلها الحاخام وغيره،[118] وفيها يستنتج خلاصة الموقف الصهيوني في الخارج بعد أن يئس من إستنهاض هممهم في القيام بأية عملية إنقاذ. أو العمل على فضح الموقف الألماني من خلال وسائل الإعلام، ويتأكد مرسلها أنهم لن يقوموا بشيء وأنه إنما يسجل ذلك للتاريخ... يقول في رسالته:

(... أنتم أخوتنا في فلسطين وفي جميع الدول الحرة، وأنتم يا كهان الممالك، كيف تصمتون أمام هذا القتل الفضيع والإجرام صمتا شاملا، بينما وصل عدد القتلى اليهود حتى الآن إلى ستة ملايين، تصمتون إلى الآن بينما يتم نقل عشرات الألوف للقتل، إن قلوبهم -قلوب الضحايا- تنشد مساعدتكم، إنهم يندبون حظهم، متوحشون أنتم بل قتلة أيضا، لأن صمتكم وبرودتكم يرافق مراقبتكم للقتل وأنتم تقفون مكتوفي الأيدي دون عمل رغم قدرتكم على وقف تأجيل قتل اليهود وفي هذه الساعة بالذات، باسم دماء آلاف الآلاف الذين قتلوا نطلب ونستصرخ ونصيح، ونرجوا أن تقوموا بأية خطوة وأي عمل فوري، على جميع كهان الممالك وجميع الدول أن يصرخوا بصوت عام يصم آذان

---

117 الصهيونية بعد رفض أوغنده ، صفحة 96 ، 97

118 Perfidy, Page 141, 142

العالم وآذان الشعب الألماني والشعب الهنغاري بأن يوجهوا إنذارا إلى المجرمين الألمان يعلمونهم بكل ما جرى في الماضي وما زال يجري حتى الآن. وعلى البابا ذاته أن يشارك بهذه الصرخة الغضبى ضد القتلة الألمان ليذاع هذا النداء في جميع الإذاعات ويقرأ في جميع الصحف العالمية ما لم يتوقف الألمان عن قتل يهود هنغاريا فورا فلتطرد ألمانيا وإلى الأبد من دائرة الحضارة المدنية).

إن تامير يعلنها صريحة وفي قاعة المحكمة،[119] وأنه يتهم المؤسسة الرسمية الصهيونية في فلسطين بأنها صمتت على مقتل ستة ملايين يهودي أوروبي وذلك حتى لا يعرض أعضائها أنفسهم للخطر.

الصحافة الصهيو نية:

إننا نستنتج من هنا أن الموضوع لم يكن خوفا. لا بد أن أسبابا أخرى كانت تحول دون إتخاذ موقف من قبل الوكالة اليهودية. هذه المؤسسة التي مارست لجم وسائل الإعلام، وإن كانت جميع وسائل الإعلام مشغولة بشكل دائم بخطب الزعماء وبالمواضيع المحلية والحرتقات الحزبية. التي كانت تبرز يوميا. الخطب الطويلة لبن غوريون وشاريت، تتحدث مطولا عن تحركات القادة الصهيونيين بالتفصيل وبعناوين بارزة.

أما تفصيلات إبادة اليهود ومشاكل الإنقاذ فلم تشر إليها البتة بل على العكس من ذلك فقد نشرت دافار (صحيفة الهستدروت حاليا) الناطقة الرسمية باسم الوكالة اليهودية إفتتاحية عنوانها (النفي النازي للإبادة له أساس معقول، لم يبد العدد الذي كنا نخشاه). وكذلك فعندما قربت لحظة إبادة يهود هنغاريا إمتلأت الصحف بالتعليقات والإفتتاحيات لا ضد الإرهاب النازي وإنما ضد إرهاب الأرغون. ويبرز هذا بشكل واضح في مرحلة دقيقة من مراحل المذبحة التي أصابت يهود هنغاريا.

في شهر أيار ونيسان عام 1944 نشرت الصحف أحاديث بالنصوص الكاملة لبن غوريون ومواضيع أخرى لم تأت إطلاقا على ذكر هنغاريا. وهذه نماذج من مواقف هذه الصحف:-

---

119 Ibid, Page 145

1. يوم 4/11 إبتدأ تجميع اليهود في هنغاريا. تبرز الصحافة خطابات بن غوريون ضد الإرهاب الموجه للإنكليز ولم يذكر هنغاريا إطلاقا.
2. يوم 5/9 قرب موعد نقل (12000) يهوديا يوميا إلى أوشفتز في نفس الوقت ينعقد مؤتمر يهود فلسطين وعلى جدول أعماله موضوع الإنتخابات فقط.
3. يوم 5/11 آخر الأيام قبل إبتداء الشحن، بن غوريون يخطب دون أي ذكر للوضع في هنغاريا.
4. يوم 5/15 إبتدأ النقل إلى أوشفتز ويصل ذروته.. شاريت يخطب، دون ذكر هنغاريا.
5. يوم 5/21 هو اليوم السابع للشحن الذي سينجز خلال عدة أيام. وبن غوريون يخطب دون أي ذكر لهنغاريا.
6. يوم 5/23 يرسل[120] أهود أفريل من إستانبول أول برقية عن الخطر المحدق بمليون يهودي، ولكن بعد ثمانية أيام تنشر دافار خبرا صغيرا حول الموضوع وينعقد مجلس حزب المباي ولا يصدر عنه أي رد فعل.

حتى منتصف شهر تموز 1944 إستمر قادة الوكالة اليهودية في حظر المعلومات بإصرار فبدلا من أن يضعوها عناوين رئيسية في الصحافة ليثيروا اليهود وغير اليهود، بدلا من ذلك تطمس هذه الأخبار وتحجب عن أبصار الرأي العام. والسبب في ذلك يعود إلى أن جماهير اليهود عندما تعرف الأخبار المرعبة، وما يحدث في هنغاريا ستفهم مدى وحشية وتآمر قادتها وتواطئهم مع جلادي إخوانهم.[121]

كان هذا موقف الصحافة اليهودية في فلسطين من حيث عدم إبرازه للمعلومات سواء بالتعليقات أو بالتحليلات حتى لا يحرض الرأي العام اليهودي والعالمي على القيادات القابضة على زمام الأمور.

ولكنها تشير بأسلوب جانبي وعرضي إلى الأخبار التي ترد إلى فلسطين دون أن تعلق عليها، يضاف إلى أن مثل هذه الأخبار لم تكن لتتناقلها كل الصحافة بحيث تنقلها صحيفة وتهملها الأخريات. وذلك لتوحي للقارئ

---

120 Ibid, Page 146, 147

121 The Jewsin Guardian, Brooklyn, U.S.A. 1975, Issus 6

العادي بعدم الثقة فيها والتقليل من أهميتها ومن ثم عدم أخذها بالجدية المتوقعة. وسنتناول هنا موقف صحيفتين من كبريات الصحف اليهودية في فلسطين ولنتحدث عن أشد الفترات خطورة ودقة وهي العام 1942. أما الصحيفتان فهما دافار وهآرتس[122]:-

أ. دافـــــار:

1. جاء في العدد الصادر في 1942/1/28 وفي صفحة داخلية من الصحيفة المذكورة أن الموت في وارسو بالنسبة لليهود بلغ (9) أضعاف الذين يموتون من السكان غير اليهود. ففي شهر تموز عام 1941، بلغ عدد الذين قتلوا (3459) شخصا وانخفضت النسبة المئوية للولادة بمقدار أربعة أضعاف عن نسبة مجمل السكان.
2. وجاء في عددها الصادر في 1942/1/30 بيان قصير وموضوع داخل إطار أسود ما يلي: تم تنفيذ حكم الإعدام بـ (15) يهوديا آخر في وارسو بتهمة خروجهم من الجيتو دون ترخيص، ولقد نقل هذا البيان عن الصحيفة النازية (وارسو تسايتونغ).
3. وفي عدد 2 شباط نشرت ما يلي: موت مخيف ليهود رومانيا بلغ عدد الذين ماتوا من اليهود خلال عام 1941 (165000) ألف يهودي وقد مات في وارسو نفسها (72279) يهودي من بينهم (7419) ماتوا في شهر تموز.
4. وفي 3 شباط نشرت الصحيفة خبرا تحت عنوان: بلغ عدد اليهود في غيتو لودج (173) ألف يهودي، حسب ما تقول الصحافة الألمانية، وحسب ما ذكرت الصحافة النازية فإن هناك حوالي (20) ألف يهودي يعملون بأعمال المصالح النازية.
5. وجاء في عددها الصادر يوم 4 شباط أن شبابا من اليهود قاموا في صربيا وحملوا السلاح وأطلقوا سراح بعض اليهود من المعسكرات وأخذوهم إلى مكان آمن يقع تحت سيطرة الضابط (ميخالوبيش).
6. وكتب يوم 8 شباط أن دماء اليهود تسيل كالماء، لقد إنخفض يهود فيينا حتى وصل (40) ألفا بعد أن كان عددهم (70) ألفا.[123]

---

122 الصهيونية بعد رفض أوغنده صفحة 40.

123 المصدر السابق صفحة 40

ب. صحيفة هآرتس 28 تموز 1942:
نشرت صحيفة هآرتس تحت عنوان (مقتل 6800) يهودي في غيتو وارسو ما يلي[124]:

لقد إبتدأ الألمان بطرد جماعي لليهود في غيتو وارسو من أجل إبادتهم، هذا ما تقوله البيانات التي حصلت عليها الحكومة البولونية من لندن. وتم إلصاق المناشير في الشوارع التي تتحدث عن الأوامر الصادرة بطرد (6800) يهودي إلى مكان مجهول في شرق بولونيا...

(ملاحظة: لم ينشر هذا البيان في صحيفة دافار، ومع ذلك فليس هناك فرق في الخطة الإعلامية التي قدمتها الصحيفتان إلى القراء).

إن المعلومات التي نشرتها الصحف وخاصة الصحيفتان المذكورتان كانت توحي بما يلي:-

1. كانت المعلومات قليلة سواء فيما يتعلق بحجمها أو إبرازها.
2. إن محرري الصحف كانوا يمثلون رجال السلطة في البلاد فهم يتظاهرون بعدم تصديق هذه المعلومات والبيانات ولم يريدوا أن يصدقها الجمهور حيث كانت تهدف هذه البيانات تعويد القارئ على أرقام كبيرة للقتلى لتغرس فيه عدم الثقة وبالتالي إلى تشويش أفكاره مما يشيع في النفس اللامبالاة، وهذا ما قامت به جريدة دافار بشكل رئيسي.
3. كانت الخطة الإعلامية لكل الصحف التي قدمت للقراء واحدة. وسارت الصحف على نمط واحد في تقديم الأنباء وإبرازها وإخفائها مما يتناسب مع تضليل الجماهير.
4. حيث أن الصحف لم تستطع حجب البيانات عن الجمهور لأنها كانت تنشر في مختلف وسائل الإعلام العالمية، لذلك إتفق على النشر بأسلوب لا يثير إهتمام الجمهور بل يشغله عنها بأمور أخرى.
5. لم تتبن جميع الصحف بيانا ما. وكثيرا ما كانت تهمل البيانات الهامة لتوحي للجمهور بعدم صحتها.

124 الصهيونية بعد رفض أوغندة صفحة 42

6. حينما كانت الصحف تذكر أو تنشر بعض البيانات، كانت تنشرها كما هي دون أي تعليق. وهذا يؤكد ان هيئة التحرير كانت لا تثق بهذه البيانات وبالتالي لا تعيرها أية أهمية.
7. إن الأعمدة والمقالات التي خصصت لمشكلة يهود أوروبا لم تستند إلى بيانات أكيدة فهي من جهة تقوم بعمليات وصف مثيرة ومن جهة أخرى كانت تعمد إلى التهدئة والتشكيك وعملية التهدئة لم تقم بها الصحافة فحسب بل جميع المراسلين والكتاب والمعلقين والخطباء والمحاضرين والزعماء السياسيين من المستويات كافة، حيث كانوا يقومون بتحذير الناس كأن يقولوا لا يوجد شيء، إن هذا الأمر مخيف ولكن ليس لهذه الدرجة فما بين عشية وضحاها سوف تنتهي الحرب وسنعثر على الرجال والأشخاص الذين فقدناهم.[125]

المواقف الرسمية:

إن الصحافة الصهيونية عندما ضربت على الرأي العام ستارا على العتيم فإنها كانت بذلك تنفذ سياسة رسمها الزعماء الكبار. ولق إعترف بهذا حاييم لاندو في الكنيست الإسرائيلي عام 1966، عندما قال: الواقع أن الوكالة اليهودية كانت تعرف أنباء الإبادة في عام 1942 والحق أنا لم تصمت فحسب بل أسكتت أولئك الذين كانوا يعرفون.[126]

ولذلك، فإذا أردنا أن نستعرض بيانات الوكالة اليهودية أو تصريحات الزعماء الصهاينة أمثال بن غوريون وشاريت وغيرهما لوجدناها خلوا من أية إشارة للمذابح في الوقت الذي كان العالم كله يتابعها، وفي الوقت الذي يقف قساوسة المسيحيين ورجال الدين وغيرهم في دول الغرب معلنين السخط على النازية.

1. بيانات الوكالة اليهودية:

في يوم الإثنين 23 نوفمبر 1942 صدر بيان في إحدى الصحف الإسرائيلية صادر عن الوكالة اليهودية، وقد أحدث هذا البيان هزة عنيفة لدى الجمهور

---

125 الصهيونية بعد رفض أوغندة صفحة 53

126 الصهيونية ودورها في السياسة الدولية - هايمان لومر - دار الطباعة الحديثة - القاهرة سنة 1974 صفحة 101.

لأنها المرة الأولى التي يصدر فيها بيان رسمي من جهة رسمية عن عمليات الإبادة.[127] وقد إعتمدت الوكالة في بيانها هذا على شهادة مجموعة من اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين ضمن نطاق المبادلة التي جرت بين مواطني بريطانيا ومواطني مستعمراتها من جهة ومواطني ألمانيا من جهة أخرى. وكان من بين هؤلاء يعقوب كورتس الذي كان على صلة وثيقة بالأحداث في أوروبا وكانت لديه معلومات جديدة ومثيرة لما كان يحدث ليهود بولونيا. ولذلك كان هذا الرجل أهم مصدر إستمع إليه مندوبوا الوكالة اليهودية وكذلك إستمع إليه مندوب الحكومة البولونية في المنفى الذي كان يقيم في ذلك الوقت في فلسطين.

لقد أشار بيان الوكالة المستقى من شهادة كورتس إلى بعض الوقائع والأرقام والإحصائيات ولكنه حذف كثيرا من المعلومات المثيرة والتي إضطر كورتس لنشرها فيما بعد في كتاب أسماه (كتاب الشهادة) بعد أن شعر أن رجال الوكالة اليهودية مصممون على عدم تصديقه بعد أن وجهوا له إتهاما بأنه يحاول أن يخدع الناس بمعلومات غير صحيحة، وأنه لا هم له إلا بث التشويش والإشاعات واختلاق الأقوال من الأجل الإساءة إلى القيادات. ولذلك فقد تم حذف أي أمر يتعلق بمصير يهود غيتو وارسو من البيان وهو ما أشار إليه كورتس بالتفصيل، كذلك أهملت الإشارة كليا إلى كل ما يتعلق بـ (حلمينو) وطرابلنكا. وكذلك فإن البيان حينما تعرض إلى ذبح الأطفال والشيوخ لم يتطرق إلى مصير غيرهم إلا بعبارات غامضة توحي بأنهم يعملون في أماكن عمل مجهولة.

وهذه أبرز النقاط التي جاءت في البيان:-

أ. تلقت مديرية الوكالة اليهودية في القدس نقلا عن مصادر مطلعة وموثوقة بيانات مفصلة حول أعمال الذبح التي لحقت بيهود بولونيا ويهود أوروبا الوسطى والغربية الذين تم طردهم إلى بولونيا.

ب. تقوم لجنة من قبل السلطات النازية بالتجول في مدن بولونيا بالتخطيط لذبح الأطفال والشيوخ.

---

127 الصهيونية بعد رفض أوغندا صفحة 98

ج. تسجل هذه اللجنة الشباب المؤهلين للعمل وإرسالهم بمجموعات إلى جهة مجهولة حيث لم يعرف لهم أي أثر وقامت هذه اللجنة في أمكنة متفرقة بجمع النساء اليهوديات وإرسالهن إلى الغيتو.

د. أشار البيان إلى أرقام تتعلق بنقصان عدد اليهود في عدة مدن وغيتوات.

ه. تشير المصادر الموثوقة إلى أن عمليات الطرد ما زالت مستمرة لليهود من مدن أوروبا الوسطى والغربية.

و. أنهت الوكالة بيانها بالعبارة التالية: (لقد ناقشت الوكالة اليهودية في جلستها أمس هذه البيانات واتخذت عدة قرارات وقررت القيام باتصالات خارجية من أجل يهود أوروبا وتم إنتخاب لجنة خاصة للقيام بهذه النشاطات.

2. موشي شاريت:

تبوأ في الحركة الصهيونية مواقع ذات تأثير بالغ ولعب دورا لا يقل عن زملائه في عملية الإخفاء،[128] فقد أدلى بتقرير بتاريخ 1943/5/18 أمام إجتماع اللجنة الصهيونية بعد عودته من زيارة لكل من إنكلترا وفرنسا حول أخبار المذبحة والظروف التي أدت ببريطانيا وأمريكا إلى عقد مؤتمر برمودا وفي التقارير كثير من المغالطات والتشويه والتسويغ لتقصير القيادة الصهيونية وادعائها بالجهل، وهذا نص التقرير:-

(إن واجبي يتطلب أن أقدم لكم تقريرا يتعلق بزيارتي لكل من إنكلترا وأمريكا.. عند خروجي من البلاد في نهاية نوفمبر من العام الماضي حملت معي الأخبار المرعبة التي وصلت إلى البلاد عن طريق بعض شهود عيان وهم اللاجئون الذين تمكنا من إطلاق سراحهم من جحيم النازيين، كما تمكنا من إحضارهم إلى البلاد ضمن نطاق المبادلات. وكنت أعتقد أن الصورة المرعبة التي ظهرت لنا ستكون مفاجئة بالنسبة لأصدقائنا في لندن ولكني على العكس وجدت أصدقائنا يعلمون بالتفصيل ماذا حدث في أوروبا).

(كانت صحافة لندن وصحافة المدن الفرعية مغمورة بالبيانات والمقالات التي ترددت حول الأخبار المرعبة التي جاءت من أوروبا وقد إحتل هذا الموضوع مركز الصدارة بالنسبة لاهتمام الجمهور، وقد وصلت إليه المعلومات بالتدريج خلال عدة أسابيع وربما خلال أشهر ولكن هذه المعلومات لم تنشر في الصحافة

---

128 الصهيونية بعد رفض أوغنده صفحة 98

حيث لم تكن هناك رغبة للفت نظر الجمهور إليها، وبالتالي لم تكن هناك رغبة لعرضها أمامه).

(وعندما وصلت هذه الأمور إلى هذه النقطة أثناء سير الحرب تم تشكيل مؤسسة من أجل الإنقاذ، وقد وقف على رأس هذه المؤسسة زعماء الأديان وكان رئيسها مطران كنطر بوري إلا أن هذه المؤسسة لم تفلح في إشراك ممثل للحكومة البريطانية في أعمالها، حتى أن الحكومة البريطانية لم ترسل مذكرة تأييد لاجتماعات هذه المؤسسة وكانت وجهة نظر الحكومة في إهمال هذه الجهود وتجاهلها هو (كما تدعي) خشيتها أن تصبح هذه القضية ورقة بأيدي العنصريين في إنكلترا حيث سيضاعف هؤلاء دعايتهم لإقناع الناس أن هذه الحرب حرب يهودية).

كان هذا بيان شاريت الذي يسير على نفس المنحى الذي سارت عليه بيانات ومواقف غيره من الزعماء ويمكن أن نرد عليه بالنقاط التالية:-

أ. إن إشارته إلى أن المعلومات التي وصلت هي فقط ماحصلوا عليه من اليهود الناجين من النازية نتيجة التبادل فهل يعني هذا أن المعلومات الأخرى التي غمرت البلاد والتي أشارت إليها وسائل الإعلام لم تكن حقيقية؟ وهو في هذه الحالة أراد أن يقنع نفسه بأن المعلومات المتوفرة لديه هي المعلومات الوحيدة في العالم ولكنه فوجئ أن أصدقائه في لندن لديهم أدق التفاصيل عن كل شيء. ولكنهم كانوا عقبة طيلة الوقت في وجه إعلام الجمهور لما قد يحدث ليهود أوروبا شأنهم في ذلك شأن رفقائهم في كل من جنيف ونيويورك والقدس الذين عرفوا منهم والذين لم يعرفوا، والذين سمعوا والذين لم يسمعوا، ها هو شاريت يعلن أخيرا أن القدس عملت بأنباء الكارثة.

ب. إذا كان في الحكومة البريطانية من يخشى إعلان مثل هذه الأخبار حتى لا يعطي ذريعة للعنصريين، حتى لا يقال أن الحرب هي لمصلحة اليهود فإن الإذاعة البريطانية[129] قد قامت بدور آخر حيث نشرت أخبار الكارثة، يضاف إلى ذلك الإجتماع الذي تم في 29 أكتوبر سنة 1942 والذي تليت فيه مذكرة التضامن التي صدرت عن تشرشل.

129 المصدر السابق صفحة 97

كذلك فإن شاريت لا يستطيع الإدعاء أنه لم يسمع باجتماع آخر عقد قبل شهرين، ففي الثاني من شهر سبتمبر سنة 1942 تم عقد إحتماع من قبل حزب العمال إشترك فيه وزراء خارجية كل من بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا والنرويج، وممثلون آخرون عن دول مختلفة وكان الخطيب الأساسي في هذا الإجتماع هو شمويل زجلبيوم الذي وصف -كما تقول الصحافة- أساليب إبادة اليهود وصفا مثيرا.

ويبدو أيضا أن شاريت تجاهل النبأ الذي أذيع في 7 تموز سنة 1942 والذي أكد أن وزير الإعلام البريطاني (بردوم براكل) أعلن أمام الصحافيين وصادق باسم الحكومة على البيان المتعلق بإبادة (700) ألف يهودي في بولونيا وصرح في هذا اللقاء قائلا: (عندما يعلن عن أعمال الألمان المخيفة في بولونيا سوف يسمع العالم أشياء مذهلة لم تحدث في التاريخ).

وإذا كان شاريت يعرف الإنكليز جيدا فإنه يعرف تماما أن الحكومة البريطانية لو أرادت أن تخفي عن الجمهور الأخبار المتعلقة بالكارثة، فهي غير قادرة على ذلك وهي لا تستطيع أن تخرس صوت الحكومة البولونية التي كانت تقيم في لندن والتي كانت مصدرا أساسيا للمعلومات، وهي لم تتمكن من فرض الرقابة على الصحافة فيما يتعلق بمسألة ليست عسكرية كمقتل اليهود.

3. دافيد بن غوريون:

لم يتردد رئيس المنظمة الصهيونية بن غوريون في التصريح بأن البيانات التي نقلت حول مقتل يهود بولونيا قد وصلت متأخرة جدا وحتى حينما وصلت لم يرغب أحد بتصديقه واستمر الجميع يكذبوه، كان ذلك بعد سنتين من وصول كل هذه المعلومات وانتشارها على مستوى واسع في كل أجهزة الإعلام العالمية في ذلك الوقت، والحقيقة أن بن غوريون نفسه لم يكن راغبا في أن يصدق أو يترك الآخرين يصدقون مثل هذه المعلومات ولا ننسى أنه في الوقت الذي كان فيه موجودا في أمريكا وصلت برقية (غرهارط رغنر) مدير مكتب الكونغرس اليهودي العالمي في جنيف التي تتحدث بالتفصيل عن الجرائم التي ترتكب ضد اليهود في بولونيا وكان تاريخ هذه البرقية هو 1942/8/15 وقد ورد فيها ما يلي:[130]

130 المصدر السابق صفحة 78

(قبل زمن قصير جاء شخص معين وأدلى بتقرير عن المذابح الجماعية التي حدثت في لفوف وكذلك عن إستشارة السكان في بولونيا ليتصرفوا بشكل غير ودي تجاه اليهود المحليين هناك).

وجاء شخص آخر أمس أي في 1942/8/14 وهو ينتمي إلى أصل آري من بولونيا وهو موثوق جدا أدلى بالبيانات التالية:-

(إن غيتو وارسو هو الآن بحالة دمار ويتم أخذ اليهود دون تفريق في العمر أو الجنس كمجموعات من الغيتو المذكور ويتم إطلاق النار عليهم ويصنع من جثثهم وعظامهم الزبل ومن أجل هذا الهدف أيضا فإنهم يخرجون الجثث من القبور).

(إن هذه المذابح الجماعية لا تجري في وارسو نفسها ولكن في مخيمات أنشئت خصيصا لهذا الغرض ولا يوجد مخيم من هذا النوع في بلزاس وفي لفوف حيث تم فيها ذبح (50) ألف يهودي خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة. وفي وارسو حسب ما يشير تقرير آخر تم ذبح (100) ألف يهودي ولم يبق أي يهودي في كل المنطقة الواقعة شرقي بولونيا بما فيها الأراضي المحتلة التابعة لروسيا. وذكر أن سكان (سيسبتول) غير اليهود قد ذبحوا أيضا. إن المذابح لا تتم دفعة واحدة لئلا يلفت ذلك إنتباه الناس خارج البلاد. وفي الوقت الذي يتم فيه طرد الهولنديين والفرنسيين والآريين إلى الشرق ويتم إنقاذهم. فإن اليهود المطرودين من ألمانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وسلوفاكيا يذبحون وحتى لا تثار ضجة حول ذبحهم يتم طردهم إلى الشرق أي إلى مكان لا يلفت إنتباه الدول الخارجية. إن معظم اليهود الذين تم نفيهم إلى ليطا ولوبلين قد ذبحوا خلال الأسابيع الأخيرة).

(هذا وتجدر الإشارة إلى أنه لا يسمح لهؤلاء المطرودين بكتابة رسائل. وأن قسما كبيرا من هؤلاء المطرودين من ألمانيا موجودين الآن في (تزريا نشطط). إلا أن هذا المكان عبارة عن محطة مؤقتة بحيث عندما يخلوا مكان الذبح يجري إرسال دفعة جديدة. وذلك بوساطة قطارات مملوءة بالمطرودين الذين يتم نقلهم بوساطة عربات القطار (المخصصة للبقر) وكل عربة تحتوي على (40) شخصا. وتستعين السلطات النازية بأبناء منطقة (ليطا) غير اليهود ليقوموا بنقل

اليهود. يضاف إلى ذلك أن النازيين كانوا يستعدون أبناء هذه المناطق وخاصة في لفوف ووارسو على اليهود بحيث إنقطعت كل علاقة بين الطرفين).

(إن السكان اليهود الموجودين في لفوف ووارسو يعيشون على أمل وحيد هو أنه عما قريب ستفتح جبهة جديدة من الغرب أو ربما تنتهي الحرب بمعجزة قبل حلول فصل الشتاء. إن اليهود في بولونيا يطرحون السؤال التالي: من المعروف أنه يوجد أكثر من (4) ملايين ألماني يعيشون في أمريكا ومن بين هؤلاء مليونان يؤيدون الإشتراكية القومية، فلماذا لا تتخذ أمريكا وسائط قمعية ضدهم ولهذا السبب فإن يهود بولونيا يتذمرون من أمريكا ويقطعون الأمل منها. إنهم يعرفون أن إنكلترا لا تتخذ مثل هذه الإجراءات خوفا من مصير أسرى حربها ولكن ليس هناك ما يسوغ سياسة أمركيا).

(إن موقف الأوساط الحكومية الفرنسية معاد لليهود وقد سلمت فرنسا لألمانيا ألفين من هؤلاء اليهود. إننا نؤكد على ضرورة أن تتخذ أمريكا موقفا من الألمان الموجودين في أمريكا، لأن مثل هذا الموقف من شأنه أن يكون ذا أهمية بالغة).

التوقيع - غرهارط ريغنز

وصلت هذه البرقية وبن غوريون موجود في أمريكا، ولا بد أنه إستمع من ستيفن وايز إلى كل الحقائق التي كانت تصل إليه، وعلى الرغم من كل ذلك فحينما عاد إلى فلسطين في 8 أكتوبر سنة 1942 والتقى للمرة الأولى بالصحفيين في الوكالة اليهودية تحدث معهم عن مواضيع مختلفة تتعلق بأمريكا واليهود الأمريكيين وانشاء حكومة يهودية في المنفى، أما عن الكارثة فلم يتفوه بكلمة واحدة عنها وتجاهلها كل التجاهل.[131]

وفي 15 أكتوبر سنة 1942 ألقى بن غوريون أمام اللجنة الصهيونية العاملة محاضرة طويلة ومفصلة إلا أنها خصصت لموضوع (مشروع عمل صهيوني ويهود أمريكا). أما موضوع كارثة يهود أوروبا فقد ورد في جملة واحدة فقط عندما أشار إلى وصول زعماء إلى أمريكا، وتحدثوا عنها ولم يزد عن ذلك بكلمة واحدة.

131 المصدر السابق صفحة 103

وعقد إجتماع آخر لنفس اللجنة بتاريخ 10 نوفمبر وساهم بن غوريون في هذا الإجتماع الذي كان إستمرارا لسابقه وكان موقفه كمواقفه السابقة أيضا من أبناء الكارثة.

ولكن في الثلاثين من نوفمبر عقد إجتماع آخر في القدس ونقل عن بن غوريون حديث موجز ومهم عن أخبار الإبادة قال فيه: (إننا لا نعلم بالضبط ماذا يجري في أروقة الموت النازية. لقد تم قتل بعض اليهود وحرقهم أحياء. إن المشنقة النازية حافلة بآلات إطلاق النار والجلادين الخبراء. ولكن لا توجد تفاصيل وإن كنا نعلم ماذا يدبر هتلر لشعبنا وماذا كتب في كتابه (كفاحي). ثم إنتقل بعد ذلك إلى الإجراءات المطلوبة عن (تخليص الأطفال) وفتح باب البلاد للقادمين. وقد كرس معظم حديثه لهدفه الأساسي في إنشاء جيش يهودي، ثم ختم حديثه بالتوجه إلى يهود الغيتوات قائلا: (إننا نتوجه بكلماتنا الأخيرة إلى أخوتنا وأخواتنا الأعزاء المأسورين في الغيتو النازي ونقول لهم أن مصيبتهم هي مصيبتنا ودمنا هو دمهم وسنبذل كل ما بوسعنا من أجل الثأر لدمائهم ولن نستريح حتى نخلصهم من جحيم النازية ومن المهاجر العفنة وننقلهم إلى بلادنا التي يتم تأسيسها الآن).

وهذه مجموعة من البرقيات التي أرسلت إلى جهات صهيونية مختلفة، بقي أصحاب هذه البرقيات حسني النوايا حتى آخر لحظة في حياتهم إعتقادا منهم أن إخوانهم في (الديمقراطيات الغربية) وفي غيرها سيجدونهم في اللحظات الأخيرة الحاسمة:-

أ. ذكر (اجي راكوفسكي في صحيفة شاندرا مولديخ)[132] بعددها الصادر يوم 1968/4/18 أنه في شهر كانون الثاني سنة 1943 أرسلت برقية بوساطة ارميا كرايونا في لندن من قبل اللجنة القومية اليهودية البولونية إلى ستيفن وايز وناحوم جولد مان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي تقول:

(نخبركم بأكبر جريمة عرفها التاريخ، لقد جرت إبادة أكثر من ثلاثة ملايين يهودي، أيها الأخوة الأعزاء من يبق على قيد الحياة من يهود بولونيا يشعر

132 الصهيونية بلا قناع - ايفان دونيف - دار الفارابي - بيروت - 1974 صفحة 48

انه في أحلك سنوات تاريخنا. لم تقدموا لهم يد المساعدة. أستجيبوا لهذا النداء.. إننا ندعوكم إليه لآخر مرة).

ب. وفي العشرين من إبريل 1943[133] وبعد نشوب إنتفاضة غيتو وارسو تلقت لندن برقية لا سلكية موجهة إلى عضو المجلس القومي اليهودي زيغيلباوم وشوارتزيارد تتضمن نداء إستغاثة وقوبل هذا النداء بالصمت المطبق.

ج. وبرقية أخرى وصلت لندن بتاريخ 1943/5/11 تقول[134] إن الملحمة البطولية توشك على نهايتها وتجري الآن عمليات القضاء التام على الجماعات اليهودية في الأقاليم أيضا ويقابل عالم الحرية والعدالة كل هذا بالصمت المطبق. إنه شيء غير محتمل. أخبرونا فورا بالإجراءات التي تتخذونها).

د. في عام 1942 كان الدكتور غرهارط ريغنر[135] رئيس دائرة المؤتمر اليهودي العالمي في جنيف إبان الحرب أول من أبلغ سفارة أمريكا في برن بما يلاقيه اليهود في بولونيا، وأرسل عبر السفارة إلى وزير الخارجية الأمريكي كوردي هول معلومات وإحصائيات عن معسكرات الإبادة، ولكن هذه المعلومات قوبلت بمنتهى الشك.

ه. نشرت صحيفة (حيروت) في عددها الصادر يوم 1964/5/25 مقالا بعنوان (التاريخ سيدين زعماء الوكالة اليهودية) جاء فيه:-

(كيف لنا أن نوضح حقيقة أن قادة الوكالة اليهودية وزعماء الحركة الصهيونية الذين كانوا موجودين في فلسطين قد إلتزموا جانب الصمت. لماذا لم يرفعوا أصواتهم عاليا، لم يتوجهوا بالنداء عن طريق إذاعة الهاغاناه السرية إلى اليهود الذين يعيشون في أحياء الغيتو وفي المعتقلات، وفي الأماكن المأهولة كي يهربوا إلى الغابات ويعلنوا الإنتفاضة ويخوضوا النضال ويحاولوا الخلاص. إنهم -أي زعماء الصهاينة- بصمتهم هذا قد تعاونوا مع الألمان بشكل لا يقل عن أولئك السفلة الذين سلموهم كل قوائم الأشخاص الذين كان مصيرهم الإبادة. إن التاريخ سيصدر حكمه على ما يدعى بـ (اليودنرات) وعلى الشرطة اليهودية العميلة للألمان وسيصدر حكمه أيضا على زعماء الوكالة اليهودية والحركة الصهيونية)[136]

133 المصدر السابق صفحة 49
134 المصدر السابق صفحة 49
135 المصدر السابق صفحة 49
136 المصدر السابق صغحة 51

هذه نتائج مختلف لمواقف زعماء صهاينة من قضية الإبادة التي تعرض لها اليهود على يد النازيين ويبدو لنا واضحا أن المواقف على إختلاف أصحابها كانوا جميعا متفقين على عدم إثارة هذ القضية أمام الرأي العام وتعمدوا إخفاء المعلومات كافة التي كانت تصل إليهم حتى يعفوا أنفسهم من إتخاذ إجراءات جذرية وضرورية. ولعلنا نلاحظ أن مختلف البرقيات والأخبار والمعلومات كانت تمر عبر (الدول الديمقراطية) وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا إلا أن هذه الدول أيضا لم تحرك ساكنا ولم تتصرف ولم تعلن شيئا إلا إذا إضطرت إلى ذلك تحت وطأة إنهمار هذه الأخبار والبيانات عندئذ تصبح مواقفها الإعلامية بصورة تشكيكية بكل الأخبار التي ترد ثم توكد للجماهير أنها ستنتقم للضحايا والقتلى كنوع من التخدير والتمويه.

وهنا نعود مرة أخرى إلى أقوال ناحوم جولد مان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي الذي أقر علانية (بأننا جميعا مذنبون لأننا لم نذهب إلى كل الأبعاد في عملية إنقاذ اليهود. لقد كنا مبهورين بمقولة أنه يجب ترك جنرالات الحلفاء في سلام حتى يخوضوا الحرب إلى النهاية.[137] إلا أن جولد مان كان أكثر صراحة في حديث آخر عندما قال:[138] إذا كان هناك من يمكن أن يتهم (وهناك بالتأكيد الكثير) فإن الإتهام يجب أن يوجه إلى يهود العالم الحر. ولنا جميعا. نحن وكل قياداتنا فشلنا في الإمتحان أثناء فترة المذبحة.

ولكن الإتهام الرئيسي بسبب الموقف السلبي في وجه هجمة الإبادة لا يوجه إلى الحكومات الديمقراطية. لا أنسى اليوم الذي إستلمت فيه برقية من غيتو وارسو موجهة إلى الحاخام ستيفن وايز. أن يهود الغيتو يسألوننا لماذا لا يجلس يهود أمريكا ليل نهار على سلالم البيت الأبيض لكي يجبروا رئيس الولايات المتحدة أن يعطي أوامره بقصف معسكرات الإعتقال والسكك الحديدية التي تؤدي إليها. نحن ترددنا في القيام بأي عمل لأن معظم القادة إعتقدوا أنه من الضروري أن لا نعطل الجهود الحربية للحلفاء بقيامنا بالمظاهرات.[139]

137 Amos Elon, Page 233

138 Shonfield, Page 99

139 Ibid, Page 98

القسم الثالث

الإختيار

لم يهاجر اليهود إلى فلسطين بشكل مجموعات كبيرة أو صغيرة إلا إذا كان الإرهاب سوطا يلهب ظهورهم ويدفعهم دفعا للبحث عن ملجأ أمين يلتجئون إليه وتطمئن فيه نفوسهم المرتعبة. ولقد كانت فلسطين -ولا زالت- آخر خياراتهم إذا إضطروا لمغادرة بلدهم الأصلي أو رغبوا في ذلك. ومنذ مذابح القيصر التي إستهدفت اليهود عام 1881 - 1882 كانت موجات الهجرات اليهودية تستهدف أمريكا وأوروبا الغربية دون أن يخطر بخلد أفراد هذه الموجات -إلا ما ندر- التوجه نحو فلسطين.

وبعد بدء الإنتاب البريطاني مرورا بنهاية الحرب العالمية الثانية وإقامة دولة إسرائيل، وصل إلى فلسطين نوعان من المهاجرين:-

أولا: النوع الأول:

هم المهاجرون (الشرعيون) أي أولئك الذين تحصل الوكالة اليهودية لهم على تراخيص دخول إلى الأراضي الفلسطينية من سلطة الإنتداب. وكان عدد هذه التراخيص يخضع أحيانا للظروف الأمنية في فلسطين أو لحاجة الإنكليز لمعونة العرب أو لتهدئتهم أو لكسب رضاهم كما حصل بالنسبة للكتاب الأبيض. إلا أن السياسة البريطانية كانت باستمرار تدعم إيجاد كثافة سكانية يهودية في فلسطين تحقيقا للوعد الذي قطعته حكومة بريطانيا على نفسها بموجب وعد بلفور. والواقع أن كثافة الهجرة لم تكن قبل صعود هتلر إلى سدة الحكم لتشكل مشكلة للحكومة البريطانية لأن الأعداد التي كانت تأتي إلى فلسطين لم تكن من الخطورة بحيث تضطر الحكومة البريطانية إلى تقنينها لولا الضغط العربي المستمر الذي إتخذ وجوها كثيرة بدءا من المطالبات السلمية وانتهاء بالثورات المسلحة والإصطدامات الدامية التي كانت تحصل بين الفينة والأخرى. ولكنها (الهجرة) كانت في الواقع مشكلة بالنسبة للحركة الصهيونية التي

حاولت بشتى الوسائل (إقناع) اليهود، الهجرة إلى فلسطين فإذا عرفنا أن خمسة ملايين يهودي هاجروا من أوروبا الشرقية بعد مذابح القيصر وخلال فترة خمسين سنة تقريبا، وأن ستين ألفا فقط من بين هؤلاء وصلوا إلى فلسطين، تأكدنا أن كثتفة الهجرة كانت أكبر مشكلة تواجه الحركة الصهيونية لانعدام العنصر البشري الراغب في ذلك. ومع صعود هتلر للحكم وممارسته اللاسامية ضد اليهود أصبح الأمل الذي إنتظرته الصهيونية طويلا قابلا للتحقيق، إلا أن نشوب الثورة الفلسطينية 1935 - 1939 وتوتر الأوضاع الدولية وارتفاع وتيرة الحرب أدى كل هذا بإنكلترا إلى إعلان الكتاب الأبيض الذي يحدد الهجرة بأرقام واضحة. ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تجمع العرب واليهود حول مائدة مستديرة في مؤتمر سان جيمس علها تجد حلا يهدئ الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط كي تتفرغ لما هو آت ومتوقع. وعندما أخفقت أصدرت في 17 من شهر أيار سنة 1939 الكتاب الأبيض الذي جاء فيه:[140] (قررت الحكومة إيقاف الهجرة اليهودية، وأن مبدأ القدرة الإستيعابية الإقتصادية المشترع في الكتاب الأبيض الصادر عام 1922 كان يجب إستبداله بمبدأ أساسي جديد. وأنها الآن -الحكومة- لا تستطيع أن تجد في الإنتداب أي دعم لوجهة النظر القائلة بأن الهجرة يجب أن يسمح لها بالإستمرار بشكل محدود، وأن القدرة الإستيعابية الإقتصادية يجب أن تكون الإعتبار الوحيد، فإن خشية العرب من هجرة يهودية غير محدودة، قد أخذت بعين الإعتبار أيضا في رسم سياسة الهجرة وتعتقد الحكومة أن توسيع الوطن القومي اليهودي بشكل غير محدود سيعني (الحكم بواسطة القوة) ولهذا قررت الحكومة أن لا تسمح بالمزيد من توسيع الوطن القومي اليهودي إلا إذا كان العرب مستعدين لقبوله، وسيتم تحديد الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة بالرقم (75000) مهاجر وهذا الرقم سيرفع نسبة عدد السكان اليهود إلى ما يقارب ثلث مجموع سكان فلسطين ولن يسمح بالمزيد من الهجرة اليهودية حين إنتهاء فترة السنوات الخمس، إلا إذا كان عرب فلسطين مستعدين لقبول ذلك، ولن تتعهد الحكومة بتسهيل أية تطورات أخرى فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي، عن طريق الهجرة بغض النظر عن رغبات السكان العرب.

140 الموسوعة اليهودية - مجلد 16 صفحة 484

لقد كانت الحكومة البريطانية منسجمة مع نفسها عندما أعلنت أن موضوع الهجرة إلى فلسطين يجب أن لا يخضع لأسباب إقتصادية فقط وإنما لأسباب سياسية، ولم تكن تلك الأسباب السياسية المشار إليها إلا الرغبة في تهدئة العرب بعد أن أصبح واضحا أن الحرب العالمية باتت على الأبواب، إلا أن المنظمات الصهيونية لم ترض بالسياسة البريطانية الجديدة وقررت أن تتصدى لها بتصعيد نشاطها في تنظيم الهجرة غير الشرعية حيث أنها كانت تسابق الزمن لتحسم المعركة الفلسطينية المقبلة لصالحها.[141] ومن هنا كان رفض المؤتمر الصهيوني الذي عقد في جنيف في آب 1939 للكتاب الأبيض، إلا أنه لم يقرر قطع الطريق على التفاهم مع بريطانيا، بل على العكس من ذلك فحينما وقعت الحرب العالمية الثانية في أيلول سنة 1939 بهجوم ألمانيا النازية على بولونيا وإعلان بريطانيا وفرنسا الحرب عليها، أعلنت القيادة الصهيونية وقوفها إلى جانب بريطانيا وكأن الكتاب الأبيض لك يكن. وهذا ما عبر عنه بن غوريون حينما قال:[142] (سنحارب الكتاب الأبيض وكأن العدوان الألماني لم يكن، ونحارب ألمانيا وكأن الكتاب الأبيض لم يكن).

ثانيا: النوع الثاني:

وهي الهجرة اللاشرعية التي أشرنا إليها والتي بدأت الحركة الصهيونية بممارستها قبل قيام الحرب العالمية الثانية، بل وقبل إعلان الكتاب الأبيض سنة 1939. ولكنها بلغت ذروتها في أعوام الحرب. وتشير المصادر الصهيونية إلى هذه العمليات على أنها نوع من البطولات الأسطورية اليت قامت بها المنظمات الصهيونية على عاتقها على الرغم من كل العراقيل التي وضعتها في وجهها سلطات الإنتداب البريطانية والدول الأوروبية الأخرى سواء منها المتعاونة مع النازية أو الدول التي كانت على الحياد. يضاف إلى هذا أن الحركة الصهيونية أطلقت على مثل هذه العمليات، عمليات (إنقاذ الأرواح) حتى توحي بأنها كانت تضع في أولى إهتماماتها الإنقاذ دون التمييز بين السن والجنس والرغبة والإنتماء. وفي وصفه الهجرة اللاشرعية يقول بن غوريون: (إنها قصة آلاف من الناس اليهود العاديين رجال ونساء وأطفال ومسنين وشباب ومتوسطي العمر، الذين تركوا بيوتهم وكل ما كان يعز

141 ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية - د. أميل توما - دائرة الإعلام والثقافة (منظمة التحرير الفلسطينية) سنة 1978 صفحة 166.

142 الحقد - جولدامائير - دار المسيرة - بيروت سنة 1979 صفحة 121

عليهم من قبل وانطلقوا بلا ملاذ لهم، في رحلات قاسية، سرية وخطرة، في قوارب يتسرب الماء إليها، يتحدون جبروت أقوى دولة بحرية في العالم، بالإضافة إلى أخطار البحر ذاته، لكي يصلوا إلى أرضهم الموعودة، وكان إخلاصهم وتصميمهم وشجاعتهم الراسخة وقدرة إحتمالهم هي التي جعلت من الممكن تحقيق المنجزات التالية للصراع غير المتكافئ الذي كانت الأرجحيات فيه نسبة واحدة ضد أربعين).[143]

إن مجمل حصيلة أعمال الوكالة اليهودية ورابطة لجنة التوزيع ومبعوثي المستوطنات (الفلسطينية) لم تكن رقما هاما إذا قيس بالأعداد التي تمت إبادتها على أيدي النازيين وبمساعدة وتدعيم وتحريض الصهاينة. ويشير بهذا الصدد أبا آيبن (وزير خارجية إسرائيلي سابق) في كتابه (شعبي) إلى هذا الموضوع دون أن يتطرق إلى الدور الصهيوني الخفي في عمليات الإبادة فيقول: (إن عمليات الإنقاذ التي كانت تشرف عليها المنظمات الإسرائيلية ولا سيما تلك التي كانت تنظمها الوكالة اليهودية، ورابطة لجنة التوزيع مانت تبدو تافهة، إذا ما قورنت بالإمتداد المدهش لمشاريع الإبادة النازية، ونذكر أنه في كل مكان كان أعضاء المنظمات الإسرائيلية يبذلون مجهودات خيالية ويواجهون دائما خيبة الأمل، وسوء الإستقبال، والصد والرفض الجاف وكانوا يخوضون معركة لا نهاية لها ضد إنعدام الأمن والجوع والخوف. وهذه الامور كانت كلها من نصيب أولئك الذين نجحوا. أما في الشرق فكانت عداوة الجماهير الشعبية تقف مسبقا في وجه تلك المجهودات التي يبذلها اليهود، ولكن الديمقراطيات الغربية الصغيرة، كانت هي الوحدية التي إهتمت بقضايا المضطهدين.[144]

ومن الثابت بالمراجع الصهيونية أن مبعوثي المستوطنات الفلسطينية المدعومين من الوكالة اليهودية فيما بعد هم الذين قاموا بعمليات الهجرة غير الشرعية من خلال تجوالهم في الدول الغربية والشرقية بحثا عن الطلائع الراغبين في الهجرة إلى فلسطين. ولذلك فإن سبب تفاهة النتائج التي يتحدث عنها أبا آيبن هو عدم وجود (البضاعة) الملائمة والمناسبة والراغبة في القيام بهذه المهمة، ومن هنا كانت خيبة الأمل وسوء الإستقبال، لأننا سنلاحظ بعد قليل أن هذه البعثات كانت تلقى

The Secret Roods , By on and David Kamche , Hyperion Press , 1954 Page 3 143

Mon Peuple , Abba Eban , Paris 1970 Page 313 144

الدعم المطلق من العدوين اللدودين -إنكلترا وألمانيا- إلا أن هذا الدعم كان محصورا في المهمة ذاتها دون غيرها. وبمعنى آخر إسقاط كل ما عدا ذلك من اليهود من حساب الجميع. جميع الجهات المتحاربة والمتصارعة في الساحة الدولية، باستثناء البعض الذين إتخذوا موقفا مغايرا بشكل كلي لهذه السياسة وعملوا ما استطاعوا على إنقاذ اليهود باعتبارهم ضحايا. ومن هنا نلاحظ المغالطة التي يتعمدها أبا آيبن حينما يجري مقارنة بين الشرق (والديمقراطيات الغربية) الصغيرة، باعتبار أن الجماهير الشعبية في الشرق وقفت موقفا معاديا من جهود الإنقاذ بينما إتخذت الديمقراطيات الغربية الصغيرة موقفا متعاطفا معها، ولكن الواقع أن التعميم والإطلاق بهذا الشكل كان منافيا للحقيقة ويحتاج إلى كثير من المراجعة والتمحيص. ويبدوا أن الموقف السياسي الصهيوني هو الذي أملى على آيبن مثل هذا الرأي وليس الأمانة في نقل وقائع التاريخ.

من هم (مادة) الهجرة اللاشرعية؟

كان بينو Pino وبارجيلاد Bargilad إثنين من أربعة مبعوثين أرسلتهم المستوطنات الصهيونية في فلسطين للقيام بعمليات التهجير اللاشرعية من دول أوروبا. وأصبح هؤلاء المبعوثون فيما بعد نواة مؤسسة الموساد الصهيونية التي إتخذت على عاتقها -قبل الحرب العالمية الثانية وحتى إقامة دولة إسرائيل- مهمة إحضار (الرواد) إلى أرض إسرائيل بأساليب تسمى غير شرعية تمييزا لها عن الهجرة التي أقرتها حكومة الإنتداب البريطانية والتي كانت تمنح بموجبها شهادات رسمية تخول حامليها الدخول إلى فلسطين والحصول على الجنسية الفلسطينية.

يقول الأخوان (كمشي) أن بينو (إسمه الحقيقي غينزبرغ) جاء بمهمة خاصة مبعوثا من قبل المستوطنات إلى ألمانيا وكان عمله هو ما تريده ألمانيا النازية، أي تنظيم هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين، ومشروعه هذا لا يمكن أن يتم تنفيذه على نطاق واسع إلا بمساعدة الزعماء النازيين فقط. وفي لقاء في برلين ضم المشرف على الجستابو وثلاثة آخرين من مساعديه بالإضافة إلى بينو ناقش الجميع إمكانية المساعدة على زيادة الهجرة اللاشرعية إلى فلسطين ضد إرادة الإنتداب البريطاني، وعندما غادر بينو مبنى الجستابو في طريقه إلى المكتب الرئيسي للمنظمة الصهيونية كان مفعما بحرارة الرضا،

فقد وعدوه بدراسة طلبه في الحال. وبعد قليل أبلغوه أنه بإمكانه البقاء في ألمانيا وبوسعه أن يبدأ العمل على الفور، وبوسعه أن ينتقي الطلائعيين اليهود الصغار الذين أرسلوا إلى معسكرات الإعتقال. ولن يكون بحاجة لأن يجتاز الشريط الأحمر اللامتناهي للطرق الرسمية كما بوسعه أن ينشئ معسكرات تدريب خاصة للمهاجرين الذين سيقومون بالهروب اللاشرعي إلى فلسطين من خلال الحصار البريطاني.

وبعد فترة قصير وصل بارجيلاد Bargilad إلى النمسا لنفس المهمة، وقد إكتشف بارجيلاد أن الطريق الوحيد لهجرة واسعة النطاق من النمسا يمر عبر قيادة الجستابو والـ (S.S) الصاعقة المسؤولة عن الشؤون اليهودية، والتي صودر من أجلها قصر البارون روتشلد الفخم، وكان المسؤول (المكتب المركزي للهجرة اليهودية) النقيب كارل أدولف آيخمان وهو إسم سيصبح سيء السمعة، ولم يكن بوسع بارجيلاد أن يعرف شيئا أكثر من أنه يعجل بمستقبله المليء بالأحداث. لقد أوضح لزميله -آيخمان- أنه يريد إذنا بإقامة مخيمات لتدريب الطلائع، ليدرب الشباب على العمل في فلسطين وليرتب أمر هجرتهم بأسرع ما تسمح به الظروف، وهو لا يطلب عونا ماليا من الجستابو -لأن معظم من يبحث عنهم من الطلائعيين الذين لا يملكون شيئا- وإنما كل طلبه هو أن لا يعرقل عمله،[145] ويتابع الأخوان كمشي فيقولان: (لم يأت المبعوثان اليهوديان إلى ألمانيا النازية لإنقاذ اليهود الألمان، لم يكن ذلك من عملهم، كانت عيونهم مثبتة بصورة كاملة على فلسطين والإنتداب البريطاني، وكانوا يبحثون عن شبان وشابات يريدون الذهاب إلى فلسطين لأنهم يريدون وطنا قوميا خاصا بهم وهم مستعدون لأن يمهدوا الطريق ويكافحوا ويقاتلوا من أجله إذا إقتضت الضرورة. إذا كان إهتمام المبعوثين بأولئك اليهود الذين يريدون التوجه إلى فلسطين كملاذ للإلتجاء باعتباره أفضل شيء -بعد الولايات المتحدة والمملكة المتحدة- لقد وصلا مشغولي البال بحاجات اليهود في فلسطين، وكان اليهود الألمان خزانا طبيعيا ممكن أن يستمد منه المهاجرون لتعزيز الموقف الأساسي للطائفة اليهودية في فلسطين.[146]

145 Jon and David Kamche , Page 16, 17, 18

146 Ibid , Page 27

ماهو الهدف الذي رمى إليه النازيون؟

هل هو التخلص من اليهود؟ إن كان كذلك فلا حاجة بهم لعقد هذه الصفقة وهم الذين يعملون على التخلص من مئات الألوف بالإبادة والقتل لن يضايقهم التخلص من بضعة ألوف من الشبان والشابات.

إذا يبقى أمامنا أحد أمرين إثنين: إما أنهم يريدون أن يحرجوا البريطانيين بإرسال دفعات من اليهود ليبرزوا تناقضا بين الطرفين تستفيد منه ألمانيا، وإما أن في نيتهم إنشاء كيان يهودي مرتبط بهم بشكل أو بآخر. وأما بالنسبة للفرضية الأولى فإننا سنلاحظ أن هذا لن يربك البريطانيين لأنهم سيسهلون الطريق أمامه. ولذلك تبقى الفرضية الثانية وهي الرغبة الإستعمارية في إنشاء كيان يهودي في فلسطين تستطيع التعامل معه باسم جميع اليهود بالإضافة إلى أنه يستطيع أن يؤدي للإمبريالية الألمانية دور الشرطي الذي يؤديه الآن للإمبريالية الأمريكية. ولو عدنا إلى مباحثات هيرتزل مع الإمبراطور غليوم الثاني لوجدنا الإجابة الشافية على الموقف النازي الحالي من هذه القضية. حيث أن الرغبة المتبادلة في القيام بهذا الدور لم تكن على عهد النازية الهتلرية فحسب بل سبقت ذلك بكثير إلى عهد الإمبراطورية الألمانية في نهاية القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن.

كذلك فإن السياسة التي تبنتها أجهزة الجستابو والـ (S.S) لم تكن بمبادرات فردية ونزوات عاطفية، أو إجتهادات شخصية وإنما كانت حصيلة دراسات متواصلة قامت بها كل الأجهزة والوزارات المعنية في ألمانيا النازية وتوجها هتلر في النهاية بموقف واضح وصريح، حيث تم إيصال قراره عن طريق مكتب الشؤون الخارجية للحزب النازي إلى جميع الوزارات المعنية، وقد قيل لها أن الفوهرر قد قرر من جديد أن يستمر بتشجيع الهجرة اليهودية من ألمانيا بجميع الوسائل الممكنة وأي سؤال يكون قد أثير حتى ذلك الحين حول ما إذا كانت مثل هذه الهجرة في رأي الفوهرر ستوجه إلى فلسطين، أجيب عنه بالإيجاب.[147]

إن مبدأ الإختيار لم يعرف فقط أثناء الحرب العالمية الثانية وإنما إليه دعا زعماء الحركة الصهيونية منذ بداية حكم هتلر في ألمانيا واستمر هذا منهجا وبرنامجا

147 Ibid, Page 30

إعتمدته الحركة الصهيونية حتى هذه الأيام. ففي عام 1933 نشرت صحيفة (تشير نوفوفيستر الجيماينه تسايتونغ) مقالا بعنوان: (مصير اليهود الألمان) برر فيها (مانغريد رايفير) زعيم الصهاينة البوكوفيين، عضو الوكالة اليهودية ونائب صهيوني سابق في برلمان رومانيا. سوغ سياسة هتلر المعادية للسامية واعتبرها أمرا طبيعيا. ثم وجه تهمة إلى اليهود المندمجين عامة بقوله: (لقد ضاعت الروح اليهودية مما جعل المنصهرين يتحولون إلى حفاريقبور اليهودية). ثم استخلص النتائج التالية كأسس للتعاون بين الصهيونية والنازية:-

أ. على اليهود أن يتحلوا بالصبر ويعتادوا على فكرة أن الجميع لن يستطيعوا النجاة وأن علينا أن نفهم مجرى التاريخ ولو كان هذا الطريق مضرجا بالدم اليهودي.

ب. إن المختارين وحدهم سيستطيعون النجاة، والمختارون هم من يؤمنون بالصهيونية. إن زعماء الصهيونية سيساعدون هؤلاء الناس وهم يتفاوضون الآن مع الفاشيين بشأن مغادرتهم ألمانيا حتى مع أملاكهم).[148]

ليس ما قاله الزعيم الصهيوني في عام 1933 بعيدا عن أقوال ديفيد بن غوريون، بل يعتبر مكملا له لأن أقوال الزعيمين وغيرهما من زعماء الحركة الصهيونية، ثم أفعال هذه الحركة لا تخرج عن مفهوم واحد ونسق واحد. ففي 1938/12/27 بعث بن غوريون برسالة إلى الهيئة التنفيذية الصهيونية قال فيها: (إن المشكلة اليهودية لم تعد الآن كما كانت عليه، وأن مصير اليهود في ألمانيا ليس نهاية بل بداية. وستتعلم دول لا سامية أخرى من هتلر، إن ملايين اليهود يواجهون الإبادة. وقد إكتسبت مشكلة اللاجئين أبعادا عالمية. وتحاول بريطانيا فصل قضية اللاجئين عن قضية فلسطين، ويساعدها في ذلك يهود غير صهيونيين، إن مقاييس مشكلة اللاجئين تتطلب حلا إقليميا فوريا. وإذا لم تستوعبهم فلسطين فإن بلدا آخر سيستوعبهم. إن الصهيونية في خطر، فجميع الحلول الإقليمية الأخرى، التي ستتحقق حتما ستتطلب مبالغ طائلة من المال، وإذا كان اليهود سيختارون بين اللاجئين، إنقاذ اليهود من معسكرات الإعتقال، ومساعدة متحف وطني في فلسطين فإن كفة الرحمة سترجح. وستوضع كل طاقات الشعب في إنقاذ اليهود

148 الصهيونية في خدمة الرجعية - برودسكي. ر . م . وشوليستر . يو. أ. ترجمة هاشم حمادي، وزارة الثقافة - دمشق سنة 1977 صفحة 103 ، 104.

من البلدان المختلفة، وستحذف الصهيونية من جدول الأعمال. ليس عند الرأي العام العالمي في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل عند الرأي العام اليهودي في أمكنة أخرى أيضا، وإذا سمحنا بالفصل بين مشكلة اللاجئين والمشكلة الفلسطينية فإننا نجازف بوجود الصهيونية).

(إن إنقاذ الأرواح اليهودية من براثن هتلر يعتبر خطرا كامنا للصهيونية، إلا إذا جيء بهم إلى فلسطين، وعندما تضطر الصهيونية إلى الإختيار بين الشعب اليهودي والدولة اليهودية فإنها تفضل الأخيرة دون تردد).

(إن الصهيونية تقبل باللاسامية على أنها الموقف الطبيعي العادي للعالم غير اليهودي من اليهودي، وهي لا تعتبرها ظاهرة مشوهة ومنحرفة، فهي تستجيب -الصهيونية- للاسامية ولكنها لا تواجهها ولا تندد بها ولا تقاتل ضدها).[149]

ما هو موقف بريطانيا من الهجرة اللا شرعية:

حينما تلجأالحركة الصهيونية للهجرة اللا شرعية يفترض أن تعارض الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين هذا النوع من الهجرة بعد أن إلتزمت بالكتاب الأبيض بتحديد العدد الذي ستسمح له بدخول فلسطين من خلال تراخيص تشرف عليها الوكالة اليهودية. ونظرا لظروف الحرب التي كانت على الأبواب وحتى تهدئ من روع الحرب أعلنت أنها لن تسمح بغير ما تضمنه الكتاب الأبيض وأنها ستعيد أي يهودي سيصل إلى فلسطين بطريق غير شرعي مهما كانت الأسباب ومهما كانت الدوافع. وقد إدعت الحركة الصهيونية أنها كانت تعاني بشكل لا يحتمل من عنت وصلف السلطات البريطانية التي كانت تعامل المهاجرين اللا شرعيين بمنتهى القسوة دون النظر إلى الظروف التي أحاطت برحيلهم ودون الأخذ بعين الإعتبار الأخطار المفزعة التي كانت تلاحقهم على أيدي النازيين وأعوانهم.

وقد وجهت سياسة الكتاب الأبيض بأعنف حملة إعلامية وسياسية شهدتها بريطانيا، قاد هذه الحملة عدد من الزعماء البريطانيين والصحافة

149 Zonist Relatinos With Nazi Germany By: Faris Yahya, Palestine Research Beriute Page 78

البريطانية، وشنت زعامة الحركة الصهيونية أيضا هجوما شرسا على الحكومة البريطانية لنفس السبب. ولم تسلم هذه الحركة من نقد لجنة الإنتداب الدائم التابعة لعصبة الأمم، إذ أن أعضائها جميعهم أعربوا عن الرأي القائل بأن الكتاب الأبيض لا يتفق والتفسير الذي أخذت به اللجنة دائما بما يعنيه الإنتداب.[150] وعندما لجأت الحركة الصهيونية للهجرة اللا شرعية -والتي كانت قد مارستها قبل الكتاب الأبيض- حرص بعض المؤرخين على الإشارة بصورة واضحة إلى الصعاب التي كانت تفتعلها الحكومة البريطانية في وجه المهاجرين سواء باعتقالهم أو بإرسالهم إلى حيث أتوا. ولا يخلو الأمر أحيانا من إطلاق النار على (المتسللين) وكثيرا ما سقط قتلى وجرحى برصاص الإنكليز.

لم تكن الحكومة البريطانية -صاحبة وعد بلفور- بحاجة إلى ضغوط المعارضة والصحافة البريطانية من أجل أن تقدم التسهيلات اللازمة للهجرة اللا شرعية اليهودية إلى فلسطين، لأن إنشاء وطن قومي يهودي هو من صلب سياسة هذه الحكومة. وإنشاء هذا الوطن لا يتم إلا إذا وجد هناك (مواطنون) ولذلك فإن إنكلترا التي أعلنت في الكتاب الأبيض أنها ستحول فلسطين إلى دولة مستقلة[151] (رأت هذه الدولة المستقلة ستكون الغلبة السكانية فيها للعرب إذ لم يتزايد عدد السكان بشكل سريع دونما الإعتماد على سياسة الكتاب الأبيض فحسب. ولذلك فإنها عمدت بالإضافة إلى التأشيرات الممنوحة بموجب هذا الكتاب عمدت إلى صرف تأشيرات أخرى لكل من يصل إلى تركيا. ففي صيف عام 1943 وردت رسالة من اللورد غرانبورن وزير المستعمرات البريطانية آنذاك إلى السفير البريطاني في تركيا، وقد شددت هذه الرسالة على حقيقة أنه لا ينبغي تشجيع اليهود في أوروبا المحتلة على الهرب، وأنه لا ينبغي أن ينظموا وأن تقدم لهم المساعدة، ولكن إذا نجح بعض اليهود على الرغم من كل هذا في الوصول إلى الشواطئ التركية يجب أن يعطوا تأشيرات دخول إلى فلسطين، وهكذا كانت الحالة بالنسبة للكثير من الرسائل السرية والتعليمات الصادرة عن الإنكليز في الشرق الأوسط. فقد وصلت هذه التعليمات الجديدة إلى مسامع الهاغاناه. وهذا ما كانت تنتظره الموساد، فالتقى في القرن الذهبي كل من أيهودا أفريل الذي عمل

---

150 The History of Zionism , Walter Laqueur , New York , 1975 Page 528

151 القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - محمد عزة دروزة - بيروت سنة 1959 صفحة 333

سابقا في النمسا وليفي سوارتز القائد القديم لكثير من عمليات النقل غير الشرعية وبارجيلاد وقادم جديد إلى عمل الموساد هوتيدي كويك (رئيس بلدية القدس حاليا). وبدأت عملية إستانبول. إنقسم عملهم إلى جزئين: إرسال المبعوثين إلى البلدان لتشجيع اليهود الباقين على تنظيم الحركات السرية والعمل على إبقاء حركة الطلائع الصهيونية على قيد الحياة، وأما الجزء الآخر فكان لتنظيم إستئناف الهجرة إلى فلسطين.[152]

لم تكتف الحكومة البريطانية بتقديم التسهيلات القانونية والتشريعية لهجرة اليهود إلى فلسطين بل قدمت تسهيلات عملية ومساعدات قيمة من شأنها النهوض بالهجرة إلى المستوى المطلوب والذي يجعل عدد اليهود في فلسطين مساويا أو يزيد عن عدد العرب فيها. لذلك فقد نفذ الجزء الأول من مهمة الأربعة من قبل إثنين وثلاثين (يهوديا فلسطينيا)، كانوا في خريف عام 1944 قد أنزلوا بالمظلات بمساعدة البريطانيين خلف الخطوط النازية لإقامة الإتصال مع الجاليات اليهودية، كانت الخطة منذ البداية فيها كثير من المجازفة، فقد إختير مائتان وخمسون يهوديا فلسطينيا معظمهم أعضاء في المستوطنات للعمل خلف خطوط العدو، وكان مائة وسبعون منهم قد أنهوا برامج التدريب المظلي الخاصة بالجيش البريطاني، وقد عرف عن مسؤولي المخابرات البريطانية حماسهم للمشروع، لأن اليهود الفلسطينيين الذين إختيروا جميعا هم من المهاجرين السابقين من البلقان ومن بلدان أوروبية شرقية وسوف يهبطون في مناطق يعرفونها جيدا منذ الطفولة وبإمكانهم أن يعتمدوا على مساعدة اليهود هناك، وفي نفس الوقت أرسلت من قبل الموساد مجموعات يهودية أخرى لتساند المظليين وتحضر لاستئناف الهجرة.[153]

كان هذا هو الجزء الأول من الخطة التي تم الإتفاق عليها بين عملاء الموساد الأربعة الذين إجتمعوا في إستانبول، أما الجزئ الثاني فكان تنفيذه بأن إشترى إيهود أفريل باخرة كبيرة هي (توروس) ذات حمولة ألف طن وأرسلها على جناح السرعة إلى بارجيلاد للإستفادة القصوى من التسهيلات السوفييتية بعد إحتلال قواتها لرومانيا، (حيث أن القوات السوفييتية لم تقم بأية عملية

152 Jon and David Kimxhe , Page 66

153 Ibid, Page 67

قمعية ضد اليهود). تسلم بارجيلاد الباخرة وكان مستعدا لشحنة تشمل تسعمائة يهودي معظمهم من الشبان وهكذا غادرت الباخرة ومرت عبر المضائق دون أي تدخل من جهة الأتراك أو من جهة الإنجليز.[154] وصلت الباخرة إلى فلسطين بسلام دون أية مضايقات لأنها سفينة تحمل (شحنة شرعية) وإن كانت خارج نطاق وحدود (الكوتة) التي أقرها الكتاب الأبيض ولكنها بأمر رسمي وشرعي من الحكومة البريطانية.

ما هو موقف ألمانيا النازية من الهجرة اللاشرعية؟

لا يستغرب -من حيث المبدأ- موقف بريطانيا التي ساعدت في تسهيل الهجرة اللاشرعية. ولكن الذي يمكن أن يستغرب هو موقف ألمانيا التي إعتمدت سياسة إبادة اليهود تلك النظرية القائمة على العنصرية التي تبنتها منذ نشأتها حتى سقوطها. إن الذي يستغرب هو أن تكون ألمانيا صاحبة لدور أساسي وهام في تشجيع الهجرة اللاشرعية القائمة على الإختيار في نفس الوقت الذي أهدرت فيه دماء آلاف اليهود.

أشرنا في السابق إلى الإتصالات التي تمت بين المبعوثين القادمين من فلسطين وآيخمان وآخرين من زعماء الجستابو والـ (S.S) لتسهيل مهمة ترحيل اليهود إلى فلسطين، وأشرنا إلى أن التسهيلات وضعت بتصرف هؤلاء المبعوثين لتحقيق هذا الغرض، وأزيلت من طريقهم العراقيل التي من شأنها أن تعطل جهودهم في هذا المضمار وعلى الرغم من كل الجهود لم تكن لترضى الجستابو عن هذا النشاط لأنه من وجهة نظرهم بطيء بما فيه الكفاية، ولا بد من تنشيطه، ولذلك أعطى بينو ضمانات لهم بأنه سينظم الهجرة الفورية لليهود ومن أجل ذلك منح سلطة التوقيع على أيه شهادة من شأنها إطلاق سراح أي يهودي من معسكرات الإعتقال، كذلك سمح له بتوسيع المزارع التدريبية التي أصبحت فيما بعد مراكز إنطلاق للمهاجرين المرتقبين إلى فلسطين، ومع ذلك إستدعي بينو إلى مقر الجستابو الذين طالبوه بضرورة تهجير أربعمائة يهودي أسبوعيا من ألمانيا. وقدموا له متعهدا يونانيا (نصفه ألماني) يملك سفنا على أساس أن يتولى هذه المهمة. وتبين فيما بعد أن آيخمان وموللر قد أسسا مكتبا للسفريات توجه من

154 Ibid, Page 68

خلاله جميع نشاطات الهجرة التي يقوم بها المبعوثون اليهود وكان هدفهم من ذلك توسيع نطاق الهجرة وتسريعها ومن ثم الحصول أيضا على مبالغ ضخمة من المال مقابل كل شحنة تغادر ألمانيا.

وهكذا، ففي آذار سنة 1939 غادرت برلين الشحنة الأولى المكونة من مئتين وثمانين يهوديا ألمانيا من قبل بينو، كانت وجهتهم الظاهرية مزارع التدريب في يوغسلافيا. ولتأمين سلامتهم وفرت لهم السلطات النازية قطارا خاصا. ورافق مسؤولون نازيون القطار حتى فيينا حيث إنضمت إلى هذه المجموعة شحنة أكبر من اليهود النمساويين التي نظمها بارجيلاد والذين رافقهم أيضا نمساويون نازيون.[155]

وفي تموز سنة 1939 نجح (شماريا راميريث) وهو مستوطن من أصل أمريكي من مستوطنة في فلسطين إسمها (بيت هاشيتا) والمبعوث من قبل إتحاد المستوطنات والذي إنضم فيما بعد إلى الموساد، نجح في إرسال أول شحنة غير شرعية من ساحل الأطلسي، فقد أبحرت سفينة تابعة لـ (S.S) واسمها (دورا) من هولندا تقل أكثر من خمسمائة يهودي ألماني ووصلت بسلام إلى فلسطين، وعادت إلى أوروبا في الوقت الذي نجحت مجموعة أخرى في الوصول إلى شواطء فلسطين وتضم مئة وعشرين يهوديا بولونيا ممن كانوا يعيشون في ألمانيا، والذين تولى بينو أمر تهجيرهم عبر الحدود الألمانية البلجيكية أمام عيون وحدات الفيهرماخت (حرس الحدود) التي كانت تقوم بمناورات في تلك المنطقة.[156]

إلا أن الصفقة الكبرى التي تم عقدها بين بينو والسلطات النازية، كانت تلك الصفقة التي تقضي بأن يسمح للسفن التي تنقل المهاجرين أن تصل إلى مينائي ايمدن وهامبورغ، وهكذا إستطاع المبعوثون اليهود التخلص من صعوبة الحصول على التأشيرات من بلدان أخرى -كعمليات تمويه- ولذلك فقد تم إستئجار أربع سفن من أجل إجلاء عشرة آلاف يهودي طلائعي مرة واحدة.[157]

155 Eichcann in Jerusalem, By: Hannah, Puplished Faber and Faber L.T.d. 1963, Page 55

156 Jon and David Kimche, Page 39

157 Ibid, Page 43

وحينما تتحدث المصادر الصهيونية عن اليهود الطلائعيين يتبادر للذهن أن أولئك قد جندوا أنفسهم أو جندوا من قبل المبعوثين للقيام بدور طلائعي صهيوني في فلسطين، والحقيقة أن كثيرين منهم لم يكن هذا الأمر يعنيهم بقدر ما يعنيهم إنقاذ أنفسهم من جحيم النازية. وهذا ما يعترف به الصهيوني (أيديلمان) تعقيبا على مقولة أن الزيادة الكبيرة في عدد سكان فلسطين من اليهود تعود إلى تأثير أفكار الصهيونية بقوله: (إن الوحشية أرغمت اليهود على البحث عن مهرب يلوذون به، وكانت فلسطين أحدى البقاع التي لجأوا إليها. ولم يلتجؤوا إليها من أجل إنشاء المركز القومي اليهودي هناك وإنما لإنقاذ حياتهم فقط).[158]

ولكن الوحشية التي واجهت اليهود وأرغمتهم على ترك أوطانهم، لم تصادف معارضة أو تذمرا من قبل الحركة الصهيونية بل على العكس من ذلك تماما، إذ لم ير الصهاينة في توطيد أقدام النازية في ألمانيا كارثة قومية، بل رأوا فيها فرصة سانحة لتحقيق نواياهم، حيث إلتقى الطرفان (الصهيوني والإشتراكيون القوميون)، عند شعار العرق والأمة فكان من المحتم أن يمتد بينهما جسر مشترك.[159]

كانت المنطلقات النظرية المتوافقة والمنسجمة بين النازيين والصهاينة، وكذلك الأهداف والرغبات المشتركة في تحقيق عمل إستعماري إستيطاني في فلسطين وراء هذا التعاون الوثيق الذي شمل مختلف الجوانب. ولم تكن مظاهر هذا التعاون في هذه المرحلة -مرحلة الحرب العالمية الثانية- في أوروبا فقط، ولم يكن من خلال مبعوثي الموساد وآيخمان، وإنما كان على الساحة الفلسطينية نفسها. فقد شرح هانس هينه[160] في مقالات نشرتها له مجلة دير شبيغل كيف عملت المخابرات الألمانية على مساعدة النشاط الصهيوني في ألمانيا وكيف عمل الصهاينة على مساعدة النازيين في تنفيذ أغراضهم، وكان رئيس القسم اليهودي التابع للمخابرات الألمانية (فون ميلدنشتاين) يراقب عن كثب نشاط الصهاينة في البلاد، وقد أمر بوضع خارطة تسجيل عليها مواقع هذا النشاط في صفوف الألمان اليهود. وقد

158 ايفانوف ، يوري صفحة 146.

159 مجلة دير شبيغل عدد 1966/12/19 مقال هانس هينه

160 المصدر السابق

أبدت دائرة ميلد نشتاين إهتماما كبيرا بالنشاط الصهيوني في فلسطين ذاتها. وأولت الهاغاناه قدرا خاصا من الإهتمام إذ أقام (ايهرت) عميل المخابرات الألمانية الذي كان يعمل في مكتب المعلومات الفلسطينية أقام إتصالات وثيقة مع قادة تلك المنظمة العسكرية، وكان من بين زعماء هذه المنظمة (الهاغاناه) آنذاك شخص يدعى (فيفل بولكس) يعمل تحت إمرته جهاز أمن كامل. وفي ذات الوقت كان بولكس هذا رئيسا لشعبة المخابرات النازية في الشرق الأوسط. وعلى هذا لم تقتصر مهمة المخابرات الألمانية الهتلرية على المساهمة في إختيار كوادر الهاغاناه من بين أفراد معسكرات الأعداء في ألمانيا بل كانت تمتلك ناصية الأمور في تلك المنظمة وتشرف على نشاطها.

وإذا أردنا أن نجري مقارنة بين العلاقة الصهيونية الألمانية أيام الإمبراطور غليوم في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن وبين هذه العلاقة قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية لم نجد فوارق تذكر، بل وجدنا أن العلاقة الثانية إنما هي إمتداد للأولى ويحكم كلا العلاقتين نفس المنطلقات النظرية والأسس التطبيقية التي إتبعها الطرفان في المرحلتين. إذ نلاحظ أن هيرتزل أرسل مذكرة من نقاط خمس للإمبراطور غليوم يوضح فيها حقيقة ما يمكن أن يكون عليه الوضع فيما لو تم تهجير اليهود إلى فلسطين والفوائد التي ستجنيها تركيا وألمانيا من وراء ذلك، وهذه النقاط هي[161]:-

1. يمكن للحركة الصهيونية أن تخفف من خطر الإشتراكية في مختلف الأقطار حيث أنها -الإشتراكية- كثيرا ما أثارت سخط واستياء اليهود الذين زودوا الأحزاب الثورية بالقادة والأفكار.
2. أن تخفيض عدد اليهود في أوروبا قد يخفف العداء للسامية.
3. ستستفيد تركيا من تدفق عنصر نشط وذكي في فلسطين، والمبالغ الضخمة من النقود التي ستحقن إقتصادها. والزيادة في الميزان التجاري سيحيي إقتصادها.
4. سيجلب اليهود الحضارة والنظام إلى ركن مهمل من الشرق.
5. إن إقامة خط حديدي من المتوسط إلى الخليج الفارسي هو ضرورة أوروبية، وسيشيد هذا الخط من قبل اليهود.

---

161 Germany , Turkey and Zionism , By . Issiah Friedman , University Press oxford , 1977 , Page 65.

إن موضوع الإختيار الذي مارسته الصهيونية بلغ ذروته في مأساة الباخرتين ستروما التي إنفجرت في مياه الدردنيل، وباتريا التي إنفجرت في مياه حيفا، ومأساة هاتين الباخرتين بقيت محاطة بكثير من الضبابيات ولم يكشف النقاب عن حقيقة ما جرى لهما. وإن تناقضت الروايات إلا أن معظم هذه الروايات تعمدت أن تجانب الحقيقة وأن تبتعد عنها حتى تنسى الأجيال ما حصل.

باتريا وستروما:

لم تكن هاتان الباخرتان الوحيدتين اللتين حملتا باللاجئين اليهود، أو بالمختارين من اليهود وغرقتا في البحر، ولكن إشتهرت هاتان السفينتان لأن الدعاية الصهيونية إستعملتهما مادة للتشهير بالإنتداب البريطاني من جهة ولإقناع العالم بوجود مأساة حقيقية يتعرض لها اليهود بسبب سياسة الكتاب الأبيض من جهة، وكذلك للإيحاء بأن الركاب اللاجئين فجروا الباخرتين بهما عندما حاولت حكومة الإنتداب أن تعطل دخولهم إلى فلسطين خارج إطار الكوتة التي منحت للوكالة اليهودية من جهة ثالثة. ولكن وراء مأساة هاتين الباخرتين قصص مثيرة تستحق الإهتمام، وأن لكل منهما جوانب لا زالت خفية سنحاول أن نجليها وأن نوضح أسباب إخفائها معتمدين في هذا على مصادر مختلفة الميول والإتجاهات:

أ. باتريا:

في مطلع شهر نوفمبر من عام 1940 وصلت باخرتان هما ابيلوس والباسيفيك إلى ميناء حيفا وعليهما ألف وسبعمائة وواحد وسبعين مهاجرا شرعيا، وعلى الرغم من كل الآلام التي أصابتهم في رحلتهم القاسية هذه إلى أن وصلوا شواطئ فلسطين، لم يشكوا من كيفية الوصول لأن الخيار الوحيد أمامهم كان البقاء في أوروبا حيث المذبحة تلاحقهم في كل مكان. ولكن الحكومة البريطانية نقلتهم إلى (باتريا) الباخرة الفرنسية التي كانت راسية في حيفا، تمهيدا لإعادتهم إلى جزيرة موريشيوس. وبعد خمسة أيام من إجراء النقل أي في 1940/11/25 وقع إنفجار عنيف في السفينة، وبعد إثنتي عشرة دقيقة غرقت وغرق معها مئتان وخمسون من المهاجرين، وخمسون من بحارتها وشرطي فلسطيني. لم يتحدد أبدا منشأ الإنفجار ولكنه عرف بأنه من تدبير الهاغاناه لمنع او على الأقل لتأخير الترحيل إلى موريشيوس. لقد

أخطأ مدبروا هذا العمل التخريبي الحساب فيما يتعلق بعواقب الإنفجار ولم يقدروا الغرق السريع للسفينة بما يرافقه من خسارة جسيمة في الأرواح، وفي داخل فلسطين وخارجها شاعت أسطورة بأن المهاجرين هم الذين فجروا سفينتهم، وهذه الأسطورة تلهب خيال وغضب الطائفة اليهودية ضد الإنتداب البريطاني. وما أن كان آخر الناجين من باتريا يصل الشاطئ حتى دخل الميناء قارب بخاري آخر من قوارب الدانوب هو أتلانتك وهو يحمل أكثر من ألف وثمانمائة لاجئ فنقلته السفن البريطانية البحرية إلى الميناء.[162]

كانت هذه رواية الأخوين كمشي حول السفينة باتريا، إلا ان هناك روايات أخرى كثيرة كل منها تناول الموضوع من زاوية مختلفة، بحيث تكاد تضيع الحقيقة التي وقعت بالفعل وأسبابها ومسببيها.

ألبرت هيامسون[163] سرد القصة مغفلا كشف النقاب عن الجهة التي تسببت في هذه المأساة مكتفيا باستعراض ما حصل.

وإذا حاولت بعض المصادر الصهيونية تشويه الحقيقة أو إخفاء جوانب كثيرة منها فإن المصادر الرسمية الصهيونية لم تشر من قريب أو بعيد إلى قصة هذه الباخرة. إذ نلاحظ أن كتاب المحرقة الذي ألفه عدد من الأكاديميين الإسرائيليين أغفل هذه القصة نهائيا،[164] كما أن أبا آيبان صاحب كتاب (شعبي)[165] أغفل هذه القصة أيضا وتجاهلها بشكل كامل دون مجرد الإشارة إلى هذه الباخرة، بينما أشار إلى غيرها مثل الباخرة ستروما التي سنأتي على ذكرها فيما بعد. ولكن (والترلوكير)[166] مؤلف كتاب (تاريخ الصهيونية) ذكر حادث الباخرة باتريا باقتضاب شديد مشيرا إلى أن هذا الحادث كان نتيجة الصدامات القائمة بين الهاغاناه وبين قوات الإنتداب البريطاني.

ولكن الرواية الأكثر شمولا وتفصيلا تلك التي رواها الكاتب اليهودي الإسرائيلي شباتاي بيت تسفي في كتابه (الحركة الصهيونية بعد رفض

---

162 Jon and David Kimche , Page 53 , 54

163 Palestine Under the Mandate , By: Albert . M Hyamson , U.S.A. 1975 Page 150

164 المحرقة (بالإنكليزية) تأليف عدد من الأكاديميين الإسرائيليين - القدس سنة 1974 صفحة 119 ، 131.

165 Abba Eban , Page 303 - 321

166 Walter Laqueur , Page 541

أوغنده،[167] حيث يقول: (إن التفاصيل الأساسية المتصلة بقضية السفينة باتريا قد عرفت منذ أن نشرت شهادة أحد المنفذين لغرق السفينة، لقد قامت السلطات البريطانية بحشد تسعمائة لاجئ يهودي معظمهم جاء من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا الذين وصلوا إلى الشواطئ الفلسطينية على ظهر سفن هي (ميلوس وباسيفيك وأطلنطيك) قامت السلطات البريطانية بحشد هؤلاء في حيفا في شهر نوفمبر سنة 1940 على ظهر سفينة ركاب كبيرة (باتريا) على أن يتم بعد ذلك إرسالهم إلى جزيرة موريشيوس الواقعة في المحيط الهندي. ومن أجل تأخير إقلاع السفينة من حيفا فقد تم بقرار من قبل موشيه شرتوك عضو الوكالة اليهودية تعيين شاؤول أفيغور رئيس مؤسسة الهجرة منفذا للعملية، وألقى على عاتق طاقم من المهندسين تنفيذها بتحضير لغم يتم وضعه في السفينة من أجل تخريبهاوألقيت على عاتق (يتسحاق ساريه) بصفته خبيرا بأعمال التخريب مهمة تحديد حجم اللغم، وألقيت على عاتق (مائير ماردور) الذي ينتمي إلى وحدات الدفاع الخاصة مهمة وضع اللغم في السفينة وتسليمه إلى ممثل هؤلاء القادمين إلى فلسطين بطريقة غير مشروعة. إنفجر اللغم خلال الدقائق الأولى التي تلت الساعة التاسعة من صباح يوم 25 نوفمبر سنة 1940 حيث إنقلبت باتريا وغرقت في أرض الميناء على عمق (35) قدما وبسبب أبعادها الطويلة فقد بقي قسم من جوانبها عائما فوق الماء ولكن القسم الأكبر من السفينة كان قد غرق خلال 10 - 15 دقيقة. نتج عن هذه المأساة خسارة (267) شخصا.

وبدراسة البروتوكولات الصادرة عن الجلسة المركزية والهيئة السياسية التابعة لحزب المبام المنعقد بتاريخ 12 ديسمبر سنة 1940 بحث موضوع اليهود المهاجرين اللاشرعيين، كما بحث موضوع الإعتداء على محرر جريدة هابوعيل هاتسعير، فقد تم في نهاية الإجتماع شجب العملية إلا أن موضوع الأيدي التي وقفت وراء هذه العملية تباينت فيه الآراء وأشير في الإجتماع إلى أن الهاغاناه لا علاقة لها بالموضوع إطلاقا. ولكن شهادة يتسحق لوفيان (محرر الصحيفة المشار إليها) أكد أن هناك دلالات تشير إلى أن للهاغاناه ضلعا في الحادث المذكور. ولما تباينت الآراء شكلت لجنة تحقيق من كل من (ي. برتس) و (أ. غلوب) و (أ. تسينرلنج) لكي تتولى البحث في ظروف الحادث وتكشف عن هوية الجانب الذي يقف وراء العملية وخلال إجتماع جمعية الهستدروت الذي عقد

167 الصهيونية بعد رفض أوغنده - صفحات 301 - 313

في كفار سابا حصلت مشادة بين الأطراف المجتمعة وكان موقف الهاغاناه العمل على وقف الطرد بالقوة، وهاجموا أولئك المعتدلين الذين يرفضون مثل هذا الموقف واتهموهم بالتواطؤ مع السلطة الحاقدة.

وفي 15 ديسمبر صدر تقرير عن أحد أعضاء لجنة التحقيق الياهو غولومب ينص على ما يلي: (نعم إن المهاجمين كليهما من الهاغاناه وقد إعترفا بالحادث وأعلنا أنهما تلقيا أمرا بتنفيذ الأوامر وعرف أن المسؤول هو (دوري) رئيس أركان الهاغاناه، ثم قدم عضوان من لجنة التحقيق إستقالتيهما وهما غولومب وبرتس. لأن نتائج التحقيق رفعت إلى موشي شاريت وطويت الصفحة نهائيا).

ب. ستروما:

إن مصير الباخرة باتريا والباخرة ستروما يكاد يكون واحدا. إذ أن كلا الباخرتين تعرضتا للإنفجار وإلى خسارة المهاجرين عليها. ولذلك وقبل أن نعلق على مصير الباخرة باتريا سنستعرض الأحداث التي وقعت للثانية، لأننا سنجد في النهاية خيطا يربط بين الإثنتين من حيث البداية والمصير. ففي خريف عام 1942 زحف القارب ستروما إلى ميناء استانبول وهو يحمل (769) مهاجرا.

رفض السماح للاجئين بالدخول إلى فلسطين من قبل سلطات الإنتداب، على الرغم من وجود آلاف من تراخيص الهجرة غير المستعملة بموجب الكتاب الأبيض، ولم تثمر شيئا شهران من المناشدة والإسترحام، وأخيرا في 1942/2/23 شق ثمانون شرطيا تركيا طريقهم إلى القارب، وربطوها بسلك غليظ وقطروها بدون وقود أو طعام أو ماء، عبر البسفور إلى البحر الأسود، ولم ينتبه أحد إلى أن القارب أصبح معلقا على بضعة ألواح من الخشب، فقد كان على الرغم من كل شيء مجرد قارب للاجئين ولكنه غرق بعد بضع ساعات من ذلك وغرق جميع الركاب إلا واحدا فقط.[168]

لم يشر الأخوة كمشي في الرواية المبينة أعلاه إلى أية تفصيلات عن أسباب الغرق، ولم يشر إلى الجهات التي تكمن وراء هذا الحادث، بينما نلاحظ الكاتب

168 Jon and David Kimche, Page 56 - 567

السوفيتي (بوندا ريفسكي).[169] يوجه الإتهام إلى الى المخابرات العسكرية الألمانية بأنها السبب وراء إغراق السفينة. ويؤكد هذه الرواية أبا آيبان[170] مكتفيا بالإشارة إلى إحتمال أن زورقا ألمانيا أطلق على الباخرة طوربيدا أدى إلى غرقها. ونرى أن المؤرخ (وولتز لوكير)[171] لم يشر إلى إغراق الباخرة بوساطة صاروخ في البحر الأسود ولم ينج من ركابها سوى إثنين. ولكنه ذكر نقطة هامة سبق أن أشار إليها الإخوان كمشي تتعلق بأن تصاريح الهجرة لم يستهلك ثلثها، أي أن الوكالة اليهودية كانت تمتلك خمسة وعشرين ألف تصريح. كذلك فإن أبا آيبان[172] أثار نقطة جديدة عندما قال أن الإنكليز رفضوا السماح للمهاجرين بدخول فلسطين وبعد مفاوضات طويلة وافقت لندن على قبول الأطفال كحد أدنى ولكن الأتراك أعادوا السفينة إلى البحر الأسود. ثم يتابع آيبان قوله أنه بتاريخ 24 شباط علم أن الباخرة إنسابت في مياه البحر ومن المحتمل أن تكون قد نسفت من قبل غواصة ألمانية حيث لم ينج من ركابها سوى شخص واحد.

وحول أسباب غرق هذه السفينة وضع (شبتاي بيت تسفي)[173] الكاتب الإسرائيلي عدة إحتمالات نوردها هنا:-

1. ترى بعض الأوساط المتطرفة التي تطرقت إلى هذه المشكلة أنه يبدوا أن أحد الزوارق الحربية الألمانية قد أطلق على السفينة طوربيدا فأغرقها. ولكن، إتضح في الستينات أن هذه الفرضية ليست معقولة وذلك لأنه لم تكن في تلك الفترة أية غواصات أو سفن حربية ألمانية في البحر الأسود.
2. ساد إعتقاد آخر بأن إحدى الغواصات الروسية هي التي أغرقت السفينة من غير قصد ويصبح معقولا أن الطوربيد المدمر قد أطلق من الشاطئ التركي.
3. في مجلس العموم البريطاني صرح اللورد غرينبورن بأنه من المحتمل أن يكون الركاب أنفسهم هم الذين قاموا بتفجير السفينة نظرا لحالة اليأس التي كانت تسودهم، ولكن هذه الفرضية تحتاج إلى دليل وتفتقر إليه.

169 بوندا ريفسكي صفحة 178
170 Abba Eban , Page 319
171 Walter Laqueur , Page 542
172 Abba Eban , Page 319
173 الصهيونية بعد رفض أوغندة صفحة 313 ، 314

4. ترجع بعض الأوساط قيام عمل تخريبي مقصود كالذي حصل في الباخرة باتريا. ورواية أخرى على لسان (ألبرت. م. هيامسون)[174] في كتابه فلسطين تحت الإنتداب حيث يقول: (لقد أثر الحادث في نفوس غير اليهود. وكان له نفس الوقع في نفوس اليهود في كل مكان ولا يمكن الجزم فيما إذا كان هذا المركب (ستروما) قد أرسل من قبل إحدى حكومات العدو أم من قبل إحدى المنظمات التي كانت تتفاخر بصراحة آنذاك بمآثرها في تهريب المهاجرين اللاشرعيين إلى فلسطين.

أما الرواية الأخيرة فهي على لسان الكاتب الكندي (روجيه ديلورم) في كتابه (إني أتهم)[175] يقول فيها: (يرى الكاتب الإنكليزي (كريستوفر سايكس) في كتابه (Cross Roods to Israel) أن الوكالة اليهودية لو فضلت العنصر البشري على عنصر الدعاوة وأهدافها السياسية لما أغرقت الباخرة المذكورة. فقد آثر الصهاينة إستغلال كارثة نسف السفينة وغرقها ليستدروا العطف العالمي على اليهود العازمين على الهجرة إلى فلسطين.

وهكذا عبر الصهاينة عما يكنوه من إستخفاف وازدراء بحياة الإنسان).

ويتابع الكاتب الكندي فيقول: (وعندما علم موشيه شاريت بحقيقة ما جرى لهذه الباخرة والتي سبقتها (باتريا) إكتفى بالقول أنه أمر لا بد منه. في بعض الأحيان يضحي بعدد قليل من الأفراد في سبيل إنقاذ عدد أكبر.

باتريا، ستروما، أسطورتان في تاريخ الهجرة اللاشرعية الصهيونية إلى فلسطين، تنسج عنها القصص والأساطير تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل للتدليل على حب اليهود لأرض الميعاد، وتعلقهم بها، هذا الحب الذي وصل إلى حد التضحية بأنفسهم في سبيل فسح المجال لدخول الآخرين إلى هذه البلاد، ولكن الحقيقة التي حاولت أجهزة الحركة الصهيونية إخفائها، لم تختف إلى الأبد وإنما بدات تتسرب، فتتناقلها الروايات المختلفة التي نلاحظ هنا أن أصحابها ليسوا من أعداء الصهيونية أو من اللاصهيونيين وإنما من

174 Albert Hyamson, Page 151 , 154

175 إني أتهم، روجيه ديلورم، ترجمة نخلة كلاس - لجنة الدراسات الفلسطينية دمشق 1979 ، صفحة 25 وما بعدها.

زعماء هذه الحركة وقادتها الأمر الذي يجعلنا نعتمد على دقة المعلومات والإستنتاجات التي نوردها هنا:-

1. أكدت معظم المصادر أن الباخرة باتريا قد أغرقت من قبل الهاغاناه وأن رئيس أركانها في ذلك الوقت كان متورطا في هذه العملية.
2. كان المقصود إغراق ركاب الباخرة لولا تدخل القدر الذي عطل آلة التوقيت التي وضعت في القنبلة، إذ لو تم الإنفجار ليلا لما نجا فرد واحد منهم.
3. إن إيراد إسم عصابة الأرغون كان من قبيل التعمية والتمويه لأنه حينما إنفضح أمر الحركة الصهيونية ولم تنطل أكاذيبها التي إدعتها بأن المهاجرين فجروا أنفسهم لجأت إلى إلصاق التهمة بحركة غير مسؤولة ولها طابع إرهابي بحيث تبقى صورة الهاغاناه ناصعة أمام العالم كحركة مسؤولة متزنة تمثل اليهود كل اليهود في العالم.

يبقى سؤال أخير. وهو لماذا أغرقت هاتان الباخرتان دون غيرهما من عشرات البواخر التي كانت السلطات البريطانية تلقي عليها القبض وتحتجزها أو تسفرها مرة أخرى إلى قبرص أو موريشيوش؟ يجيب على هذا الأخوان كمشي[176] فيقولان: (إن آيخمان إختلف مع بارجيلاد (رسول الموساد للهجرة اللاشرعية في فيينا) فتولى العملية بنفسه، ولكي ينفذ خطته الجديدة إستخدم يهوديا نمساويا يدعى ستروفر (Strofer) وهو يهودي غير صهيوني وليست له في الواقع أية إرتباطات أو مصالح ضيقة يهودية، وكان نطاق صلاحياته بسيطا. كان على ستروفر أن يستأجر بالأموال التي توفرها الجالية اليهودية سفنا ويرسل الشحنات غير الشرعية إلى فلسطين، وليس عليه أن، يضيع وقته في إختيار الطلائعيين كما فعل بارجيلاد من قبله).

كانت السفن التي أغرقت هي ثمرة أعمال ستروفر الذي كلفه بهذه المهمة آيخمان نفسه. ومما نلاحظه هنا أنه لم يكن صهيونيا وبالتالي فإنه لم يعمد إلى الإختيار وإنما عمد إلى الإنقاذ فقط بحيث كان يشعر وبصرف النظر عن اهداف أولئك الذين أولوا إليه هذه المهمة أن واجبه الأساسي هو إخراج اليهود بصرف النظر عن إنتماءاتهم أو أعمارهم أو صلاحياتهم للأهداف الإستعمارية.

176 Jon and David Kimche, Page 38

ومثل هذا النوع من الإنقاذ لا يروق للحركة الصهيونية التي دأبت منذ البداية على مبدأ الإنتقاء مهملة من لا يقع إختيارها عليه لمصيره الأسود. ولذلك فقد كان تفجير هاتين الباخرتين ذا وقع سهل على نفوس أعضاء الحركة الصهيونية ما دامت ستستفيد إعلاما ودعاوة وإثارة للرأي العام العالمي.

نستطيع الآن أن نقول أن هناك فرقا شاسعا وكبيرا بين الإنقاذ وبين الإختيار.. وهذا ما عبر عنه بشكل واضح وصريح فلاديمير جابوتنسكي في كتابه (الدولة اليهودية) الصادر في العام 1936 إذ كتب ما يلي: (تمتلك الصهيونية مفهومين أولهما مزيد من القومية وثانيهما مزيد من الإنسانية). وتتلخص مهمة الصهيونية طبقا للمفهوم الأول بتأسيس الروعة والكمال والحداثة في فلسطين، يجب علينا أن نصدر (الشعب اليهودي في طبعة منقحة) ، (في غلاف براق) وإذا ما تابعنا الحديث بلغة الكتب الكلاسيكية فإنه يمكننا القول (في مقتطفات مختارة) ومن أجل هذا الهدف يجب إتباع الحذر في الإصطفاء والإختيار الدقيق.

(فالصفوة) اليهودية المولودة في الخارج فقط هي التي يجب أن تأتي إلى البلاد، أما ما سيكون الأمر بالنسبة لمن بقي من اليهود في الخارج فإن المنظرين أصحاب هذا التصور، لا يحبون التحدث عن ذلك ومن منطق الأشياء فإن الأمر واضح تماما، فمن بقي من غير (الصفوة) يضل في المنفى مع أحفاده وآفاقه الحياتية).[177]

177 الصهيونية نظرية وممارسة ، مجموعة من الكتاب السوفييت ، دار الطباعة بيروت سنة 1974 صفحة 194 - 195

القسم الرابع

اللاجئون اليهود

حتى نفهم حقيقة الموقف الذي إتخذته الحركة الصهيونية من مسألة اللاجئين اليهود قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية لا بد لنا أن نلقي الضوء على نقطتين أساسيتين تسهمان في توضيح هذا الموقف وتعطيانه أبعاده الصحيحة. تشكل النقطة الأولى لمحة تاريخية عن طبيعة ما سمي في القرون العشرة الماضية بالمسألة اليهودية، هذه المسألة التي إختلف المؤرخون في أسبابها منطلقين في البحث من منطلقات مختلفة بحيث وصلوا إلى نتائج مختلفة. وإثارة المسألة اليهودية في مضمار الحديث عن مشكلة اللاجئين اليهود يعود إلى أن هذه المسألة كانت أهم أسباب إستمرار الشتاء كجزء هام من حياة اليهود وذلك بسبب الإضطهاد المستمر الذي لحق بهم وجعلهم منبوذين في مجتمعات أوروبا، الأمر الذي جعل اللجوء أمرا يكاد يكون طبيعيا بالنسبة لهم لكثرة ما اعتادوا مثل هذه الحياة عبر القرون الطويلة.

والنقطة الثانية هي موقف حكومة إسرائيل من قضية اللاجئين اليهود. هذا الموقف الذي إتخذته هذه الحكومة يعد إنتهاء المذبحة وإنشاء الدولة وحتى هذا التاريخ، لأن دوافع هذا الموقف وأسبابه تشكلان إستمرارية دوافع وأسباب موقف الحركة الصهيونية أثناء المذبحة. من هنا كان ضروريا أن نطلع على هاتين النقطتين بإيجاز مقبول قبل أن نتعرف على موقف هذه الحركة في الفترة موضوع بحثنا.

أولا: المسألة اليهودية:

يجب أن لا نبحث عن سر اليهودي في دينه بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي،[178] أي علينا أن لا ننطلق من الدين لتفسير التاريخ اليهودي،

178 المفهوم العادي للمسألة اليهودية - أبراهام ليون - دار الطليعة - بيروت سنة 1973 صفحة 17 (قول لماركس).

بل على العكس علينا أن نفسر المحافظة على الدين إنطلاقا من (اليهودي الواقعي) أي دور اليهودي الإقتصادي والإجتماعي، قبل أن ننطلق في الحديث حول هذه النقطة نشير إلى أننا إعتمدنا المنهج المادي في تفسير المسألة اليهودية مهملين المنهج الميتافيزيقي الذي إعتمده كثير من مؤرخي الحركة الصهيونية في تفسير هذه المسألة ليثبتو من خلالها نظرية التفوق العرقي الذي يتمتع به اليهود باعتبارهم شعبا مختارا ونقيا وأن الدين هو الذي حافظ على بقائهم ووجودهم رغم كل أصناف الإضطهاد التي لحقت بهم منذ بابل وحتى الآن.

لا يمكن القول أن اليهود إستمروا برغم تشتتهم بل إنهم إستمروا بسبب هذا التشتت، إذ لو لم يحصل الشتات قبل سقوط القدس ولو بقي اليهود في فلسطين، فلا داعي للإعتقاد بأن مصيرهم كان سيختلف عن مصير سائر الأمم الأخرى القديمة، بل لاختلط اليهود كالرومان والإغريق والمصريين بالأمم الأخرى، واعتنقوا دينها وعاداتها.

إن إنهيار الأمبراطورية الرومانية أدى إلى إنحلال جميع الشعوب، أما اليهود فقد تمكنوا من البقاء لأنهم إستمروا في حمل آثار التطور التجاري الذي إمتاز به العالم القديم، وخلال القرون الأولى من العصور الوسطى كان اليهود في فرنسا تجارا بشكل رئيسي وفي الفلاندر حيث كانوا يقطنون منذ غزو النورمان حتى الحملة الصليبية الأولى كانت التجارة بين أيديهم، أما في أوروبا الشرقية (بولونيا، روسيا الصغرى) فقد كان اليهود يقصدون أوروبا الغربية لبيع الرقيق والفراء والملح وشراء الأقمشة. وفي مملكة الخزر، هذه المملكة التي تهود ملكها وهود الشعب فيما بعد -والشعب من المغول الذين يعيشون قرب بحر قزوين- فقد كان اليهود لا يمارسون إلا التجارة وكانت عاصمتهم (ايتيل) مركزا تجاريا مرموقا. وهكذا نستطيع أن نقول أن اليهود كانوا في هذه الحقبة من التاريخ يحظون بوضع ملائم واعتبروا جزءا من الطبقات العليا في المجتمع وكان وضعهم القانوني لا يختلف كثيرا عن وضع النبلاء والأحرار.

إلا أن التاجر اليهودي لم يكن يوظف أمواله في الإنتاج حيث أنه لا يبتاع مواد أولية ولا يمول صناع الأقمشة مثلا، بل كان رأس ماله التجاري وسيطا بين منتوجات لا يسيطر عليها ولا يخلق ظروف إنتاجها.

لقد كان الملوك والسادة الكبار في أوروبا يودعون عادة إيرادات الضرائب والرسومات عند اليهود، وهكذا أصبح اليهود يشغلون مراكز أمناء الضرائب أو جباة الرسومات وكان وزراء مالية الملوك في بداية العصور الوسطى من اليهود في غالب الأحيان. ففي أسبانيا وحتى أواخر القرن الرابع عشر كان اليهود صيارفة كبارا وفي الوقت ذاته أمناء ضرائب، وفي بولونيا فوض الملوك إلى اليهود الوظائف الهامة في إدارة أملاكهم كذلك كانت لهم مهمة في أماكن أخرى من أوروبا وهي ضمان الإيرادات التي كانت تفوق في أهميتها الأموال ومناجم الملح الملكية.

نلاحظ أن الإقتصاد الطبيعي كان بحاجة لليهود ما دام قائما ولكن حين إنهار ذلك الإقتصاد بدأ إضطهاد اليهود وتعرض وضعهم للأخطار لحقبة طويلة من الزمن.[179]

إن هذا الإضطهاد الذي يلحق باليهود ينتج عن الوضع الإقتصادي الذي كان عليه اليهود وينتج عنه هجرات ولجوء إلى أماكن اخرى أكثر أمنا وفي نفس الوقت أكثر مواءمة مع ظروف اليهود التجارية والإقتصادية.

وعندما تطور الإقتصاد في أوروبا من إقتصاد طبيعي إلى إقتصاد تبادلي أدى هذا التحول إلى سحق مراكز اليهود في التجارة. وحل تجار مسيحيون محترفون محل التجار اليهود الذين كانوا يستوردون التوابل إلى أوروبا ويصدرون الرقيق فاصطدمت تلك الطبقة المحلية بعنف باليهود القابضين على مركز إقتصادي بطل زمانه موروث من مرحلة سابقة للتطور الإقتصادي. وقد رافق إقصاء اليهود عن دورهم صراع وحشي قامت به وقادته طبقة التجار المحليين. ومنحت الحروب الصليبية -التي كانت تعبر عن إرادة المدن التجارية في شق طريقها نحو الشرق- الفرصة لهذه المدن للقيام باضطهادات عنيفة ومذابح ضد اليهود. وابتداء من ذلك العهد تعرض وضع اليهود في مدن أوروبا الغربية للخطر الشديد. لكن هذا التحول لم ينه وضع اليهودي وإنما إستمر وكيلا لأملاك السادة. إلا ان طبيعة عمله تحولت وانتقل من التجارة إلى العمل الربوي بعد أن كف عن تقديم البضائع للسيد إكتفى بإقراضه المال وإذا كانت كلمة يهودي

179 المصدر السابق صفحات 32 ، 48 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54

مرادفة لكلمة تاجر في المرحلة السابقة فقد بدأت تقترن بكلمة (مراب) في هذه المرحلة.[180]

لقد كانت القرون الثاني والثالث والرابع عشر عهد تطور الربا اليهودي في كل أنحاء أوروبا الغربية وفي قسم من أوروبا الوسطى إلا أن التطور الإقتصادي أدى إلى إنهياره السريع الأمر الذي عجل بالطرد النهائي لليهود في نهاية القرن الثالث عشر من إنكلترا وفي نهاية القرن الرابع عشر من فرنسا، وفي نهاية القرن الخامس عشر من إسبانيا. وتعكس هذه التواريخ وتيرة التطور الإقتصادي في تلك البلدان، إذ أن القرن الثالث عشر هو قرن الإزدهار الإقتصادي في إنكلترا وفي القرن الخامس عشر آثرت الممالك الإسبانية ونمت تجارتها.[181]

وهكذا طرد اليهود من جميع البلدان الغربية إلى البلدان الشرقية، لقد كانت الهجرة من البلدان المتطورة إلى البلدان التي لا زالت تتعاطى الإقتصاد البضاعي، فأصبحت مثلا بولونيا الرازحة تحت نير الإقطاعية الملجأ الرئيسي لليهود المطرودين من كل مكان، ونستطيع القول أن الإقتصاد البضاعي طرد اليهود من مراكزهم الأخيرة وأصبح اليهودي (صيرفي النبلاء) مجهولا تماما في أوروبا الغربية حوالي أواخر القرون الوسطى وتمكنت بعض المجموعات اليهودية الصغيرة هنا وهناك من التشبث ببعض الوظائف الإقتصادية الملحة وأصبحت المصارف اليهودية بيوتا للرهونات يقترض منها البؤساء، إنه الإنهيار التام، فقد أصبح اليهودي مرابيا صغيرا يقرض فقراء المدن والأرياف مقبل رهونات منخفضة القيمة، لكن ماذا يعمل بالأشياء المرهونة التي لا تسترد. لا بد من بيعها. وهكذا أصبح اليهودي جوالا يبيع السلع وبائعا للرثاث، فقد ولت مرحلة الإزدهار القديمة تماما ومنذ ذلك الوقت بدأت عصور الغيتو والإضطهادات القبيحة والإذلال.[182]

إن الأوضاع الإقتصادية والتجارية التي كان يمارسها اليهود جعلتهم عرضة لاضطهاد كل طبقات الشعب، وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك إتفاق مسبق بين هذه الطبقات إلا أن مصالحها التي تضررت بشكل أو بآخر من قبل

180 الصهيونية والصراع الطبقي - د. صادق جلال العظم - دار العودة بيروت سنة 1975 صفحة 21
181 أبراهام ليون صفحة 65
182 المصدر السابق صفحة 66 - 67

وضع اليهود الإقتصادي جعل هذه الطبقات تقف موقف المعادي لهم بأوقات مختلفة وبأساليب مختلفة.

إن ما أردنا أن نقوله هنا وما قصدنا إليه هو أن الهجرات اليهودية وما سمي بالمسألة اليهودية كانت دوافعها الأساسية أسباب إقتصادية محضة لا علاقة لها بالدين أو القومية. وفي الوقت الذي كانت تتوفر فيه علاقات إقتصادية طبيعية يميل اليهود نحو الإندماج كما يحصل الآن في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية حيث تبلغ نسبة الإندماج في الأخيرة حوالي 60% وكما حصل في الماضي عندما كان عدد اليهود في الإسكندرية أيام الإمبراطورية الرومانية حوالي مليون يهودي إستطاعوا الإندماج تلقائيا مع أهل هذه المدينة حتى أن الكتب الدينية العبرية ترجمت في ذلك الحين إلى اللغة الإغريقية التي كانت سائدة.

ونخلص إلى القول أن اليهود لم يستمروا على رغم تشتيتهم بل إستمروا بسبب التشتت. ونعود إلى قول ماركس في المسألة اليهودية (يجب أن لا نبحث عن سر اليهودي في دينه وإنما نبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي).

ثانيا: اللاجئون اليهود بعد الحرب وقيام إسرائيل

ظن كثيرون من رجال السياسة الصهاينة وغير الصهاينة أنه بقيام دولة إسرائيل سينتهي عهد الشتات اليهودي إلى الأبد. إذ أن اليهود جميعا سيجمعون حوائجهم ويتجهون نحو (أرض الميعاد).

عند قيام دولة إسرائيل كان قد مضى ثلاث سنوات تقريبا على إنتهاء الحرب العالمية الثانية بسقوط الرايخ والنظام النازي في ألمانيا والفاشستي في إيطاليا. في هذا الوقت بالذات لم يكن عدد سكان إسرائيل ليزيد عن ستمائة وخمسين ألف يهودي. كان يفترض أن جميع اليهود الناجين من جحيم الحرب العالمية سيعربون عن رغبتهم الأكيدة في الرحيل إلى فلسطين للمشاركة في إقامة دولة إسرائيل بصرف النظر عن الطريقة التي سيدخلون بها سواء أكانت شرعية أم غير شرعية. إلا ان أمرا من هذا لم يحصل حيث أن اليهود لم يكونوا معنيين بالصهيونية أو بدولة إسرائيل على الرغم من كل ما أصابهم خلال الحرب الثانية، وعلى الرغم من المحاولات المستميتة والسعي

الحثيث من قبل زعماء الصهيونية لإجراء تطابق بين حركتهم وأفكارهم من جهة وبين اليهودية من جهة أخرى بصرف النظر عما كان يراه أتباع الدين اليهودي من تزييف.[183]

إن هذا التجاهل الكامل من قبل لاجئي اليهود لدولة إسرائيل جعل زعماءها يلجأون إلى كل وسائل القمع والإرهاب لإجبار هؤلاء على الرحيل إلى فلسطين (إسرائيل) مهما كان الثمن. لذلك نلاحظ ان الحاخام كلاوزنر[184] يقترح - في معرض البحث لإنقاذ يهود أوروبا- في إحدى محاضراته بأنه على المجلس اليهودي الأمريكي الذي يسيطر فيه الصهاينة لتوجيه سيل (المعزولين) من المعتقلات إلى فلسطين، أن توصي الهاغاناه، ببث الرعب، بين صفوف اليهود بالإضافة إلى وقف عمليات تزويدهم بالمواد الغذائية.

وفي المنطقة التي إحتلتها أمريكا في ألمانيا كان هناك عام 1948 حوالي مئة ألف يهودي تقدم أكثر من نصفهم بطلبات هجرة إلى الولايات المتحدة وحدها بينما طلب أغلبية الباقين الذهاب إلى أي مكان في العالم ما عدا إسرائيل. إلا ان الصهيونية ضغطت عليهم وحالت دون هجرتهم إلى العالم الجديد لكي تضعهم أمام الأمر الواقع وتجبرهم على الذهاب إلى إسرائيل.

وعندما كانت تقوم محاولات في الولايات المتحدة الأمريكية يقود هذه المحاولات رجال من الكونغرس أو غيرهم لقبول مهاجرين يهود كانت تعترض ذلك المنظمات الصهيونية، بل أن الوكالة اليهودية كانت تمارس كل وسائل الضغط حتى تجبر هؤلاء على الرحيل إلى إسرائيل. وهذا ما تضمنه تقرير مندوب هذه الوكالة في أوروبا كلاوزنر (Klavzner) حيث قال: (أعتقد أن هؤلاء اليهود يجب أن يجبروا بالقوة على الذهاب إلى إسرائيل، واقترح أن تستعمل معهم نفس الطريقة التي إستعملت في إجلاء يهود بولندا. وأرى أن لا تقوم الوكالة بتسهيل سفرهم إلى إسرائيل إلا بعد جعل معيشتهم في المعسكرات التي أقاموا فيها شاقة لا تطاق).[185]

183 ايفانوف . يوري صفحة 79

184 المصدر السابق صفحة 169

185 الهجرة اليهودية إلى فلسطين - وليم فهمي - الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة 1974 صفحة 117

وحتى تصبح حياتهم لا تطاق يذكر أحد زعماء العمال[186] في الولايات المتحدة لويس نلسون (Louis Nelson) أنه في عام 1948 قامت هيئات الإغاثة اليهودية التي كانت مسؤولة عن إدارة معسكرات اللاجئين اليهود بحملة واسعة لإرغامهم على إعتناق الصهيونية وقبولها وذلك بالضغط عليهم كحرمانهم مثلا من حصص الطعام اليومية والطرد من العمل وتخريب الآلات التي أرسلها الأمريكيون لتدريبهم على مهارات نافعة ثم الطرد من المعسكرات في حالة المعارضة السياسية. يضاف إلى كل هذا نشر الأكاذيب والدعايات عن قصص تدور حول المذابح التي يتعرض لها اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية.

كان بن غوريون أكثر وضوحا في تحديد السياسة الصهيونية تجاه اليهود المقيمين في الشتات والذين رغم كل صنوف الإضطهاد يرفضون المجئ إلى صهيون لأنهم على الرغم من كل ما أصابهم يعتبرون أنفسهم مواطنين في الدول التي يقيمون على أراضيها أو ولدوا فيها ولسان حالهم هو ما قاله يهودي ألماني في نهاية القرن الماضي: (ما من بلد يمكن أن ننذر أنفسنا له، أي وطن آخر يمكن أن يدعونا للدفاع عنه؟ نحن لم نلجأ إلى ألمانيا بل فيها ولدنا. ولهذا فإما أن نكون ألمانا وإما لا هوية لنا. ثمة شيء واحد مقدس في القومية ذلكم هو الدم الذي أريق في النضال المشترك من أجل حرية هذا الوطن).[187] لقد كانت تلك الكلمات تحديا للاساميين الروسيين ولم تعكس في نهاية القرن الماضي نفسية الأغلبية الساحقة من اليهود فحسب وإنما كانت جزءا لا يتجزأ من طريقة تفكيرهم.

نقول أن بن غوريون كان أكثر وضوحا حينما تحدث عن الطريقة التي يؤمن بها لنقل اليهود إلى (إسرائيل). لقد قال بمعرض حديثه عن اليهود الذين يرفضون المجيء إلى فلسطين: (لو كانت لدي الإمكانات كما لدى الإدارة فإنني لا أخجل من الإعتراف بأنني سأختار بضعة عشرات من الشباب الأكفاء والأذكياء والذين وهبوا حياتهم وجندوا أنفسهم لمبادئهم، والذين يتحرقون رغبة وشوقا لمساعدة اليهود. ولأرسلت هؤلاء الشباب إلى الأماكن التي إندمج فيها اليهود وسيكون عمل هؤلاء الشباب هو أن يموهوا أنفسهم ويظهروا

186 المصدر السابق صفحة 119

187 إيفانوف . يوري صفحة 71

بمظهر اللايهودية ويرفعون شعارات لا سامية مثل (أيها اليهود إذهبوا إلى فلسطين). إنني مقتنع أنه من حيث النتيجة سيكون ذلك أفضل عشرات المرات من ألوف البعثات التبشيرية التي تقوم بإلقاء المواعظ التي لا فائدة منها. وسيندفع بعد ذلك اليهود إلى (أرض إسرائيل).[188]

نفس الأسلوب الذي دعا إليه هيرنزل والذي طبقه أتباعه بالتعاون مع الدول الكبرى. وها هو يقول في خطاب ألقاه أمام الجمعية الملكية البريطانية عام 1902 جوابا على سؤال حول كيفية إرغام اليهود على الهجرة من بلدانهم وتأسيس دولة اليهود، فقال: اللاساميون.

ويعقب على ذلك بمذكراته: (في باريس إتسعت آفاق نظري إلى اللاسامية التي بدأت أفهمها الآن وأغفر لها كل شيء. وأكثر من هذا فإنني أعترف بتفاهة وعدم جدوى النضال ضدها. وعلاوة على ذلك فإن هذه القوة الجبارة المتمثلة فيها لن تجلب الضرر ليهود بل أعتبرها حركة مفيدة لتطور الشخصية اليهودية.

وذلك بعد أن إنتهت الحرب العالمية الثانية إتسع نشاط الصهاينة تجوالا بين معسكرات اللاجئين اليهود بحثا عن البضاعة المفضلة مستغلين أوضاعهم التعسة التي يعيشونها والرعب الذي أصابهم من النازية والممارسات السيئة التي لحقت بهم، هذه الأوضاع التي جعلت اليهود يكفرون بالعلاقات الإنسانية بين شعوب الأرض، ويفترض أنهم وصلوا إلى القناعة التي تجعلهم ينادون بدولة يهودية في أي مكان في العالم حتى لا تتكرر مأساتهم مرة أخرى وحتى يكونوا بمأمن من المخاوف والأخطار التي عاشوهاقرونا عديدة.

رغم كل هذا فإن عملاء الصهيونية الذين جاسوا خلال معسكرات الإعتقال كانوا يجبرون الشباب والأطفال بكل الوسائل لترحيلهم إلى فلسطين، بهذا الصدد يقول لينتال: (منذ البداية كانت الهجرة إلى فلسطين تروج بوسائل مصطنعة حتى اليهود المشردين في أوروبا كانوا (يقنعون) بالقوة بأن إسرائيل هي البلد الوحيد الذي يمكن فيه إعادة بناء حياتهم، ومع ذلك فإن (55) ألفا من مجموع مئة ألف مشرد يهودي في القطاع الأمريكي من

188 Zionism Is It Racist , By : Faris Globb , Publishing House for Political Receazches and Documention , Beirute 1975 , Page 39

ألمانيا قدموا طلبات هجرة إلى الولايات المتحدة في خريف عام 1947، وأكثرية هؤلاء أعربوا تحديدا بأن أي مكان بالنسبة لهم يأتي من حيث الأفضلية قبل فلسطين). ويؤكد لننتال أيضا: (أنه لمن المعروف أن شاحنات الوكالة اليهودية كانت تخطف الأولاد والشباب حينما كانت تمر في معسكرات المشردين وترسلهم إلى فرنسا ومنها إلى إسرائيل بطريقة غريبة).[189]

ثالثا: اللاجئون اليهود أثناء المذبحة

قبل حلول النازية وبعدها كانت الأغلبية الساحقة من اليهود ترفض نداء الصهيونية حتى في شرق أوروبا حيث كانوا يشكلون تجمعات كبيرة متماسكة يتحدثون لغتهم الخاصة ويطورون ثقافتهم وأدبهم. كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين للبلدان التي يعيشون فيها وليس لذلك الوطن اليهودي في فلسطين، إن نصف يهود أوروبا الشرقية وخصوصا حركتهم العمالية الضخمة النشطة كانت تنظر إلى فكرة هذا الوطن بعداء واع لا ينكر. كانت الصهيونية هناك هي الصوفية الوطنية للطبقة الوسطى اليهودية والتي لم تكن مستعدة أن تتخلى عن أوضاعها المستقرة وتقتلع نفسها من أجل الحلم الصهيوني. ومع ذلك فقد شكل يهود شرق أوروبا الخزان الرئيسي الذي حصلت منه الصهيونية على دعمها.[190]

أما في سائر البقاع الأخرى فقد كانت الإستجابة للصهيونية أضعف. والحقيقة أن عداء يهود أوروبا أو فتورهم نحو فكرة الوطن اليهودي كان ينبع من ثقتهم بالأمم التي كانوا يعيشون بينها ومن ثقتهم العميقة بالتقاليد والتطلعات الإنسانية للحضارة الأوروبية. وبالمقابل كانت الصهيونية ترى أن لا مستقبل لليهود في أوروبا. لقد كان التعبير السياسي عن عدم ثقة اليهودي بالعالم غير اليهودي.

لقد جاءت دولة إسرائيل إلى الوجود ليس كتحقيق سام لدورة التاريخ وإنما كعمل من أعمال اليأس اليهودي وكشاهد على أكثر مراحل التاريخ الأوروبي كآبة (مرحلة من الجنون والتدهور).[191]

---

189 إيفانون ، يوري - صفحة 85 ، 86

190 ما ثمن إسرائيل؟ الفرد لننتال - مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت سنة 1969 صفحة 193 ، 197

191 دراسات في المسألة اليهودية - إسحاق دويتشر- دار الحقيقة - بيروت سنة 1971 صفحة 117 ، 118

في هذه المرحلة واجه اليهود عداء النازية وصدود الصهيونية وتجاهل الديمقراطيات الغربية. فلقد كان هم النازية التخلص من اليهود حيثما وطأت أقدامهم مع مراعاة الصهاينة من بين اليهود الذين كان لهم وضع خاص وعناية خاصة. وكان هم الصهاينة البحث عن أترابهم الراغبين بالهجرة إلى فلسطين ضمن برنامج إختيار واصطفاء معينين يخضع المصطفى من بين اليهود لمعايير دقيقة يتم على أثرها إختياره. أما الديمقراطيات الغربية فكان موقفها اللامبالاة التامة بمصير اليهود عامة.

إن ما نحن بصدده هنا هو تحديد معالم الموقف الصهيوني من قضية اللاجئين اليهود التي بدأت أخبارها تصل إلى أسماع العالم منذ أن صعد هتلر إلى سدة الحكم.وفي نفس الوقت بدأت السيول العارمة من هؤلاء اللاجئين تجتاز حدود ألمانيا النازية وتوابعها في إتجاهات مختلفة من العالم تلمسا للنجاة وبحثا عن الأمان والإستقرار في هذا الوقت كانت الصهيونية تتخذ في سياستها تجاه اليهود اللاجئين المنحى التالي:-

1. مطالبة بريطانيا بفتح أبواب فلسطين أمام اللاجئين، وبمعنى أدق أمام من يرغب من اللاجئين متجاوزة بذلك الأرقام التي سمحت بدخولها دولة الإنتداب مما جعل المنظمات الصهيونية تلجأ إلى أسلوب الهجرة غير المشروعة.
2. حث الدول الديمقراطية الغربية التي كانت للحركة الصهيونية أوثق العلاقات معها بعدم قبول اللاجئين اليهود على أراضيها بشكل مؤقت أو بشكل دائم. وقد يبدوا هذا الأمر غير منطقي ولكن الصهيونية كانت منطقية مع نفسها وأيديولوجيتها وفكرها حينما إتخذت هذه السياسة وطبقتها بكل قسوة، وفي ذهن زعمائها الأمران التاليان:-

أ. إن قبول (الديمقراطيات الغربية) للاجئين اليهود يفقد الدعوة الصهيونية مضمونها ويفرغها من محتواها باعتبارها حركة تحرر وطني يهودي تمثل جميع اليهود في العالم (التواقين إلى العودة إلى أرض الوطن) أرض الميعاد. وفي نفس فإن هذه السيتسة ستجرف معها أيضا جميع اليهود الصهاينة أو الصالحين للهجرة إلى فلسطين لتحرفهم عن هدفها الأساسي فينتقلون إلى دول أخرى وهذا يعني أن الصهيونية ستخسر الطاقة البشرية التي تبحث

عنها وهي بحاجة إليها. وأنها ستخسر الموارد المالية التي ستحصل عليها باسم إستيطان فلسطين كملجأ لفقراء اليهود.

ب. لذلك وحيث أن أبواب فلسطين مغلقة بوجه هذه السيول العارمة، وفلسطين في نفس الوقت غير قابلة لاستيعابهم -لو افترضنا أن الأبواب مفتوحة لهم- وحيث أن أبواب الديمقراطيات الغربية مقفلة أيضا بوجه هذه السيول بسبب الموقف الصهيوني وموقف هذه الدول. إذا فإن النتيجة الحتمية هي إبادة هؤلاء جميعا وهذا بحد ذاته مفيد لأنه سيتيح لزعماء الصهيونية أن يجلسوا بعد الحرب على قدم المساواة مع الدول التي قدمت (التضحيات) للمطالبة بنصيبهم من غنائمها وسيكون لها الحق بالمطالبة بالتعويضات وبالوطن القومي ثمنا للدماء التي أريقت إبان الحرب. ويؤكد ناحوم جولد مان عندما يقول: (إن الصهيونية في هذا العصر الذي هو واحد من أسوأ عصور التاريخ تعتبر أحد المثل العليا النادرة التي قام بها المتطوعون لإنشاء حياة جديدة، ومع ذلك فإنني لست متأكدا بأن الدولة اليهودية لولا أوشفتز كانت ستوجد اليوم).[192]

إن غولد مان يعترف هنا بأن المذابح اليهودية هي السبب الأساسي لقيام دولة إسرائيل وهي الثمن الذي قدمه الغرب للصهيونية، وهو ما توقعته الصهيونية وخططت له ونفذته. وهي لم تكتفي بهذا بل وقبل بدء الحل النهائي الذي أعلنه هتلر نلاحظ أن الصهيونية كانت تخطط أيضا للمطالبة بالتعويضات من ألمانيا بعد إنتهاء الحرب وإقامة دولة إسرائيل. فها هو غولد مان مرة أخرى يقول: (إذا كان لدولة إسرائيل أن تتشكل -وهذا ما كنا نأمله- فإن الألمان سيدفعون تعويضات لمساعدة الناجين على الإستقرار فيها). ثم يتابع فيقول: (وأول مرة أعرب فيها عن هذه الفكرة كانت أثناء الحرب، خلال مؤتمر بلتمور).[193]

إقامة الدولة والتعويضات الألمانية أمران يخطط لهما أثناء الحرب ثمنا للدماء اليهودية، إن الأمر كان مدبرا بشكل محكم تضافرت من أجله كل الجهود، جهود الخصوم والأصدقاء والأعداء. الصهاينة، والنازيون، والحلفاء. والسؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو كيف نثبت دور الصهاينة من خلال مواقفهم

192 جولد مان ، ناحوم ، صفحة 72

193 المصدر السابق صفحة 107

وممارساتهم وتصرفاتهم، وما هي نظرتهم للمحاولات الجادة أو غير الجادة التي قام بها الحلفاء أو غيرهم لإنقاذ اللاجئين اليهود؟

الإجابة تتطلب منا بالدرجة الأولى إستعراض المؤتمرات المختلفة التي عقدت منذ عام 1938 وحتى نهاية الحرب والتي كان هدفها المعلن هو البحث عن أفضل الوسائل لإنقاذ اليهود والجهات التي أعدت لهذه المؤتمرات التي حضرته والتي شاركت فيه.

1. مؤتمر إيفيان:

دعا الرئيس روزفلت، رئيس الولايات المتحدة لعقد مؤتمر يبحث قضية اللاجئين الأوروبيين التي بدأت تتفاقم وتأخذ حيزا واسعا في الرأي العام العالمي. عقد المؤتمر بتاريخ 1938/7/6 في (إيفيان - ليس - بنز) على الشاطئ الفرنسي من بحيرة جنيف. حضر المؤتمر بالإضافة إلى الولايات المتحدة ممثلوا 31 دولة من أوروبا وأمريكا وأستراليا. وشارك فيه المفوض الأعلى لشؤون اللاجئين في عصبة الأمم.[194] وشاركت في هذا المؤتمر الإتحادات المهنية والكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية والكويكرز وممثلوا المنظمة الصهيونية العالمية والمؤتمر اليهودي العالمي.[195] ولقد حصر المؤتمر جهوده بمد يد العون للاجئين من ألمانيا والنمسا وأصدر بيانا يحدد أهدافه على النحو التالي:-

1. القيام بمفاوضات مع الحكومة الألمانية لتحسين إجراءات الترحيل وتأكيد الهجرة المنظمة.
2. تقديم طلبات إلى حكومات بلدان الهجرة بشأن زيادة الإمكانيات للإستيطان الدائم.

أما أهم النتائج التي تم الحصول عليها من خلال المؤتمر فهي:-

1. موافقة الولايات المتحدة على أن تسمح لأعداد محدودة بدخول أراضيها من لاجئي ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا بعد أن أوقفت العمل بقانون الهجرة لمدة خمس سنوات.

194 الموسوعة اليهودية - مجلد 6 صفحة 978
195 جولد مان ، ناحوم ، صفحة 120

2. أعلنت حكومة الدومنيكان عن قبول عدد من اللاجئين على أراضيها.
3. إقترحت الحكومة البريطانية وضع قطعة واسعة من الأرض في غوايانا البريطانية تحت تصرف المهاجرين.
4. مفاوضة الحكومة الألمانية بشأن السماح للمهاجرين اليهود بالحصول على قسم من أموالهم ولكن هذه المفاوضات لم تنجح.[196]

على أرض الواقع فإن الدولة الوحيدة التي أعلنت بصدق عن قبولها للاجئين اليهود هي جمهورية الدومنيكان.

جاءت فكرة عقد هذا المؤتمر عند إحتلال النمسا من قبل ألمانيا بتاريخ 12 آذار سنة 1938 وتنفيذ قوانين نورينبرغ على يهود النمسا بقسوة وصرامة. الأمر الذي جعل الضغط يتزايد على الإدارة الأمريكية للقيام بعمل عاجل. وكان واضحا أن هذا الضغط قوي وطويل الأمد ولذلك قرر العاملون بوزارة الخارجية الأمريكية أن من غير الجدي محاولة مقاومة الضغط، وإنما لا بد من الخروج إلى الحلبة لتوجيه هذا الضغط نحو تحرير قوانين الهجرة وتعديلها، وهكذا صادق الرئيس روزفلت بتاريخ 1938/3/22 على عقد المؤتمر ووجهت دعوة برقيا إلى بريطانيا العظمى بتاريخ 1938/3/24، وكذلك جميع دول الكومنولث وفرنسا وبلجيكا وهولنده والدانمارك والسويد والنرويج وسويسرا وإيطاليا وكل الجمهوريات الأمريكية الأخرى. وقد قبلت الدعوة جميع الدول المدعوة ما عدا إيطاليا وجنوب أفريقيا والسلفادور. والجدير بالذكر أن عدد اليهود الذين ستشملهم أعمال المؤتمر لا يقل عن نصف مليون يهودي ألماني.[197]

حضر المؤتمر بناء على دعوة من أمريكا عشرة من زعماء الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي من بينهم جولدا مائير، ناحوم جولد مان، حاييم وايز مان. وقبل أن يبدأ المؤتمر أعماله عمدت الحركة الصهيونية إلى تصعيد مطالبها لكي تصبح فلسطين كهدف للهجرة الموضوع الرئيسي في النقاش. الأمر الذي أزعج البريطانيين وذلك بسبب إلتزاماتهم المحددة بالكتاب الأبيض وعدم رغبتهم باستعداء العرب في ذلك الوقت، لذلك أرسلت بريطانيا سلسلة مذكرات إلى روزفلت تهدد بمقاطعة الإجتماع ما لم تتركز المناقشات حول

196 الموسوعة اليهودية - مجلد 6 صفحة 987
197 الموسوعة اليهودية ، مجلد رقم 6 صفحة 989

موضوع اللاجئين بشكل عام دون ذكر فلسطين. ويبدو أنه كان في نية روزفلت أن تبرهن فلسطين على كونها مفتاح مشكلة اللاجئين، ولكنه نتيجة للضغط إستجاب للطلب البريطاني. وعندما إقترح الزعماء اليهود الأمريكيون أن يدلي وايزمان بشهادته أمام المؤتمر ردت الخارجية البريطانية بالرفض وانصاع مندوب أمريكا للموقف البريطاني وتم إبعاد وايزمان عن الظهور في المؤتمر. هذا الموقف جعل الصهاينة يتأكدون أن موضوع اللاجئين سيتم حله خارج إطار فلسطين وهذا ما لا يوافقهم وبالتالي فإن العمل ضمن هذا المؤتمر سيكون نوعا من العبث ولا بد من مناهضته بشتى الوسائل.[198]

بمقدار ما كانت الصهيونية غير راغبة في نجاح مؤتمر إيفيان لأنه إستبعد فلسطين لتكون المكان الوحيد المؤهل لاستقبال اللاجئين اليهود. كذلك لم تكن معظم الدول المشتركة فيه راغبة في إستيعاب أو إنقاذ مئات الألوف من اليهود الهاربين من النازية. ويعلق على هذا ناحوم جولد مان[199] فيقول: (خلال الأربعة أو الخمسة أيام التي قضيتها في إيفيان حيث كانت تعقد جلسات المؤتمر، لم أتعلم شيئا آخر غير الجغرافيا، حيث كانوا يعلنون عن البلد (س) ليأتي ممثلها ويتكلم عن المناخ الحار جدا أو البارد جدا وعن الصعوبات التي يتلقاها إنتاج المواد الأولية وغير ذلك من الأسباب التي تجعله يؤكد أنه لا مكان في بلده لليهود اللاجئين، كان ذلك نوعا من اللاوعي الرهيب).

إن جولد مان يحاول أن يلقي اللوم على الدول التي ترفض اليهود ولكن الحقيقة أن رغبة هذه الدول إلتقت مع رغبة زعماء الصهيونية.. ولو كان جولد مان مهتما بنتائج المؤتمر لاستمر في الحضور حتى النهاية، حيث أن إنعقاد المؤتمر إستمر حوالي ثلاثة أسابيع وجولد مان لم يمكث إلا خمسة أيام. لقد نسي جولد مان أن التصعيد الصهيوني بالإصرار على فلسطين. وفلسطين وحدها لتكون المكان الذي سيتوجه إليه اليهود، إن هذا التصعيد هو الذي جعل المؤتمر يفشل -ولا ننكر عدم الرغبة في قبول الدول- ولكن لو إتخذ الصهاينة موقفا أخلاقيا تجاه اليهود وسمعوا إلى نداء هذا اليهودي الذي طلب تأشيرة من أية دولة من الدول الثلاثين لأمكن إيجاد حل مقبول لمشكلته ومشكلة غيره. ولكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو هل تريد الصهيونية أن تحل المشكلة بهذا الشكل؟

198 Jrofsky . M.I. Page 280

199 جولد مان ، ناحوم صفحة 120

ونختتم الحديث عن مؤتمر إيفيان بما أوردته جولدا مائير في مذكراتها[200] إذ قالت: (جلست عضوا مراقبا وليس عضوا رسميا رغم أن الموضوع الذي سيدرس هو موضوع عائلتي وقومي. بالطبع كنت أعرف أن ما ينتظر أولئك اللاجئين المنبوذين لم يكن فقط خياما ثابتة بل خيام موت. ولكنني للأسف لم أدرك تلك الحقيقة، لذلك بقيت في مكاني صامتة الساعة تلو الأخرى بانتظام وأدب، لم ينجز شيء في إيفيان سوى بعض العبارات والشعارات الجوفاء ولكني قبل أن أترك المؤتمر عقدت مؤتمرا صحفيا لإسماع العالم بأسره شيئا عن قضيتنا).

حينما يتحدث أي زعيم صهيوني عن فترة المذبحة ويصل نقطة لا بد أن يتهم فيها بالتقصير أو التواطؤ نراه يلجأ إلى أحد أسلوبين إثنين أو إلى الأسلوبين معا فهو:-

1. إما أن يبدأ بالنقد الذاتي مع التأكيد على أنه حاول أن يوصل الحقيقة إلى الآخرين ولكنه فشل ثم يعمم المسؤولية لتقع على الجميع وبالتالي تضيع بين الجميع.
2. أو أن يلجأ إلى أسلوب الجهل بالواقع كما فعلت جولدامائير هنا حينما قالت ولكنني للأسف لم أدرك تلك الحقيق. وهي بهذا تريد أن تتهرب من المسؤولية كونها لم تتوقع ما حصل أو أنها كانت تجهل أسبابه ومسبباته.

أثر وصول المؤتمر إلى طريق مسدود بنتائجه الهزيلة التي تم التوصل إليها بفضل العراقيل التي وضعتها الصهيونية في طريقه أعرب الرئيس روزفلت في حديث له مع موريس أرنيست الشخصية الإجتماعية الأمريكية البارزة أعرب له عن أسفه لاستحالة إنقاذ اللاجئين اليهود بقوله: (يؤسفني أن يكون هذا المشروع غير قابل للتنفيذ، فهذا لن يسمح به زعماء الطوائف اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية.. إن الصهاينة يدركون أن الفرصة مواتية الآن لاستعمار فلسطين).[201]

200 جولدامائير صفحة 139

201 برودسكي ، شوليستر ، صفحة 111 وأيضا الفرد لينتال صفحة 33.

كذلك كتب سلمون شينفلد عن دور الصهاينة الإنكليز يقول: (لقد وافقت حكومتنا على تقديم المأوى والمعونة لليهود الذين هددتهم الفاشية ولكن ذلك إصطدم بالرفض من قبل الصهاينة الذين لم يعترفوا إلا بشكل واحد من أشكال المعونة وهو إرسال جميع اليهود إلى فلسطين).[202]

2. مؤتمر برمودا:

تحت صغط من البرلمان والكنائس والمنظمات الإنسانية إقترح مكتب وزير الخارجية البريطانية بتاريخ 1943/1/20 إجراء تشاور مشترك بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لبحث مشكلة اللاجئين ضحايا النازية وإيجاد الحلول الممكنة لها. وبعد تبادل المذكرات الديبلوماسية عقد المؤتمر الأنجلو - أميركي لشؤون اللاجئين في برمودا من 19 نيسان إلى 30 منه عام 1943. وترأس الوفد البريطاني ريتشارد لو وكيل وزارة الشؤون الخارجية أما الوفد الأمريكي فقد ترأسه هارولد ويلز دودز رئيس جامعة برنستيوم ولم يسمح لأي منظمات خاصة أو للمراقبين بالحضور. إلا أن المنظمات الصهيونية في أمريكا وإنكلترا أعدت مذكرة تقترح تدابير للإنقاذ. وعرض حاييم وايزمان وثيقة باسم الوكالة اليهودية في فلسطين. توضح أهمية فلسطين في حل مشكلة اللاجئين اليهود وتطالب بإهمال سياسة الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر في أيار عام 1939 . ولقد كان الخلاف بين الحكومتين حول إستمرار اللجنة المشتركة لشؤون اللاجئين والتي أقرت في مؤتمر إيفيان (تموز سنة 1938) واستغرق بحث هذا الخلاف معظم وقت المؤتمر. وتم الإتفاق على إستمرار اللجنة خلال فترة الحرب. إلا أن أعمال هذه اللجنة لم تنقذ يهوديا واحدا.[203] وأن خطط بريطانيا بفتح مخيمات في شمال أفريقيا لتكون ملاذ اللاجئين خلال الحرب لم تكن مجدية وفشلت فشلا ذريعا.

لقد كانت نتائج هذا المؤتمر كسابقه والذي دعا إليه روزفلت لإنقاذ اللاجئين من حيث الواقع العملي وهذا يدل على مدى جدية هذه الدول في العمل الحاسم لإنقاذ اللاجئين ونلاحظ أن كل المؤتمرات لم تكن للإستهلاك المحلي. وكانت عمليات تخدير للجماهير الناقمة الغاضبة.ومن مراجعة ما جاء في الموسوعة اليهودية عن هذا المؤتمر نثبت هنا النقاط التالية:-

202 Faris Yahya, Page 52 , 53

203 الموسوعة اليهودية - مجلد رقم 4 صفحة 668

1. لم يكن هذا المؤتمر مبادرة ذاتية من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة إحساسا منها بأهمية وخطورة مشكلة اللاجئين الذين يشكل اليهود النسبة العظمى منهم، وإنما كان عقد هذا المؤتمر تحت ضغط وإلحاح الجمعيات الإنسانية والكنائس والبرلمان البريطاني والرأي العام اليهودي في أمريكا.
2. لم يكن للمنظمات الصهيونية أي دور للمطالبة بعقد هذا المؤتمر وإنما إستغلت إنعقاده لتقدم المذكرات المستفيضة حول أهمية فلسطين وفلسطين فقط لتكون الملجأ الوحيد لهجرة اليهود إليها وذلك بإلغاء القيود التي فرضتها بنود الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا.
3. تصر الدولتان العظميان (بريطانيا وأمريكا) على أن تكون أبواب بلديهما مقفلة أمام المهاجرين اليهود حيث إقترحت بريطانيا أن تكون شمال أفريقيا مكانا ملائما لاستقبال اليهود ولكن هذا الإقتراح أثبت فشله.
4. عادت الدولتان إلى مقررات إيفيان بالموافقة على إستمرار عمل اللجنة الحكومية التي تم الإتفاق عليها في ذلك المؤتمر، وكانت النتيجة أن هذه اللجنة لم تستطع إنقاذ يهودي واحد من المحرقة النازية.

3. مؤتمر بلتمور:

من 6 إلى 11 أيار سنة 1942 عقد في فندق بلتمور بنيويورك مؤتمر صهيوني طارئ أطلق عليه إسم (مؤتمر بلتمور) وقد حضرت هذا المؤتمر وفود من كل منظمة صهيونية في أمريكا وكندا كما حضره كل القادة المهمين من فلسطين وأوروبا وكان أبرز الحضور حاييم وايزمان، ديفيد بن غوريون، ناحوم جولدمان، ابا هيلل سيلفر (أمريكا)، الحاخام ستيفن وايز (أمريكي) وإسرائيل جولد شتاين.

وحيث أنه تعذر أثناء الحرب إنعقاد أية هيئة تشريعية صهيونية، فقد أنيط بهذا المؤتمر عمليا سلطة الهيئة التشريعية (الكونغرس). كان المتكلم الرئيسي في هذا المؤتمر هو ديفيد بن غوريون المدير التنفيذي للوكالة اليهودية الذي ذهب إلى نيويورك خصيصا لحضوره، وقد وضح أن اليهود لم يعد باستطاعتهم الإعتماد على الإدارة البريطانية في تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وأشار إلى الحاجة الماسة للهجرة والإستيطان مؤكدا على أنه لا يمكن لأي نظام حكم آخر في هذه الظروف أن ينجز ما يمكن أن يقوم به اليهود إذا أعطوا السلطة المطلوبة.

لقد كان مؤتمر بلتمور نقطة تحول واضحة في السياسة الصهيونية فيما يتعلق بأمرين إثنين، أولهما التأكيد ولأول مرة على إقامة كومنولث يهودي في فلسطين، وهذا يعتبر تطويرا للموقف الصهيوني السابق الذي كان يتحدث عن مجرد وطن قومي لليهود. وثانيهما التركيز على أن أمريكا هي الحليف الأكبر الذي يمكن أن تعتمد عليه الصهيونية في إقامة الدولة اليهودية، وأن بريطانيا لم يعد ممكن الإعتماد عليها بعد الآن، خصوصا بعد أن خذلت الموقف الصهيوني فيما يتعلق بالكتاب الأبيض وفتح أبواب فلسطين للهجرة غير المشروعة.[204]

إن هذا المؤتمر الذي عقده الصهاينة لم يشر إلى أي حل آخر لمشكلة اللاجئين وأنه لم يطالب أمريكا بأن تخفف من قيود الهجرة إليها وأنه لم يتوجه إلى (دول العالم الحر) بقبول اللاجئين اليهود، وإنما إكتفى بالتركيز على فلسطين، مع إرسال أطيب التمنيات والعواطف الجياشة لليهود المحاصرين في الغيتوات ومعسكرات الإعتقال والإبادة النازية.

لقد أنهى المؤتمر أعماله بتاريخ 1942/5/11 وأصدر بيانا من ثماني فقرات نثبت هنا بعضه:

1. لقد إجتمع الصهيونيون الأمريكيون في هذا المؤتمر الإستثنائي لتأكيد تفانيهم من أجل الحرية والديمقراطية والعدالة الدولية، والتي إلتزم بها الحلفاء والولايات المتحدة والمعبرة عن إيمانهم بالإنتصار النهائي للإنسانية والعدالة ضد القوة الوحشية المناهضة للقوانين.
2. يبعث أعضاء هذا المؤتمر رسالة أمل وتشجيع لإخوانهم اليهود في (غيتواتهم) ومعسكرات الإعتقال في أوروبا المحتلة من قبل هتلر ويصلي الأعضاء لكي تقترب ساعة تحريرهم.
3. في جيلنا هذا وبشكل خاص خلال السنوات العشرين الأخيرة فقد أستيقظ الشعب اليهودي وازداد عددهم في وطنهم القديم من (50) ألف في نهاية الحرب الأخيرة إلى أكثر من (500) ألف الآن وزرعوا الأراضي المقفرة بالفواكه وجعلوا الصحراء تزهر، إن إنجازاتهم الطليعية في الزراعة والصناعة تجسد بأنماط جديدة من التعاون في تاريخ الإستيطان.

---

204 الموسوعة اليهودية - مجلد رقم 4 صفحة 997

4. ويدعو المؤتمر لتحقيق الأهداف الأصلية لوعد بلفور والإنتداب البريطاني (الذي يعترف) بالعلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين، والمتضمنة إتاحة الفرصة للشعب اليهودي لإيجاد كومنولث يهودي في فلسطين حسب ما بين الرئيس ولسون. ويؤكد المؤتمر رفضه المطلق للكتاب الأبيض الصادر في باريس سنة 1939 حيث يحاول الكتاب أن يحدد وفي الواقع أن يلغي حق اليهود بالهجرة والإستقرار في فلسطين، كما بين المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني في أيار سنة 1939 فإن هذا الكتاب (يشكل نقضا وإلغاء لوعد بلفور) إن سياسة الكتاب الأبيض قاسية لا يمكن الدفاع عنها في إنكارها الحق المقدس لليهود الهاربين من النازية في وقت أصبحت فيه فلسطين نفطة رئيسية في جبهة حرب الأمم المتحالفة حيث يتوجب فيه على يهود فلسطين توفير الطاقة البشرية للمزارع والمصانع وهذا يتعارض أيضا مع مصالح جهود الحلفاء الحربية.
5. في النضال ضد قوى العدوان والطغيان التي كان اليهود من أوائل ضحاياها والتي تهدد الآن الوطن اليهودي، ينبغي الإعتراف بحق يهود فلسطين في لعب دورهم كاملا في المجهود الحربي والدفاع عن بلادهم من خلال قوة عسكرية يهودية تقاتل تحت علمها وتحت إمرة القيادة العليا للأمم المتحالفة.
6. يعلن المؤتمر بأن النظام العالمي الجديد الذي سيعقب النصر لا يمكن ترسيخه على أسس العدالة والسلام والمساواة ما لم تحل مسألة الوطن اليهودي.

ويدعو المؤتمر إلى فتح أبواب فلسطين وأن تتحكم الوكالة اليهودية بالهجرة إلى فلسطين وتتمتع بالصلاحيات التي تمكنها من بناء البلاد وتطوير الأراضي غير المزروعة والسائبة وأن تصبح فلسطين كومنولث يهودي مندمج في مبنى العالم الديمقراطي الجديد. عندها فقط فإن الخطأ القديم بحق الشعب اليهودي سيتم تصحيحه.[205]

إن الذي يلفت النظر في البيان هو المقايضة الواضحة التي جاءت في الفقرة الأخيرة والتي تطالب بإقامة كومنولث يهودي في فلسطين مندمج في

205 From Haven to Conquest , By : Walid Khaldi , The Institute or Palestine Studies. Beirute 1972 , Page 495, 496.

مبنى العالم الديمقراطي الجديد وتعتبر إقامته من قبل المؤتمر الصهيوني بمثابة ثمن لكل الأخطاء التاريخية التي اركبت بحق اليهود في العالم، وليس هذا فحسب بل وثمن أيضا لما يستجد من مذابح بحقهم خلال الحرب وإلى نهايتها.

وإذا خرجنا من إطار المؤتمرات إلى المساعي الخاصة التي كان يقوم بها زعماء الصهيونية لدى الإدارة الأمريكية، نرى أنها كلها تسير في خط واحد. فقد أشار إلى هذه القضية ميلفين اورونسكي،[206] أكثر من مرة في كتابه (الصهيونية الأمريكية من هيرتزل إلى الكارثة) حيث قال: (لقد حاصر روزفلت اليهود المقربون إليه ليساعد على تخفيف محنة اليهود. وناشده ستيفن وايز وفيليكس فرانكفورتر وآخرون للتأثير في البريطانيين لفتح أبواب فلسطين، وقام بنفس الدور لويس برانديس مع آخرين من زعماء الصهيونية الأمريكية لدى كورديل هال للفت نظره إلى أن بريطانيا العظمى وافقت في المؤتمر الإنكليزي الأمريكي عام 1924 على عدم إدخال تعديلات على صك الإنتداب دون موافقة أمريكا. ومع الإعتراف بأن الغاية الأساسية من هذا الإتفاق كانت ضمان المصالح التجارية إلا أن الناطقين اليهود رأوا أن بالإمكان تفسيرها لإعطاء الولايات المتحدة صوتا في قضايا الهجرة.

وأخيرا كيف نفسر سكوت الجاليات اليهودية الأمريكية تجاه مشكلة اللاجئين وبمعنى أدق كيف نعلل عدم إثارة الجاليات هذه المشكلة بشكل أكثر جدية وصراحة. فهل كانت خاضعة للنفوذ الصهيوني الذي تعرفنا عليه من خلال هذا العرض؟ أم أن أسبابا أخرى تقف وراء سكوتها هذا؟

منذ فترة طويلة والبورجوازية اليهودية المندمجة في أوساط الطبقة الحاكمة في أوروبا الغربية وأمريكا تبدي تذمرها الشديد من الهجرات اليهودية القادمة من أوروبا الشرقية خشية إنبعاث الحركة المعادية للسامية وانتشار هذه الحركات خوفا على مواقعها الإقتصادية ومركزها التجاري، وشمل هذا التذمر والخوف بصورة خاصة أمراء الرأسمال اليهودي والشرائح الوسطى من البورجوازية اليهودية المتمركزة في الأعمال التجارية وميدان المهن الحرة الواسع، بالإضافة إلى المجالات العلمية والأدبية، لذلك أخذت بالبحث عن طريق الحد من الهجرة

---

206 Jrofsky , Page 281.

اليهودية إلى مواقعها. بالعمل على تحويل تدفق الجماهير المعدمة من اليهود إلى مناطق أخرى من العالم خارج أوروبا وأمريكا أي بشكل خاص تحويلها إلى فلسطين. ولذلك فهي -أي هذه العناصر البورجوازية- التي دعمت منذ أوائل القرن الحالي قوانين الحد من الهجرة التي سنتها حكومات أوروبا والولايات المتحدة والتي إستهدفت بصورة رئيسية يهود أوروبا الشرقية المشردين. ولذلك نراها تجاوبت بقوة ولهفة مع المشاريع الإستعمارية الإستيطانية للتخلص من المسألة اليهودية وبذلت جهودا حثيثة لإنجاحها.[207]

وهناك تفسير آخر لا يخرج في جوهره ونتيجته عن التفسير الأول أورده الكاتبان الأمريكيان (جوستورك وشارون روز). إذ رأى هذان الكاتبان أم معظم اليهود الأمريكيين كانوا منشغلين في إنتشال أنفسهم من الأزمات الشخصية التي خلفها الهبوط الإقتصادي الكبير. فكانوا يتعاطفون مع الهموم التي كانت قيادة الحركة العمالية تعبر عنها بخصوص النتائج السلبية الممكنة الناجمة عن هجرة أعداد كبيرة تزاحمهم على أعمالهم القليلة. وهكذا ففي حين أن الكثيرين من الأفراد اليهود كانوا مستعدين لتوقيع الوثائق التي تتعهد بالمساعدة المالية لأقاربهم الألمان والنمساويين، فإنهم لم يكونوا مستعدين للإنضمام إلى حملة عامة تدعو إلى الهجرة الجماعية تلك الحملة التي لم تكن تروق لزملائهم الأمريكيين.

إن الإحساس بالمزاحمة، والخوف من تزايد اللاسامية، والتعبير عن عدم الإستقرار الأمني الذي أحس به يهود أمريكا بسبب تزايد المهاجرين اليهود سواء أيام الكارثة النازية أو قبلها، طغى على لهفتهم لإنقاذ أبناء جلدتهم بالعمل على كسر كل قيود الهجرة التي وضعتها حكومتهم. فكان لا بد من إيجاد ملجأ أمين وبما ان فلسطين وحدها هي التي كانت مستعدة لقبول اعداد كبيرة من اليهود. ولذلك فقد كانت الصهيونية بالنسبة للأمريكيين اليهود بديلا مريحا للإثارة السياسية الداخلية التي لم يجرؤوا على التعاطي بها.[208]

لذلك لم يعد هناك مكان للتفسير الساذج الذي أتى به كثيرون من المناهضين للصهيونية بأن قسوة المنظمات الصهيونية هي سبب صمتها

---

207 صادق جلال العظم صفحة 47 , 48.

208 المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية - جامعة الكويت سنة 1974 صفحة 88.

وسكوتها على المذابح التي إقترفها هتلر من جهة، وبالتالي عدم ممارستها أي ضغط على الحكومة الأمريكية لتمكين المهاجرين اليهود من إيجاد ملجأ لديها من جهة اخرى.

لقد إستفادت الحركة الصهيونية من الأوضاع التي أشرنا إليها والخاصة بالجاليات اليهودية لتقود رغبات هذه الجالية إلى المنحى الذي سارت إليه مستفيدة بذلك من كل الظروف المواتية التي ساعدتها على تحقيق ما تريد.

القسم الخامس

التحريض

إنسجاما مع المبادئ الصهيونية المبنية على أن اليهود يشكلون أمة (تامة) وأنه لا بد من تهجيرهم إلى (وطنهم) بكل الوسائل، مع الإستفادة الكاملة من موجات اللاسامية التي تجتاح أوروبا واستثارة هذه الموجات وتحريكها إن إحتاجت لذلك. إنسجاما مع هذه المبادئ جاءت التصرفات التي مارسها قادة هذه الحركة ضد اليهود مستعينين بذلك مع كل عتاة اللاسامية والعنصرية في دول أوروبا. لذلك فإن الإتفاقات التي عقدت والصفقات التي تمت كانت جميعها مستندة إلى أيديولوجية واضحة، بل كانت تطبيقا لهذه الأيديولوجية وتعميدا لها. وبالتالي لم تكن وليدة الصدفة أو بسبب الظروف التي أملتها المرحلة الحرجة التي مرت بها الطائفة اليهودية إبان الحرب العالمية أو قبلها أو بعدها. ولم يسمح للقادة اليهود الذين إستشرفوا الخطر الناجم عن هذه العقيدة إبداء رأيهم أو الإحتجاج عليها، بل أخمدت أصواتهم وصمت كل الآذان عن سماع تحذيراتهم التي ذهبت بالنتيجة أدراج الرياح. ولقد كان (ادوين مونتاغو) الوزير اليهودي في وزارة لويد جورج التي أصدرت وعد بلفور، الوحيد بين كل الوزراء الذي أدرك بوضوح الدوافع اللاسامية وراء سياسة هذه الحكومة فكتب لها يقول:[209] (لا توجد أمة يهودية ... وإذا قيل لليهود أن فلسطين هي وطنهم القومي فإن كل دولة أخرى سوف تتوجه فورا إلى التخلص من مواطنيها اليهود ... وأن فلسطين اليوم غير مرتبطة باليهود وليست المكان الملائم كي يعيشوا فيه ...).

وفي الوقت الذي نسف فيه مونتاغو أفكار الحركة الصهيونية التي تعتبرها لا تمثل وجهة نظر البريطانيين اليهود، لأن الصهاينة أقلية بينهم غرباء عنهم، في الوقت نفسه وضع يده على النقطة الحساسة الخاصة بفكرة تخلص الدول من مواطنيها اليهودعندما يصبح لهؤلاء وطن في فلسطين،

209 مذكرة ادوبن مونتاغو إلى الحكومة البريطانية في 1918/8/23 رقم 24/24 - الوثائق العامة البريطانية - صدرت عن مركز التخطيط - منظمة التحرير الفلسطينية في 1975/12/26.

لأن هؤلاء إما أن يرحلوا إلى فلسطين أو يصبحوا غرباء في أوطانهم بعد أن كانوا مواطنين يتمتعون عبر أجيال طويلة بكل حقوق المواطنية.

لم يكن مونتاغو يتكلم من الفراغ كما أنه لم يكن يتنبأ بأحداث من باطن الغيب، لأنه يعرف وبشكل جيد أفكار هيرتزل وخلفائه التي بدأت تنتشر بين أوساط الصهاينة. هذه الأفكار لم تكن بعيدة عما ذكره في رسالته للحكومة البريطانية، وإذا إتهم هذه الحكومة صراحة بأنها حكومة لا سامية لأنها (سايرت) الآراء والمطالب الصهيونية فهو يؤكد بصراحة على أن الصهاينة أنفسهم هم دعاة اللاسامية وأربابها ومحركوها. إذ ليس من مصلحتهم إخمادها ولا بد من إثارتها باستمرار لتكون القوة الدافعة لتهجير اليهود إلى (أرض الميعاد) ةتحقيق أحلام الحركة الصهيونية.

وإذا مرت على اليهود عهود من الإضطهاد والقمع في العصور الوسطى والقرون التي تلت، فإن عهدا من الإزدهار والرخاء قد جاءهم مع الثورة الفرنسية، هذا العهد قد قوى الإحساس والشعور لديهم بضرورة الإندماج الكامل في المجتمعات والتمثل ضمن صفوفها، وكان هذا هو الحل الأمثل الذي لاقى ترحيبا كبيرا في صفوف جماهير اليهود في مختلف الدول الأوروبية وخاصة في الدول الغربية، الأمر الذي دعا ليوبنسكر إلى القول بأن العامل الأقوى الذي يؤثر في منع اليهود من السعي لأجل تحقيق وجود قومي مستقل هو عدم شعورهم بالحاجة لمثل هذا الوجود، وهم لا يكتفون بعدم تحسس الحاجة إليه، بل يذهبون إلى حد إنكار أن تكون مثل هذه الحاجة أمرا معقولا.[210] هذا الجو المخيم على الطائفة اليهودية في أوروبا بالذات لم يكن ليرضي فلاسفة الحركة الصهيونية لأنه يتناقض مع الفكرة الأساسية لدعاواهم، ولذلك كان لا بد من مواجهة هذا الوضع بحيث تكون مواجهة غياب الرغبة في الإستقلال القومي لدى هذه الجماهير وبالعمل على إثاراتها والبرهنة على انه نيبغي عليهم (أي اليهود) أن يصبحوا أمة.[211] ولا يتم ذلك إلا بجملة ممارسات سواء من قبل الصهاينة أو من أبناء الأديان الأخرى، بحيث تجعل اليهودي الذي يعيش الإندماج بكل أشكاله وصفاته يعود إلى الشعور مرة أخرى بالغربة والضياع والإضطهاد وعدم الإستقرار

210 د. العظم صفحة 82

211 المصدر السابق صفحة 126

ومن ثم يعيد النظر بعلاقاته الإنسانية والإجتماعية والثقافية مع أبناء بلده، وسيوصله بالتأكيد هذا التفكير إلى الهجرة إلى مكان آخر أكثر أمنا واستقرارا، بعيدا عن الإضطهاد الديني والإقتصادي والإجتماعي، ويثبت في ذهنه مقولات هيرتزل التي تعيد العداء للسامية إلى أصل وجود الإنسان أي أن العداء إنما هو عداء أبدي وهو مولود أصلا مع الإنسان، وهذا يستتبع بالضرورة النتيجتين التاليتين:-

1. أن الأمة اليهودية كانت موجودة دائما بسبب قدم العداء للسامية واستمراره.
2. لا حل للمسألة اليهودية إلا بتجميع اليهود في وطنهم القومي في فلسطين لأن إستئصال معاداة السامية من الطبيعة البشرية (غير اليهودية) أمر مستحيل، لذلك يرى هيرتزل أن معاداة السامية هي (القوة الدافعة) الأساسية التي ستمكن الحركة الصهيونية من تحقيق أهدافها وهو بهذا الصدد يقول: (أعتقد أنني أفهم معاداة السامية التي تشكل في الواقع حركة على مستوى عال من التعقيد. أنا أنظر إليها من وجهة نظر يهودية ولكن دون أي خوف أو كراهية).[212]

إن هيرتزل لا ينظر إلى معاداة السامية نظرة خوف أو كراهية وإنما يعتبرها قوة دافعة لتحقيق نظريته لذلك فهي بالنسبة له منحة سماوية تستحق الإبتهاج، وهي إذا لم تكن موجودة فإن من واجبه خلقها أو إيجادها. هذه القوة ستعمل كما يراها على صعيدين إثنين، الصعيد الأول هو دفع الجماهير اليهودية نحو الهجرة، أو كما يقول في معرض كلامه عن حركة الهجرة إلى فلسطين: (لن تحتاج الحركة إلى بذل جهود ضخمة من أجل دفعها إلى الأمام. إذ سيقدم المعادون للسامية القوة الدافعة اللازمة لذلك. ما عليهم إلا ان يقوموا بما كانوا يقومون به في الماضي كي يولدوا الرغبة في الهجرة حيث لم تكن موجودة في السابق ويعززها حيث كانت موجودة أصلا).

هذا هو الصعيد الأول، أما الصعيد الثاني فهو رغبة الحكومات الشوفينية في البلدان الأوروبية في التخلص من فقراء اليهود في دولهم وسد أبواب الهجرة أمام القادمين منهم بوحي من قناعاتهم الرجعية والعنصرية

212 Theodor Herzl , Page 15

المعادية للسامية الأمر الذي لا يترك لهؤلاء اليهود خيارا آخر، غير الهجرة إلى فلسطين، لذلك فهو يتوقع (هيرتزل) النجاح لدعوته في البلدان الأكثر عراقة وشراسة في معاداة طبقاتها السائدة لليهود.[213]

إن هذا لا يفسر لنا الدعوة الصريحة الواضحة من (منشئ الحركة الصهيونية) للدول الأوروبية لاستعدائها وتحريضها ضد اليهود، فقراء اليهود فحسب، وإنما يفسر لنا أيضا موقف البرجوازية اليهودية الغارقة حتى أذنيها بالدعوة الصهيونية حول هجرة اليهود الأوروبيين إبان الحرب ورفضهم القاطع سماح بعض هذه الدول باستقبال بعض اليهود لأسباب إنسانية بحتة بحيث نستطيع أن نقول أن مثل هذه المواقف (الصهيونية) لم تكن ردة فعل ولم تكن خطأ في التقدير والحسابات أو تقصيرا وضعف رؤيا، وإنما كانت بناء على عقيدة واضحة راسخة. ولذلك جاءت عن سابق إصرار وتصميم.

إن هذه الأسس النظرية للحركة الصهيونية هي التي جعلت هذه الحركة تدخل منذ إنطلاقتها في سلسلة طويلة من المعاملات والمبادلات والتحالفات المصلحية المشتركة مع أعتى القوى الرجعية المعادية لليهودية، وأكثر السلطات تشددا في عدائها للثورات، وفي إضطهادها للجماهير اليهودية. كل ذلك يهدف وضع (القوة الدافعة) لمعاداة السامية في خدمة المخطط الصهيوني على كافة المستويات. لقد مارس هيرتزل وأتباعه ما بشروا به، فانسجمت الوسائل التي إستخدموها في جهودهم الدبلوماسية الطويلة من أجل القضية الصهيونية مع المبادئ التي أعلنوها. ويتضح هذا بشكل جلي من الإتصالات التي قام بها مع روسيا القيصرية تلك الدولة التي كانت في بداية القرن قد طبقت السياسة الأكثر تعصبا ووحشية من مجازر وطرد وتمييز. إن هذا ما يفسر بالضبط قول هيرتزل (أن اللاساميين سيكونون أفضل أصدقاء اليهود والحكومات اللاسامية أفضل حليفاتهم).

كان هيرتزل يحلم دائما بلقاء القيصر الروسي، ولكنه لم يتمكن من تحقيق حلمه هذا، إلا أنه اجرى محادثات مع وزير الداخلية القيصري (فون بليفيه) الذي كان مسؤولا عن تنفيذ إجراءات معادية لليهود والذي نظم مجازر مثل مذبحة (كيشينيف) التي قتل فيها خمسة وأربعون يهوديا. وكان بليفيه

213 Ibid , Page 57

من الوحشية بحيث إعترف بأنه لم تكن لديه إعتراضات على التخلص من أكبر عدد ممكن من اليهود، وهو في هذه الحالة سيصبح مؤيدا متعاطفا مع الصهيونية. وفي هذا اللقاء إقترح هيرتزل أن يكتب بليفيه له رسالة يقدمها أمام المؤتمر الصهيوني، تفيد أنه بإمكان الحركة الصهيونية أن تعتمد على (المساعدة المعنوية والمادية) للحكومة الروسية. وصارت رسالة بليفيه أثمن ما يملكه هيرتزل. وكان يحملها معه في كل مكان، وجعل البابا يطلع عليها. أما ما قدمه هيرتزل من وعود إلى الحكومة الروسية مقابل هذه الجهود فهو (أن الصهيونية ستنهي جميع العناصر الثورية الإشتراكية بين اليهود).[214]

وفي سنة 1903 قابل مؤسس الحركة الصهيونية في سانت بترسبورغ زعيما لا ساميا آخر هو وزير المالية القيصري الكونت (فيته)، الذي كان هو الآخر يفضل الخطة الصهيونية لإخراج اليهود من أوروبا. لقد قال فيته لهيرتزل (لو كان من الممكن إغراق ستة أو سبعة ملايين يهودي في البحر الأسود لأسعدني تماما أن أفعل ذلك. ولكنه غير ممكن، ولذا يتوجب علينا أن ندعهم يعيشون ولكننا نشجع اليهود على الهجرة ... إننا نطردهم).[215]

ونتيجة لمذابح القيصر ضد اليهود حاولت أعداد منهم دخول بريطانيا -بدلا من فلسطين- كملجأ لهم مخيبين بذلك آمال الصهيونية. وعندما أثيرت هذه القضية أمام الرأي العام البريطاني قدم هيرتزل شهادته أمام (اللجنة الملكية حول هجرة الأجانب)، داعيا إلى تأييد موقف بعض اللاساميين البريطانيين إلى تحويل نهر الهجرة عن بريطانيا، وهكذا إتفق في الرأي نع العنصري أرنولد وايت أحد أبرز منظري الحملة من أجل منع اليهود من دخول بريطانيا. وفي ذلك الوقت كان جوزيف شامبرلين وزير المستعمرات البريطاني من أشد اللاساميين إذا هاجم سياسة السماح للهجرة اليهودية إلى بريطانيا مؤيدا في الوقت ذاته الفكرة الصهيونية لدولة يهودية وممتدحا هيرتزل بحرارة.

أما أرثور بلفور صاحب الوعد المشهور فقد كان أيضا من دعاة اللاسامية الأكثر حماسا، وقد ألقى خطابا حول مسألة هجرة اليهود إلى بريطانيا

---

214 Faris Yahya , Page 10

215 Ibid , Page 11

فقال: (لن يكون لمصلحة مدنية البلد أن تكون هناك مجموعة ضخمة من الأشخاص الذين بأفعالهم الخاصةيبقون شعبا منفصلا ولا يعتنقون دينا مختلفا عن الأكثرية الساحقة من مواطنيهم فحسب، ولكنهم أيضا لا يتزاوجون إلا فيما بينهم.

لم تكن الصهيونية في البداية تكتفي بالصداقة والتعاون مع اللاساميين - بل وصلت إلى مرحلة تحريض هؤلاء ضد اليهود ليزدادوا إمعانا في سياستهم، وليبرهنوا بالنتيجة على أنها أكثر قربا من الفكر الصهيوني لأن تحقيق هذا الفكر ستكون نتائجه خدمة لمصالحهم (اللاسامية)، بحيث تتخلص هذه الدول من رعاياها اليهود من جهة، وهذا ما يرضي اللاسامية، وهي في نفس الوقت ستكون فلسطين اليهودية -كما قال وايز مان- دولة واقية لإنكلترا خصوصا فيما يتعلق السويس[216] من جهة أخرى.

إن كل اللاساميين في العالم وخاصة أولئك الذين حكموا أوروبا كانوا يلتقون مع الحركة الصهيونية في جوهر أفكارها آرائها، لذلك فقد كانت الحركة الصهيونية أكثر إتصاقا بهم وتعاونا معهم واستمر هذا التعاون في أحلك الظروف التي مر بها اليهود أيام الحرب العالمية الثانية وهذا ما يؤكده قول لينين بأنه من غير الممكن أن نلجأ إلى الصدفة لنفسر أن القوى الرجعية في أوروبا بأسرها وفي روسيا على الأخص، هي على وجه التحديد التي ترفض أن تمثل اليهود وتبذل قصارى جهدها لتأمين خصوصيتهم.[217]

لم يكن صعود هتلر إلى الحكم ليزعج الصهاينة بمقدار ما أسعدهم وأبهجهم لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة التي تلتقي معهم في كل رأي وبالتالي فإنه الوحيد القادر على مساعدتهم من خلال تدبيره مذابح اليهود واضطهادهم وطردهم خارج بلاده.

لقد تبنى هتلر نقطتين أساسيتين تعتبران جوهر الفكر الصهيوني، وهما أن اليهود يشكلون شعبا وعرقا متميزا وأنه ستكون لهم دولة. وهو هنا يقتبس

216 3 4/Trialand Ernor , Chaum Weizman , New York 1949 Page342

217 لينين - المختارات الجديدة - نصوص حول المسألة اليهودية - دار الطليعة - بيروت - ترجمة جورج طرابيشي سنة 1972 صفحة 174

أقوال شوبنهور (بأن الشعب المختار هو الأستاذ الأعظم في فن الكذب)، لأن اليهود حاولوا -على حد زعمه- إيهام الشعوب التي يعيشون بينها أنهم مجرد طائفة دينية، كما أوهموا الألمان أنفسهم بأنهم (ألمان) لحما ودما. وقد نجحوا في هذا ليس في ألمانيا فحسب بل في فرنسا وإنكلترا وإيطاليا، حيث إعتبروا هناك رعايا مخلصين. وهو يعلن بكل أسف أن وزيرا في حكومة بافاريا إكتشف -بشكل متأخر- أن اليهود يؤلفون شعبا له طابعه المميز. ثم يتوصل فيما بعد (هتلر) إلى تأكيد النتائج التي توصل إليها وهي أن اليهود لم يكونوا في وقت من الأوقات مجرد طائفة دينية لها تقاليدها وطقوسها الخاصة بل كانوا دائما وأبدا شعبا له خصائصه. ولكنهم بحثوا بعد تشردهم عن وسيلة يضللون بها الشعوب حتى لا تتبرم من (ضيوفها) المزعجين فما وجدوا أفضل من تقديم أنفسهم على أنهم جماعة دينية لا أكثر ولا أقل.[218]

وتعتبر سياسة هتلر العرقية سواء ما يتعلق بالجنس الآري أو (بالجنس العبري) إمتدادا لفلسفة هوستون ستيوارت شامبرلين الذي يعتبر الألمان حماة التاريخ العالمي وحملة الثقافة الغربية، وروحهم هي التي تحرك وتصنع كل مكتسبات العصور الحديثة، وهي روح تصلبت من خلال الصراع الذي لا يتوقف، والعرق الآري يوجد في وسط (فوقي من الأجناس) ولكن هناك عرق واحد غير العرق الآري ظل نقيا، واليهود هم الذين يجسدون هذا النقيض العرقي النقي ومن ثم فهم الخصم الدائم في هذا الصراع من أجل البقاء[219] وهكذا نستطيع أن نرى كيف تدعم العرقية بعضها البعض رغم الخصومة القائمة في الظاهر. وهذا يفسر العلاقة الحميمة التي قامت بين النظريتين وإن ذهب ضحيتها اليهود.

لم تكن المنطلقات النظرية المتطابقة للفكر الصهيوني والفكر النازي، وكذلك التعاون الوثيق الذي لاحظناه بين أصحاب هاتين النظريتين كافيا لتحقيق مطامع الصهيونية واجتذاب جماهير اليهود لاعتناق أفكارها وتطبيقها، وكذلك كان لا بد من مزيد من إستثارة اللاسامية ومزيد من تحريض الفاشيين والنازيين ضد اليهود المندمجين (الآثمين) الرافضين التخلي عن إيمانهم بعدم جدوى مثل هذه الأفكار والإنجرار خلفها.

---

218 هتلر - كفاحي صفحة 174

219 مجلة شؤون فلسطينية عدد 91 سنة 1979 صفحة 53

إن أبرز التصرفات التحريضية التي قامت بها الحركة الصهيونية ضد اليهود الواقعين تحت الإحتلال الألماني كانت قرارات مؤتمر بلتمور الذي عقد في أمريكا، والتي إعتبرها هتلر عملية إستفزازية حيث أعلن زعماء الصهاينة باسم (الشعب اليهودي) الحرب على ألمانيا. ولما نقلت وقائع المؤتمر كاملة اهتلر من قبل سفيره في الولايات المتحدة جن جنونه وقال (الآن سوف أدمرهم) ثم عقد إجتماعا فوريا لجميع القيادات الألمانية في مدينة دانسي حيث صاغوا هناك الخطط التفصيلية للحل النهائي،[220] وبالرجوع إلى الفقرة السابعة من مقررات المؤتمر المذكور التي أعلنها الحاخام ستيفن واير نرى الإصرار على إنشاء القوة اليهودية لمحاربة هتلر والوقوف الكامل إلى جانب الحلفاء، يضاف إلى ذلك أن المؤتمر كان يتحدث باسم جميع اليهود في كل أنحاء العالم بمن فيهم أولئك الواقعين تحت إحتلال ألمانيا والذين يقضون أسوأ أيام حياتهم في معسكرات الإعتقال.[221]

ولكن يجب أن لا نغالي كثيرا في إعطاء الأهمية لمؤتمر بلتمور ليكون السبب الوحيد الذي دفع هتلر إلى إقرار الحل النهائي، إلا أنه من المؤكد أن قرارات هذا المؤتمر كانت ذريعة أساسية تذرع بها هتلر ليسرع في تطبيق حله على اليهود، ومن هنا نستطيع أن نعتبر هذا المؤتمر سببا من الأسباب الهامة التي أدت إلى النهاية، خصوصا وأن أكثر المؤرخين أكدوا أن الحل النهائي جاء مباشرة بعد إعلان نتائج وقرارات مؤتمر بلتمور. وإذا كان بعض هؤلاء الكتاب من أعداء الصهيونية فإن البعض الآخر هو من أنصارها أو من أولئك الذين لا يضمرون لها العداء وبالتالي يمكن الإعتماد على موضوعيتهم ونزاهتهم.[222]

ماذا كانت تقصد الحركة الصهيونية من وراء تحريض هتلر على اليهود؟ وهل كانت تقصد فعلا إستفزازه وحضه على قتلهم ليكونوا ثمنا للدولة اليهودية المقبلة؟ أم أنها كانت بذلك تؤكد لليهود إستحالة الحياة في المنفى وأن دعوة الإندماج ما هي إلا ضرب من الأوهام؟ لقد كانت الصهيونية في الواقع تقصد الأمرين معا.

---

220 Shonfield , R.M. Page 4

221 Don Haven to Conquest , Page 496

222 Malvin I. Urofsly, Page 187

ففي سنوات الحرب العالمية الثانية إعتمد كثير من الزعماء الصهاينة من أجل تسريع فكرة الهجرة اليهودية الجماعية إلى فلسطين، على إستغلال كراهية اليهود لألمانيا الفاشية التي كشفت عن جوهرها الوحشي الذي تمثل في إبادة ملايين الناس بسبب إنتمائهم القومي، وعندما وضع التاريخ الزعماء الصهاينة أمام خيارين، إما إخضاع كل شيء لقضية الكفاح ضد الفاشية الداعية إلى (عداء حيواني للسامية) ومن خلال هذا الكفاح إنقاذ مئات الآلاف من اليهود، أو إستغلال إبادة السكان اليهود من قبل الفاشية كدافع إلى تحقيق الأفكار الصهيونية ... فضل الزعماء الصهاينة الإختيار الأخير[223] وأهملوا فكرة الكفاح إهمالا كليا.

والتاريخ لم يثبت أن القادة الصهاينة حاولوا حث اليهود على مقاومة النازية إبان الحرب العالمية الثانية بل على العكس من ذلك كانوا باستمرار عامل تخدير لمشاعر اليهود بل شاركوا في قمع حركات المقاومة التي قامت بها الجماهير اليهودية في مختلف بلدان أوروبا.[224]

مع إنطلاق المدافع الألمانية باتجاه بولونيا وفي ظل هذا الوضع لم يكن بمقدور المنظمة الصهيونية العالمية ورئيسها حاييم وايزمان والوكالة اليهودية برئاسة بن غوريون، إلا الإعلان عن الوقوف إلى جانب إنكلترا في حربها ضد النازية. وأعلن قادة الصهاينة رسميا أنهم سيوقفون الحرب التي شنوها على الكتاب الأبيض الإنكليزي ويقفون إلى جانب الحلفاء ضد المحور الهتلري الفاشي، وقد جرى تشكيل لواء من الجنود اليهود يدخل في أعداد الجيش الإنكليزي، وأخذت الوكالة اليهودية في فلسطين تجند المقاتلين لاستكمال تشكيل اللواء. وكان على الشبيبة اليهود إما الإنخراط في صفوف ذلك اللواء أو الإنضمام إلى وحدات الجيش الإستعماري الإنكيزي في فلسطين وفي المناطق الأخرى في الشرق الأوسط.[225]

---

223 تشريح نزاع الشرق الأوسط -بريما كوف- وزارة الثقافة السورية - دمشق سنة 1979 صفحة 100

224 المصدر السابق صفحة 101

225 دونيف - إيفان صفحة 51

لقد عملت الحركة الصهيونية على محورين إثنين، فهي من جهة مارست عملية تخدير واسعة النطاق لجماهير اليهود حتى لا تثور هذه الجماهير على العدوان النازي الذي إستهدف إجتثاثها من جذورها، وفي نفس الوقت أعلنت الحرب من الخارج على النازية باسم يهود العالم.

القسم السادس

التحريفيون

إنصب حديثنا السابق على موقف الصهاينة (الإشتراكيين) من المذابح اليهودية، صهاينة المباي الممثلين في المؤسسات الدولية الصهيونية التي تبدأ بالوكالة اليهودية وتمر عبر المؤتمر اليهودي العالمي ولجان الإنقاذ والتوزيع وتنتهي بالمؤتمر الصهيوني العالمي وإلى الآن لم نشر من قريب أو بعيد إلى دور التحريفيين في هذه المذابح وعلاقة هؤلاء بالنازيين وبغيرهم من المؤسسات والحكومات التي تبنت وطبقت (اللاسامية) ضد اليهود. وإذا كان تاريخ صهاينة (الإشتراكية) حافلا بالتعاون الآثم والإتفاقات الإجرامية فإن تاريخ الصهاينة (التحريف) أكثر (عراقة) وأبعد إمتدادا في التاريخ، حيث إمتدت جذور هذا التعاون إلى عام 1919 بعد الثورة الإشتراكية السوفياتية واستمرت بشكل منظم ومدروس، تمارس بمنتهى الدقة دون أن تثير إنتباه كثير من المؤرخين.

وإذا كانت فضيحة رود ولف كاستنر ومحاكمات آيخمان هي التي أشارت بأصابع الإتهام إلى زعماء الصهيونية (الإشتراكية) وسلطت الأضواء على دورها التآمري مع النازيين الفاشيين، فإن جرائم التحريفيين لم تخرج إلى النور، ولم تسلط عليها الأضواء بشكل يجعلها معروفة للرأي العام ولذلك فقد حرص هؤلاء على أن يطوي الزمن جرائمهم كما طوى ضحاياهم دون ضجة.

كان أهم نشاطات فلاديمير جابوتنسكي زعيم التحريفيين التحالف غير المقدس مع بيتلورا، أحد زعماء القوميين البرجوازيين الأوكرانيين وأحد قادة الثورة المضادة في أوكرانيا في عام 1920. بالإضافة إلى صفاته هذه كان ألد أعداء اليهود. فقد إقترفت عصابته جريمة قتل ما يزيد على (180) ألف يهودي في فترة الحرب الأهلية، وفي الوقت الذي كانت الثورة قائمة في جميع أراضي الإمبراطورية الروسية السابقة وكان النضال ضد الإقطاعيين وأصحاب الأطيان الكبيرة والرأسماليين في ذروته وكانت المجازر الجماعية

بالنسبة لبيتلورا وسيلة مناسبة لخداع الفئات الكادحة المتخلفة وذلك بتحويل سخطها ضد أهداف كاذبة، على أساس أن اليهود هم سبب كل شيء. أما أصحاب الأطيان فليسوا هم الأعداء بل هم (أقرباء). ويمكن الإتفاق معهم.

وعلى الرغم من المجازر التي إرتكبت، فقد كان جابوتنسكي راضيا كل الرضا ومستمرا في تحالفه مع بيتلورا وعمد هذا التحالف بمباركة كاملة من قبل إجتماع الرابطيين اليهود الذي عقد في نيويورك في 15 كانون أول سنة 1921 وتحدث فيه جابوتنسكي عن المحادثات والإتفاقات مع ممثل حكومة بيتلورا السيد سلافينسكي وبعد مناقشات طويلة أصدر الإجتماع قرارا يرحب بخطوة جابوتنسكي،[226] والترحيب بهذه الخطوة من قبل المؤتمرين كان تأكيدا على إستحالة الحياة بين (الأعداء) ومقتل يهود أوكرانيا دليل على ذلك. وهذا في الواقع هو تطبيق للأفكار الصهيونية الداعية إلى إستثارة اللاسامية بكل الوسائل والتعاون مع اللاساميين المعادين لليهود واليهودية.

والذي كان يستغربه اليهود هناك - قبل أن يفهموا الحقيقة - هو أنه من غير المعقول أن يدعم البيتلوريون، وهم من اللاساميين المتعصبين، اليهود الصهيونيين بينما يتحالف هؤلاء مع ألد أعداء اليهود. إلا أن إستغرابهم هذا زال وانتهى حينما شاهدوا الزعيم الصهيوني (بينخوس كراسنر) يجلس على منصة إحتفال للقوات البيتلورية ويحيي هذه القوات بصفته وزيرا للشؤون اليهودية في حكومتهم.

ونقتطف هنا بعض العبارات التي أوردها (س. سولودار) صاحب كتاب العشب الضار[227] في رسالة خطها مجموعة كبيرة من العاملين في الإقتصاد الوطني والثقافة والعلم في أوكرانيا السوفياتية عام 1970: (إننا نعرف حق المعرفة الدور المخجل الذي قام به زعماء العصابات الصهيونيين في سنوات الحرب الأهلية بتآمرهم مع دينيكن وبيتلورا وبيلسودسكي وقرانفل الذين نظموا المجازر الدموية لليهود).

---

226 برودسكي، شوليستر صفحة 75.

227 العشب الضار - س. سولودار صفحة -1 19

ونقتبس أقوالا للكاتب الأوكراني الشهير ناتان ريباك المتمرس بتاريخ النضال من أجل أوكرانيا السوفياتية حيث قال: (لقد تعاون الصهيونيون مع المجلس المركزي البرجوازي للحكومة البيتلورية وكان عندهم في هذه الحكومة وزراء وهذا طبيعي إذ أن مصالح البرجوازية كانت أقرب إليهم من مصالح الشعب العامل. إن جابوتنسكي قام بنشاط جدي لتشكيل وحدات عسكرية صهيونية لمساندة القوات البيتلورية وكان ذلك في نفس الوقت الذي نظم فيه جماعته المجازر الدموية في العديد من المدن والقرى وليس هذا مما يثير الدهشة، فالذئاب لها نفس العادة ونفس القابليات).

وعندما رفرفت الأعلام السوفياتية فوق جميع أوكرانيا فهم جابوتنسكي أنه لم يبق له مكان على الأرض الأوكرانية. إلا أن أوكرانيا ومواطنيها من اليهود لم ينسوا الثمار الدموية لتحالف النفاق بين الأيدولوجي المتحمس للقومية اليهودية البرجوازية جابوتنسكي وصنيعه القومية الأوكرانية البرجوازية بيت لورا صاحب التنكيل الشنيع باليهود. ولم يصب أحد بالدهشة عندما ذرف الزعيم الصهيوني الدموع الساخنة عام 1926 على حليفه الذي قتل في باريس).[228]

تلك كانت الحلقة الأولى من مسلسل تحالفات التحريفيين مع أعداء اليهود ولكنها لم تكن الحلقة الوحيدة، ففي عام 1923 إستقال من اللجنة الصهيونية التي سبقت قيام الوكالة اليهودية[229] وأنشأ حركته التصحيحية أو التحريفية وأصبحت معروفة بهذا الإسم وقد عقدت أول مؤتمر لها عام 1923 في مدينة ميلانو الإيطالية وكان شعار هذا المؤتمر -لنقم نظاما إيطاليا في الشرق-.[230]

واقتفاء لأثر تيودور هيرتزل المسمى مؤسس الحركة الصهيونية كان جابوتنسكي يجري إتصالات مع رؤساء الدول وكان أكثر ميلا إلى أشرس المعادين للسامية أمثال المارشال (بيلسودسكي) زعيم بولونيا وموسوليني

228 المصدر السابق صفحة 20

229 دولة إسرائيل والصهيونية - جورج مكاي - عن اللغة المجرية - لجنة الدراسات الفلسطينية سنة 1979 - صفحة 256

230 أسس جابوتنسكي منظمة (بيتسار) حيث كان لها فروع في بولونيا ولها نشيد يقول: ألمانيا لهتلر .. إيطاليا لموسوليني .. فلسطين لنا .. عاش جابوتنسكي.

زعيم الفاشية الإيطالية الذي كان يعتبره جابوتنسكي مثله الأعلى، فبعد أن تسلم السلطة عام 1922 كتب له رسالة وأرسل له مبعوثا خاصا. وفي عام 1924 قام مانسيني الممثل الرسمي للحزب الفاشي الإيطالي بزيارة إلى فلسطين لإقامة علاقات مع الحزب الفاشي اليهودي.[231]

ورحبت وكالة أنباء أوبانتي مودرنو الإيطالية الفاشية بحرارة وحماس بمؤتمر التحريفيين الذي إنعقد عام 1935 وذلك بسبب المساندة التي قدمتها هذه الحركة لإيطاليا خلال حملة الحبشة. ولعل سبب هذا الحماس الإيطالي للحركة الصهيونية هو إهتمام الفاشست الطليان بإضعاف النفوذ البريطاني في فلسطين. لقد صرح موسوليني لحاخام روما براتو عام 1935 بما يلي: (إن مقومات نجاح الحركة الصهيونية هو أن تكون لها دولة يهودية ذات راية يهودية ولغة يهودية وثمة شخص يدرك هذا جيدا هو مواطنكم الفاشي جابوتنسكي) وبعد هذا التصريح كان ديفيد بن غوريون يفضل أن يطلق على فلاديمير جابوتنسكي إسم فلاديمير هتلر.[232]

وعلى الرغم من أن التحريفيين كانوا مضطرين في تلك الأيام الإبتعاد قليلا -ولو بشكل ظاهري- عن الإيطاليين بسبب موقف ألمانيا المعلن من اليهود. إلا أن التعاطف ظل قائما حتى النهاية إذ أن عصابة شتيرن التي إنبثقت عن التحريفيين في مطلع الأربعينات كانت ترسل التقارير والمعلومات للمخابرات الفاشية الإيطالية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.[233]

وتأكيدا لاستمرار الصلة بين الطرفين (التحريفيين والفاشيين) فقد أسس موسوليني مدرسة بحرية فاشية في مدينة سفيتا فيشي عام 1934 يلتحق بها الصهاينة المعجبون بالفاشية ويلتحق بها أيضا شبان التحريفيين المنضمين إلى مدارس التدريب السياسي التابعة للحركة.[234]

هذه العلاقات الوثيقة جعلت ولفغانغ فون فيزل المدير المالي للحركة يعلن قائلا: (مع أن الآراء بين أعضاء الحركة تختلف، إلا أنهم بوجه عام يتعاطفون

231 جورج مكاوي .. صفحة 102

232 دونيف .. إيفان صفحة 33

233 جورج مكاوي صفحة 134

234 مجلة نظرة الشرق الأوسط .. عدد تموز، آب سنة 1979 نيويورك مقال بقلم لين برامبير

مع الفاشية وهو (جابوتنسكي) شخصيا كان مؤيدا للفاشية وقد إبتهج كثيرا من إنتصار إيطاليا الفاشية في الحبشة (أثيوبيا) واعتبر ذلك نصرا للعرق الأبيض على العرق الأسود.[235]

ومن شدة إعجاب جابوتنسكي بالفاشية كان يطمح إلى تطبيق النموذج الفاشي في فلسطين إذ أعلن مرة قائلا: (ماذا نريد نحن؟ إننا نريد إمبراطورية يهودية، وتماما حسب ما تقع إيطاليا أو فرنسا على البحر الأبيض المتوسط فإننا نريد إمبراطورية يهودية تقع عليه أيضا).

قبل أن تتحول حركة التحريفيين بقيادة جابوتنسكي إلى إتحاد صهيوني عالمي ذي طابع فاشي، كانت هذه الحركة تقتصر على نشاطها في بولونيا وأوكرانيا الغربية. وعندما طرح جابوتنسكي برنامج حزبه الصهيوني الجديد ذي النقاط الأربع،[236] وذلك في عام 1925، وكانت النقطة الرابعة تؤكد على التعاون بين جميع يهود بولونيا بغض النظر عن إنتمائهم الطبقي بهدف إنتشار الصهيونية، وإذا كان جابوتنسكي يلتقي في أفكاره هذه مع الأحزاب الصهيونية المختلفة فيما يتعلق برفض الصراع الطبقي، إلا أنه يفهم العالم الطبقي على أنه خضوع العمال للرأسماليين خضوعا يرفض أي شكل من أشكال الصراع من أجل الحقوق المهضومة، بما فيها الشكل التقليدي المنتشر على نطاق واسع في العديد من البلدان الرأسمالية. وهو مثلا يرى أنه إذا قام العمال بإضراب فلا بد من مقاطعة المضربين إقتصاديا. وفي عام 1932 وحين بدأت في فلسطين موجة إضراب الكادحين اليهود ضد الإستغلال المطلق الذي يمارسه ضدهم الرأسماليون في ذلك الحين طبق الجابوتنسكيون أفكارهم على أرض الواقع فوقفوا ضد المضربين وهاجموا وقدموا لأرباب العمل الكوادر اللازمة لتعويضهم.[237]

ومن مظاهر هذا التعامل أن اللاساميين البولونيون الذين يريدون التخلص من اليهود كانوا قد دربوا جماعة الأرغون في جبال الكربات، وفي هذه الأثناء طالب أعضاء هذه الحركة بولونيا أن تلح على بريطانيا لإلغاء إنتدابها على

---

235 المصدر السابق

236 برودسكي ، شوليستر صفحة 76 ، 77

237 المصدر السابق صفحة 76 ، 77

فلسطين لتتسلم هي (أي بولونيا)هذه المهمة. وهكذا يستطيع البولونيون التخلص من جميع اليهود غير المرغوب فيهم بنقلهم إلى فلسطين. وتمهيدا لهذا النقل فلا بد من زعزعة وجود اليهود في بولونيا وتشكيكهم في إنتمائهم إلى الوطن البولوني وبهذا الصدد كتب بن فورمر: (إنها لوقاحة من جانب اليهودي أن يطالب بأن يعامل بمحبة كما يعامل الألماني أو البولوني في بولونيا. نعم يجب عليه أن يحرس بحذر وحيطة حياته وحريته. ولكن يجب عليه أن يعترف بنزاهة أنه لا يتبع لأي بلد. إنه ضرب من الخيال الحديث عن وجود مساواة تامة لأن هذا أمر غير واقعي).[238]

ولم يكتف التحريفيون بهذه الممارسات الواضحة ضد اليهود بل سار (آبا اشيمير) شوطا أبعد في طريق الجنون والإنجراف وهو أكثر المعجبين بين أعضاء حركة التصحيح بهتلر وموسوليني إذ كتب في مفكرته يقول: (أتمنى لو يذبح مليون من اليهود البولونيون. فعندئذ ربما يشعرون أنهم يعيشون في غيتو (حي الأقليات). ورغم هذا التحريض السافر ضد اليهود من قبل اليهود فإنه لم يؤثر في البداية على أوضاعهم وارتباطهم بترابهم الوطني. ولقد شنت الصحف اليهودية حملات مركزة على برنامج الهجرة الذي أعلنته الحركة التحريفية واتهمتها بوضوح وصراحة أنها تقوم بتحريض اللاساميين وأن هذا البرنامج هو ضرب من الخيال الجامح. ولم يكن اليهود وحدهم وما يشاع اليوم من أن اليهود كنوا محاطين من كل صوب ببولونيين معادين للسامية ما هو إلا كذبة صهيونية ليبرر الصهاينة أفعالهم وممارساتهم.

إن اللاسامية البولونية كانت حركة من الطبقات الوسطى والعليا في البلاد الذين أرادوا التخلص من المنافسة اليهودية. أما العمال البولونيون فقد كانوا إشتراكيين منذ عدة عقود وقد أدركوا أنه إذا إنتصرت اللاسامية البولونية فإن مصيرهم سيكون مصير أقرانهم من المفكرن الألمان الموت أو معسكرات الإعتقال. ولذلك نراهم يلتحمون مع اليهود أمثالهم و يدافعون عنهم. هذا ما يعززه تقرير أوردته جريدة البالستاين بوست (Palestine Post) وجاء فيه: (كلما كان يخرج الطلبة المعادون للسامية في إحدى تظاهراتهم العديدة كان الطلاب والعمال البولونيون من غير اليهود يهرعون إلى مساعدة اليهود).[239]

238 مجلة نظرة الشرق الأوسط - عدد تموز . آب سنة 1979
239 Palestine Post -29-1-1939

لم يكن التحالف الصهيوني مع الرجعية البولونية مؤقتا ولا مرحليا. فقد كانت سياسة الصهاينة الموجهة نحو فصل العمال عن الصراع الطبقي تناسب حكام بولونيا الفاشيين وليس من باب المصادفة أن يسود بين الجانبين تفاهم متبادل، ناجم عن الدعم المتبادل وعن النشاطات المشتركة وقد إتخذت هذه العلاقات المتبادلة طابع الرسمية فعقب الإنقلاب الفاشي في أيار سنة 1936 وافقت الحكومة الجديدة على ما يسمى الإتفاقية البولونية - اليهودية لعام 1925. وقد جاءت هذه الإتفاقية حسب ما أشار المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الأوكراني لتشد البرجوازية اليهودية إلى عربة الإمبريالية البولونية.

ولفضح طبيعة إتفاقية البرجوازية اليهودية البولونية أكدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لغرب أوكرانيا في منشور صدر باللغتين البولونية والعبرية أن هذه الإتفاقية موجهة ضد الأقليات القومية في بولونيا. ودعت اللجنة المركزية إلى الكشف عن خيانة الصهاينة الذين يتطلعون نحو تحويل الجماهير اليهودية إلى جلادي الحركة التحريرية التي يخوضها الشعب الأوكراني.

وتعبيرا عن سعادة القادة الصهاينة بهذه العلاقة، فقد أعلن ناحوم سوكولوف أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية أنه سعيد لأن الحكومة البولونية تتعاون مع حركتهم الشعبية. إلا أن هذا التحالف لم يتأثر أبدا بالنشاط المعادي للسامية الذي كان يمارسه زعماء بولونيا الفاشيون وأنصارهم. وإن تأثر هذا التعاون لهذا السبب فسيكون نحو تمتينه وليس نحو إضعافه لأن هذا ما تريده الصهيونية فعلا).[240]

وجاء العهد النازي ليحتل بولونيا ويتفرق أعضاء حركة التحريف بين مهاجر إلى فلسطين ومتعاون مع النازيين تاركين جماهير اليهود دون قيادة أو مساعدة أو توجيه، يواجهون مصيرهم وحدهم. وكان على رأس الهاربين مناحيم بيغن الذي علل أسباب هروبه بأنه أول من سيعدم لو أن الألمان إعتقلوه. ولكن لا يوجد أدنى دليل على هذا القول والدلائل المنطقية لم تظهر أبدا أن ذلك ممكن أن يحدث. فالنازيون لا يرون أن الصهيونية تشكل خطرا عليهم. لم يكن بيغن وحده من القادة الهاربين بل كان أيضا ناتان بلين مور الذي أصبح

240 برودسكي ، شوليستر صفحة 86 ، 87

قائد عصابة شتيرن بعد وفاة أبراهام شتيرن زعيمها. وكذلك موشيه شينه رئيس الإتحاد الصهيوني البولوني ورئيس الهاغاناه من 1941 - 1946.

أما أبرز المتعاونين مع النازيين بعد الإحتلال فقد كان جوزف غلازيان رئيس جماعة الشباب في حركة التحريف الذي عين مفتشا للبوليس اليهودي في مدينة فيلنا. وتبوأ غيره مراكز أخرى ذات أهمية في كل من وارسو ولودر.[241]

بدأت سيول النازية والحملات اللاسامية التي أشعلتها الصهيونية متعاونة مع كل الأنظمة ذات الطبيعة العنصرية. وأشارت مجلة دير شبيغل[242] في سلسلة مقالات كتبها هانس هينه في كانون أول سنة 1966 إلى أن هذه الظروف التي تعرض لها اليهود جعلت من غير العسير العثور على المرشحين للهجرة إلى فلسطين، فمئات الألوف من اليهود المذعورين كانوا يرون في فلسطين الملاذ الوحيد لهم -بعد أن أقفلت كل الأبواب في وجوههم- بيد أن دعاة الصهيونية الذين كانوا حتى وقت قريب يحاولون بإصرار إقناع كل من هب ودب على الهجرة إلى (أرض الميعاد) في فلسطين غيروا الآن لهجتهم ولم يعودوا يرضون قبول إلا أولئك القادرين على تحمل المصاعب والمؤهلين للإشتراك في المعارك ضد المقاومة العربية، وهكذا إنتقلت الصهيونية إلى مبدأ الإختيار والإصطفاء في عملية الهجرة.

ويشير هينه أيضا إلى العلاقات الوثيقة التي ربطت التحريفيين مع النازيين، حيث قامت علاقات وثيقة مع المنظمة العسكرية الصهيونية (الأرغون). ولم يكن أعضاء الأرغون يكتمون إعجابهم بالنازيين بل كانوا يقفون علنا إلى جانب ألمانيا الهتلرية، وكان أبراهام شتيرن أحد الذين أقاموا إتصالات مع هتلر عام 1941 مؤملا أن يبادر هذا إلى إرسال أسطول كبير يحمل عشرات الألوف من اليهود إلى البحر المتوسط ليحاربوا قوات الحلفاء. ولذلك فإن أنصاره هم أول من شهر السلاح بوجه البريطانيين في فلسطين وحتى يحقق هذا التعاون بشكل مثمر وجيد أرسل أحد أعوانه وهو (اليونيتشك) إلى (سورية) ليعاون الهتلريين في نشاطهم ضد الحلفاء.

241 مجلة نظرة الشرق الأوسط عدد تموز، آب سنة 1979

242 دونيف إيفان صفحة 40

ولكنه ما لبث أن إعتقل. ولنفس الغرض أرسل شتيرن مساعدا آخر له هو (ناتان فريمان- الين) وهو نفسه (ناتان يلين مور) الذي ورد إسمه قبل قليل. أرسله إلى دول البلقان ولكن كان نصيب هذه المهمة أيضا الفشل. وفي عام 1942 إعتقل الإنكليز أبراهام شتيرن في تل أبيب ونفذوا فيه حكم الإعدام بعد أن إتضح أنه جاء إلى فلسطين كي يحقق الأغراض المشتركة التي تربطه بالفاشية الهتلرية.

إن أمر العلاقة التحريفية النازية، لم يقف عند حدود المهام الفاشلة وإنما تعدى ذلك إلى تقديم إقتراحات ومشاريع إتفاقات بين الطرفين، ولقد حاولت هذه الحركة بكل الوسائل أن تطمس معالم هذه الإتفاقات ولكن التاريخ يبقى الحكم الفصل.

تحت إشارة (سر قيادي) وبتوقيع هايدرش وبتاريخ - برلين 1937/6/17 وتحت رقم 37/984 نعرض هنا وثيقة تتضمن المضامين الأساسية لاقتراح المنظمة العسكرية القومية في فلسطين بخصوص حل المسألة اليهودية في أوروبا والمساهمة الفعالة للمنظمة العسكرية القومية في فلسطين في الحرب إلى جانب ألمانيا. وهذا نص الوثيقة:-

(لقد أبرز من قبل رجال الدولة قادة ألمانيا القومية الإشتراكية في أقوالهم وخطاباتهم أن إعادة تنظيم أوروبا يتطلب حل المسألة اليهودية عن طريق ترحيلهم بحيث تصبح أوروبا خالية من اليهود).

(إن ترحيل الجماهير اليهودية من أوروبا هو شرط لحل المسألة اليهودية، ولكن هذا الحل ممكن بشكل نهائي فقط عبر ترحيل هذه الجماهير إلى وطن الشعب اليهودي في فلسطين وإقامة دولة اليهود ضمن حدودها التاريخية).

(إن حل المسألة اليهودية بهذه الطريقة وتحرير الشعب اليهودي بشكل نهائي ودائم هو هدف النشاط السياسي ونضال حركة التحرر الإسرائيلية «المنظمة القومية العسكرية في فلسطين» - أرغون زفاي ليؤومي، وذلك منذ عشرات السنين).

(ترى المنظمة القومية العسكرية في فلسطين والتي تعلم جيدا موقف الحكومة الألمانية الإمبراطورية ومؤسساتها تجاه النشاط الصهيوني داخل ألمانيا وخطط الهجرة الصهيونية أنه:-

1. يوجد لقاء مصلحي بين إعادة تنظيم أوروبا حسب المخطط الألماني والطموحات القومية الحقيقية للشعب اليهودي التي تتجسد في المنظمة القومية العسكرية في فلسطي.
2. أن التعاون بين ألمانيا الجديدة والشعوب القومية العبرية ممكن.
3. أن تأسيس دولة اليهود التاريخية على أسس قومية ومطلقة والتي تكون في علاقة تعاقد مع الإمبراطورية الألمانية هي في مصلحة حماية وتقوية مراكز القوى الألمانية في الشرق الأوسط مستقبلا.

(وانطلاقا من هذه التصورات تتقدم المنظمة القومية العسكرية في فلسطين لحكومة الإمبراطورية الألمانية -بشرط إعترافها بالطموحات القومية لحركة التحرر الإسرائيلية- بعرض المشاركة الفعالة في الحرب إلى جانب ألمانيا).

(إن هذا العرض للمنظمة القومية العسكرية في فلسطين والذي يمتد نشاطها إلى المجالات العسكرية والسياسية والإعلامية لا يقتصر على حدود فلسطين بل يمتد بعد فترة معينة من التحضير التنظيمي إلى خارجها. إن ذلك مرتبط بالتدريب العسكري والتنظيمي للقوة اليهودية في أوروبا تحت إشراف وقيادة (المنظمة) في وحدات ومشاركة هذه الوحدات في العمليات العسكرية الهادفة إلى إحتلال فلسطين. وفي حالة تأسيس جبهة هناك فإن المساهمة المباشرة لحركة التحرير الإسرائيلية في إعادة تنظيم أوروبا في مرحلتها التحضيرية مرتبطة بحل المشكلة اليهودية في أوروبا حلا إيجابيا وجذريا بما يتطابق مع الطموحات القومية المذكورة للشعب اليهودي. إن هذه المساهمة ستدعم الأسس الأخلاقية لعملية إعادة تنظيم أوروبا أمام أعين البشرية بشكل منقطع النظير).

إن تعاون حركة التحرر الإسرائيلية تقع ضمن الخط الذي رسمه المستشار الإمبراطوري في خطاباته الأخيرة والتي أكد فيها أنه سيستخدم أي حلف من أجل عزل وهزيمة بريطانيا.

إلى هنا ينتهي نص هذه الوثيقة التي نستقي من قراءتها مجموعة نتائج هي في الحقيقة أفكار صهيونية بشكل عام وأفكار التحريفيين بشكل خاص فيما يتعلق بالتعاون مع النازيين ومن ثم مدى الإهتمام بمستقبل اليهود باعتبار هذا المستقبل سيكون الثمن الذي تقدمه الصهيونية للوصول إلى الدولة التي تنشدها:-

1. هناك موافقة تامة على أن تنظيم أوروبا لا يتم إلا بعملية ترحيل لليهود منها، ولم ترد بهذا الصدد كلمة رحيل التي تجعل الهجرة طوعية إختيارية وليس فيها إجبار أو ضغط ولكن المقصود من قبل المنظمة العسكرية القومية هو الإجبار.
2. تقر الوثيقة أن السلطات الألمانية ترعى النشاط الصهيوني في ألمانيا القائم على إستشارة اللاسامية وتنظيم خطط التهجير اللازمة.
3. تعرض المنظمة خدماتها المستقبلية على المصالح الألمانية في منطقة الشرق الأوسط فيما إذا قامت الدولة لتكون الحارس الأمين لمصالح ألمانيا. وهي ستكون مستعدة لتطيل ذراعها خارج فلسطين بالكيفية التي يتطلبها تحقيق هذه المصالح.
4. واضح أن الميكافيلية تسيطر على عقول التحريفيين كبقية الصهاينة عندما تسوغ الغاية الوسيلة والإستعداد للتعاون مع الأعداء في سبيل الوصول إلى الهدف. هذا إذا نظرنا للعلاقة من زاوية يهودية محضة وليس من زاوية الفكر الصهيوني.
5. إن السؤال الذي يطرح هنا هو أن فلسطين لا يمكن ولم يكن ممكنا لها أن تستوعب كل اليهود المقيمين في أوروبا والبالغ عددهم أكثر من ستة ملايين، إذا كيف يتم الإتفاق على إخلائهم أو بمعنى أدق التخلص منهم مقابل المساعدة في التدريب وتقديم العون العسكري. أليس في هذا دعوة صريحة وواضحة لألمانيا لتقتل من تريد وتترك للصهاينة من تحتاج من شبان.

كثيرون في العالم إنتبهوا إلى هذه المواقف وكثيرون عرفوها وقاسوا منها ولكن نظرا لأن التخلص من اليهود لم يكن موقفا ألمانيا فحسب بل أيضا موقف أمريكي بريطاني صهيوني، لذلك كان لا بد من إخماد وسحق كل الأصوات التي تتحدث عنه حتى تطوي صفحات التاريخ هذه. إلا أن هذا لم

يمنع الكثيرين من مفكري اليهود وغير اليهود أن يرفعوا أصواتهم ويوجهوا أصابع الإتهام إلى بيغن وشركاءه وسلفه وكل ما كان له يد أو ضلع في هذه المؤامرة القذرة. وهذا ما دفع ليني بارنر ليكتب مقالا في مجلة (نظرة الشرق الأوسط) عن دور بيغن وشركاؤه خلال مرحلة الإبادة. وهذا ما دفع أيضا مجموعة من المفكرين أمثال: حنا آرندت وألبرت آينشتاين وسيدني هوك ليبعثوا برسالة مشتركة إلى جريدة نيويورك تايمز يقولون فيها[243]:-

(إن من أكثر الظواهر السياسية إزعاجا في عصرنا قيام (حزب حيروت) في أرض إسرائيل هذا الحزب المنسجم جدا مع الحزبين النازي والفاشي، وإنه لأمر لا يمكن تصوره أن أولئك الذين عارضوا الفاشية في العالم ممكن أن يضموا أصواتهم ودعمهم لهذا الحزب الذي يمثله بيغن أو أنه لأمر حتمي أن الحقيقة بشأن السيد بيغن وحركته، يجب أن تعلن وتعرف في هذا البلد).

لكن الحقيقة التي تمنى أصحاب هذه الرسالة أن تعرف في (بلد الحرية) أمريكا خنقت وحرفت وطويت صفحتها لتحل محلها صفحة جديدة أراد لها أصحابها أن تكون مشرقة مضيئة. وأمعن هؤلاء بتزوير حقائق التاريخ، ويبلغ إمعانهم ذروته عندما يعلن الرئيس جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة أنه يخطط لبناء نصب تذكاري لضحايا المذبحة النازية من اليهود. وجاء هذا الإعلان في الوقت الذي كان كارتر يجتمع فيه مع بيغن حول مفاوضات معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

قلما يقوم السياسيون بعمل دون قصد، ولذلك فإن الربط بين بيغن وإشادة النصب التذكاري ليس إستثناء لهذه القاعدة. إن كارتر يحاول أن يقدم سببا منطقيا لاستمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل على الرغم من إزدياد الشكوك حول تصرف بيغن. ولما كان عامة الناس يعرفون المصير الذي حل بالضحايا -ولكنهم لم يعرفوا القتلة- فإن عليهم حسب منطق كارتر أن يروا في الصهيونية حلا لتلك القرون من العداء للسامية الذي توجته فضائع هتلر، ونهاية سعيدة لكل تلك القصة الحزينة.

---

243 جريدة نيويورك تايمز 4 كانون أول سنة 1948

ولكن إذا كان لبعض يجهل دور بيغن وسجله الحافل في هذه القصة فإن البعض الآخر يعرف ذلك معرفة جيدة. وهذا ما سيجعل كارتر يقع في مأزق جماهيري حينما يقول للملأ بعد إجتماعه ببيغن أنه قد تأثر كثيرا بذكرى عملية الإبادة. إذ أن هذا الإعلان يفترض أن بيغن هو الناطق المثالي والمناسب للتحدث باسم الملايين من اليهود المبادين. فإذا كان كارتر ومن ورائه الشعب الأمريكي لا يعرفون شيئا عن سجل بيغن، فإن يهود بولندا الذين أبيدوا يعرفون بيغن. لذلك فإن وجود أية صلة له مهما كان نوعها بموضوع إقامة نصب تذكاري ستذهلهم وتجعلهم يظنون أنها تمثل سخرية بحق مصيرهم.

عندما زار كارتر إسرائيل في 1 آذار سنة 1979 أخذه بيغن لزيارة قبر فلاديمير جابوتنسكي زعيمه ومؤسس حركته. والذي يصفه بيغن بأنه (نبوي) الأعمال خلال عملية الإبادة ولا ندري أي صنف من الأنبياء كان جابوتنسكي هذا. وأي نبي هذا الذي قتل أتباعه وتآمر على رعيته ووضع يده بيد أعدائهم؟

الإتصالات السرية بين قيادة الحركة الصهيونية وألمانيا النازية 1933 ـ 1945

الفصل الثالث

المتواطئون

إن ما نستخلصه من المعلومات التي وردت في الفصل الثاني والتي حاولنا قدر المستطاع معرفتها، تعطينا فكرة واضحة عن موقف قيادة الحركة الصهيونية (في النفى) والمقصود هنا تلك القيادات التي كانت بعيدة عن أرض المعركة وموقع الخطر، سواء أكانت في فلسطين أم في أوروبا الغربية أم في أمريكا إذ أنها لم تر ما حصل لليهود على أيدي النازية. ولكنها إستطاعت لفترة طويلة أن تدعي أنها لم تعرف ولم تسمع. وتمكنت من تحويل الأنظار عن دورها من أجل توجيه الإتهام بشكل مطلق لألمانيا النازية. لذلك فقد إعتبرت أن كل عمليات التعاون مع النازيين إنما هي من أجل إنقاذ اليهود وتخليصهم من براثن الأعداء ونظرا لما وصم به النظام النازي من السمعة السيئة، ولما إرتكبه من جرائم بحق معظم شعوب الأرض، ونظرا لتبنيه السياسة التوسعية القائمة على نظرية المجال الحيوي للشعوب (الراقية). نظرا لكل ذلك فإنه من المنطقي والمعقول أن يصدق العالم ما قاله قادة الحركة الصهيونية وما جنحوا إليه من تزوير الحقائق وتغيير لمعالم التاريخ، لذلك فإنه يصعب على أي باحث أن يزيل من أذهان الناس ركام المعلومات المزيفة التي (حشت) بها الحركة الصهيونية تلك الأذهان. يصعب عليه أيضا أن يحاول تغيير المفاهيم الراسخة والمترسبة على مدى ثلث قرن أو أكثر، مهما كانت البراهين قوية ومهما كانت دقة الوثائق ومصداقيتها، يبقى المنطق الذي يحاكم بموجبه الإنسان العادي الأمور العامة، هذا المنطق يقف بكل تأكيد إلى جانب تبرئة قيادة الحركة الصهيونية، لأنه من غير المعقول أن يدعي إنسان أنه ينتمي إلى (شعب) وأنه صاحب الحق في تمثيل هذا الشعب وأن هذا (الشعب) يتعرض لحرب إبادة ثم يكون هذا الإنسان أبرز المتواطئين والمتعاونين على إبادة (شعبه).[244]

244 تفاصيل هذا الموضوع وردت في الفصل الثاني من هذا البحث

تلك هي المعضلة التي تواجه أي باحث يريد أن يغوص في مثل هذا الموضوع. والذي يزيد الأمر غموضا هو أن الشعب الألماني لا يرغب في إثارة هذهالقضية مرة أخرى -وهو الذي يملك الوثائق والمستندات- لأنه يعيش عقدة الذنب ويشعر أنه يحمل دور الرايخ الثالث الذي تلاحقه لعنته إلى يومنا هذا. بالإضافة إلى هذا وذاك فإن الدول الغربية وعلى وجه الخصوص أمريكا وإنكلترا وفرنسا تملك هي الأخرى الأدلة والبراهين على صحة ما إتجهنا إليه. ولكنها ولسببين إثنين لا ترغب في الكشف عما لديها:-

أولهما: أن هذه الدول هي التي لعبت الدور الأساسي في قيام ونمو الحركة الصهيونية وهي التي ساعدتها على إقامة (الوطن القومي) في فلسطين. ولذلك فليس من مصلحتها الكشف عن الحقيقة لأن ذلك من شأنه أن يدينها ويضعها في قفص الإتهام كشريك -متواطئ أو ساكت- على المذابح التي حصلت لليهود. لذلك عمدت هذه الدول إلى إخماد كل الأصوات. وإخفاء الأدلة والبراهين التي تشير بوضوح إلى المجرمين الحقيقيين وإلى شركاء النازيين الذين ساهموا مساهمة فعالة في المذابح.

أما السبب الثاني: فإنه يتعلق بالدور الذي لعبته هذه الدول في إقفال أبوابها بوجه المهاجرين اليهود والهاربين من الجحيم النازي. بحيث تركتهم يواجهون مصيرهم وحدهم دون أية مساعدة أو عون. ولذلك نرى أن هذه الدول حاولت أن تخفي هذا الجانب من النشاط الإجرامي حتى لا تدينها الأجيال اليهودية وغير اليهودية. وكثيرا ما لاحظنا مؤخرا أن هذه الدول حينما تضطر للدفاع عن نفسها في هذا المجال تلقي باللائمة على الزعامات الصهيونية التي كانت ترفض فتح أبوابها أمام جحافل المهاجرين اليهود. بينما ترد الزعامات الصهيونية التحية إلى هذه الدول. والحقيقة أن الطرفين كانا متفقين فيما بينهما على كل شيء.

إذا كانت الوثائق الخاصة بهذه القضية قد أخفيت معالمها وأسدل عليها ستار كثيف. فكيف يمكن الحصول على وثائق عن تعاون القيادات الصهيونية -التي كانت تحت الإحتلال- مع السلطات النازية؟ فإذا كان الأمر في القضية الأولى يبدو صعبا فإنه في القضية الثانية يكاد يكون مستحيلا. وسبب ذلك هو أن آثار الضحايا قد إختفت. كما إختفت معالم القتلة. الأمر الذي زاد الموضوع غموضا وإبهاما.

وكادت تضيع كل خيوط الأحداث، لولا قلة من الناس -يهود أو غير يهود- بقوا على قيد الحياة وعاشوا تلك الأحداث وقاسوا منها. هؤلاء بدأوا يتحدثون ويشيرون بأصابع الإتهام إلى زعامات كانت ولا تزال في نظر الكثيرين مقدسة. وتدين مواقف دول لم يكن يخطر بالبال أن ترتكب مثل هذه الجرائم. ولكن الأمر الذي لم يعد يستغربه أحد هو أنه كلما ظهر شاهد أو مدعي في قضية تتعلق بتلك المأساة، لاقى حتفه في ظروف غامضة لا تعرف أسبابها. وكل رجال الفكر والإعلام والصحافة والكتاب الذين تعرضوا من قريب أو بعيد لكشف زوايا الموضوع تعرضوا إلى أسوأ أنواع القمع والإضطهاد والملاحقة. ورغم ذلك ظهرت من هذا الظلام بعض أشعة الحقيقة التي تبلورت في مؤلفات مختلفة وكتابات متفرقة يستطيع الباحث من خلالها أن يكون صورة تقترب كثيرا من الحقيقة وتشكل إطارا يمكن الإعتماد عليه كوثيقة تاريخية لتلك الحقبة من الزمن تحدد من خلالها الأدوار التي قامت بها كل جهة والأعمال التي مارستها.

وهكذا أصبح من الممكن أن نلقي الضوء على دور القيادات الصهيونية التي كانت تحت الإحتلال الألماني، وكذلك أن نعرف أبعاد التعاون الذي تم بين الطرفين، هذا التعاون الذي كانت ثمرته الأساسية التضحية بآلاف اليهود مقابل (إنقاذ) أفراد قلائل ينتمون إلى الحركة الصهيونية أو يمتون بصلات القربى أو الصداقة إلى هذه القيادات.

إلا أن نقطة الضعف الوحيدة التي تملي أمانة الحديث الإشارة إليها. تلك التي كثيرا ما تذرع بها قادة الصهيونية وهي أنهم كانوا تحت الإحتلال وكانوا مغلوبين على أمرهم لا حول لهم ولا قوة، ولا يملكون من أمرهم شيئا، وأنهم كانوا -القيادة- كبقية اليهود رهائن لدى عدو قوي جبار قادر على إهلاكهم جميعا. لذلك فقد كان تعاونهم نابعا من منطلق الإنقاذ والحرص على ما يمكن إنقاذه. وما دام الجميع مكتوبا عليهم الفناء (وهذه ذريعتهم) فلماذا لا يراوغون هذا العدو ويناورونه حتى ينقذوا إخوانهم؟ وهم إن تعاونوا فإنما فعلوا ذلك رغم أنوفهم لأنهم كانوا مضطرين حتى ينفذوا بجلودهم وجلود ما أمكن أن ينقذوهم معهم.

والحقيقة أن هذا منطق سليم إذا جرد من كل الملابسات التي أحاطت به. وصحيح لو كان ضمن الحدود التي يذكرها المدافعون عنهم والمحامون لهم.

ولكن المنطق شيء والواقع شيء آخر. لأن المتعاونين إستمرأوا اللعبة وساروا فيها حتى النهاية منطلقين في تعاونهم من القواسم المشتركة التي تربط بين الأيديولوجية الصهيونية والأيديولوجية النازية.

نقول أن تواجد هؤلاء القادة تحت الإحتلال كان يمكن أن يشكل نقطة ضعف هامة في لائحة الإتهام ضدهم، لولا الحيثيات الكثيرة والبراهين المتراكمة التي لا تسوغ تصرفاتهم ولا تعطيها الشرعية المطلوبة لمن هم في مثل حالتهم وظروفهم. لقد تعاون عبر التاريخ قادة كثيرون مع محتلين لبلادهم وكان هدف هؤلاء القادة إنقاذ شعوبهم وتجنيبها الويلات والمآسي والمحافظة على بلادهم من الدمار والخراب، ورغم ذلك، ما إن إنتهى الإحتلال حتى واجه هؤلاء القادة العدالة التي كثيرا ما أدت بهم إلى المقاصل. ورغم أن الفارق شاسع بين هؤلاء وهؤلاء ... نرى حكومة (إسرائيل) قد عاملت قادتها القادمين من أرض الإحتلال معاملة الأبطال وكرمتهم تكريم الرجال الخالدين، ومنحتهم أرفع المناصب السياسية والإدارية والإقتصادية وأغدقت عليهم الألقاب والأوسمة مكافأة لهم على ما (إقترفت أيديهم).

ولولا بعض فقراء الناجين من اليهود الذين شهدوا على ما قام به هؤلاء من أدوار قذرة. ولولا شجاعة بعض المحامين والكتاب والصحافيين الذين تجرؤوا ورفعوا أصواتهم عالية، لانتهت هذه المأساة وأسدل الستار على فصولها دون أن يعرف الجيل الجديد جزءا بسيطا من الحقيقة. ولذلك نستطيع القول أنه حتى يومنا هذا فإن الرأي العام العالمي واليهودي لا يكاد يعرف شيئا. لأن كل من يتحدث عنها يتهم (باللاسامية) حتى لو كان يهوديا.

إذا أردنا أن نتحدث عن وضع اليهود بشكل عام تحت الإحتلال وجدناهم ينقسمون إلى ثلاث فئات ... فئة تآمرت وتواطأت مع النازيين، جميع أفرادها أو معظمهم كانوا من الملتزمين بالحركة الصهيونية بمختلف إتجاهاتها وأحزابها، وفئة إلتزمت الصمت فكتب عليها الضياع وكانت هي السلعة التي تباع وتشترى بين النازيين والصهاينة. والفئة الثالثة مجموعة من الشباب الوطنيين والشيوعيين الذين تجاوزوا عقدة ما يسمى (بالمسألة اليهودية) واندمجوا في المجتمعات التي نشأوا وترعرعوا فيها، لذلك قرروا حمل السلاح دفاعا عن أنفسهم وعن أوطانهم بعد أن عرفوا أبعاد اللعبة واطلعوا على

أهداف المؤامرة، فالتحقوا بقوات الأنصار أو شكلوا من أنفسهم مجمعات وفصائل وبؤرا ثورية هدفها مقاومة الإحتلال النازي. وكما أشرنا فإن معظم هؤلاء كانوا ينتمون إلى الأحزاب الشيوعية وبعضهم إنسلخ عن الأحزاب الصهيونية بعد أن تأكد من خيانة هذه الأحزاب وتواطئها مع النازية ضاربة بعرض الحائط مصير اليهود مستغلة هؤلاء لتحقيق أهدافها.

ولذلك فإن كل إدعاء لقادة إسرائيل اليوم بدور رجالاتهم وأحزابهم في تلك المقاومة هو إدعاء باطل ولا يقوم على أساس. وهذا ما أشار إليه اليعازر لفنه في لقاء نظمته جريدة معاريف الإسرائيلية عام 1966[245] ولفنه كان أحد زعماء الهاغاناه البارزين حيث أعلن قائل: إنني أريد أن أقول ماذا كان علينا أن نفعل لو أننا كنا نعتبر أن مهمتنا الأساسية تكمن في إنقاذ اليهود في أماكن تواجدهم، إذ كان علينا أن نتعاون مع الفدائيين حيث كانوا موجودين في بولونيا وفي المناطق الروسية التي يحتلها النازيون، وكذلك في يوغسلافيا وفيما بعد في سلوفاكيا، لو تعاونا مع هذه المراكز.. إذا لأنقذنا الكثيرين.

لذلك فإننا نرى من الواجب أن نفرد للمقاومة اليهودية، بحثا خاصا ضمن هذا الفصل نوضح فيه أبعادها وأماكن تواجدها وفعاليتها وانتماءات أعضائها.

إن هذا الفصل يشمل الأقسام التالية:-

- القسم الأول: المقاومة اليهودية.
- القسم الثاني: مجالس الكبار.
- القسم الثالث: المتواطئون.

245 برودسكي ، شوليستر صفحة 163

القسم الأول

المقاومة اليهودية

لم تكن المقاومة اليهودية للإحتلال النازي في مختلف دول أوروبا معزولة عن مقاومة شعوب هذه الدول للإحتلال. فقد تبلورت تلك المقاومة في المشاركة اليهودية بحروب الأنصار وفي الدور الفعال الذي مارسته الشبيبة اليهودية في إنتفاضات الجيتوات وعلى رأسها وأهمها إنتفاضة جيتو (وارسو) وعلى الرغم من أن الحياة اليهودية إبان الحرب لم تطبع بطابع المقاومة لأسباب سنشرحها فيما بعد إلا أن هذه المقاومة تركت بصماتها على مجرى الحياة النضالية في أوروبا. الأمر الذي جعل الحركة الصهيونية تفتخر بها وتتبناها وتقيم لمناسبتها الأعياد والإحتفالات الرسمية.

تشكلت المجموعات اليهودية التي إلتحقت بالأنصار من اليهود الهاربين من النازية والجنود الذين وجدوا أنفسهم في مناطق يسيطر عليها النازيون، ومن أسرى الحرب الذين تمكنوا من الهروب من معسكرات الإعتقال، وكانت قواعدهم الطبيعية تقع في غابات ومستنقعات بولونيا الشرقية وليتوانيا وبيلوروسيا وأوكرانيا والمناطق الجبلية في الألب ويوغسلافيا وسلوفاكيا واليونان، وساهم اليهود في حروب الأنصار في إيطاليا وفرنسا وعلى الرغم من أن أعداد اليهود الذين شاركوا في هذه الحروب لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من مجموعهم، إلا أن تقدير عددهم يصل إلى عشرات الألوف. وتعزو المصادر الصهيونية ضآلة هذه النسبة إلى العقبات التي كانت توضع أمام مشاركة اليهود مشاركة فعالة وكذلك إلى موقف البيئة غير اليهودية المحيطة بهم.[246] ويمكن تفصيل هذه العقبات التي أوردتها تلك المصادر كما يلي:-

1. إعتاد اليهود العيش في مراكز المدن، وكانت الحياة في الغابات الكثيفة وفي مجاهل الطبيعة غريبة عنهم وتخيفهم ويضاف إلى ذلك أن الروابط العائلية لدى الأسرة اليهودية لعبت دورا أثر بهم ومنعهم

246 المحرقة ، كتاب ألفه مجموعة من الأكاديميين الإسرائيليين صفحة 108

من الإبتعاد عن منازلهم. كذلك فإن الشباب الذي يفترض أن يكونوا المرشحين الأوائل للإنضمام لحركة الأنصار هم في الواقع المصدر الوحيد لإعالة أسرهم.[247]

2. إن تمركز الأنصار في الغابات كان يخضع لجملة شروط. والشرط المركزي منها هو قدراتهم على إقامة صلات مع السكان في المناطق المحيطة بتلك الغابات. إذ أن الأنصار كانوا بحاجة إلى أماكن آمنة يلجأون إليها في أوقات الخطر. ويحتاجون إلى مصادر معلومات مخلصة بالإضافة إلى التموين بالطعام والخيول وغيرها. وكان هذا يتم من خلال القرويين الذين كانوا يعيشون بجانب معسكرات الأنصار. وترى الأوساط الصهيونية أن هؤلاء القرويين كانوا -إلا قلة منهم- معادين لليهود.[248]
3. لقد كانت شروط الإنضمام لوحدات الأنصار تعتمد على القوة البدنية والخبرة العسكرية وحيازة السلاح. ومصادر التسليح هي الأسلحة التي تركتها الجيوش المتقهقرة والتي كانت تصل إلى أيدي الأنصار من خلال المنظمات السرية أو من الممتلكات الخاصة. وهذه الأسلحة لم تكن تعطى لليهود الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على إنتزاعها من العدو. أو من خلال الصفقات الشرعية أو من السرقة. وبهذه الوسائل لم يكن ممكنا الحصول إلا على كميات ضئيلة من السلاح.[249]
4. لم تكن حركة الأنصار نفسها بريئة من النزعات المناهضة للسامية. إذ أن الأجنحة اليمينية من منظمات المقاومة البولونية كانت تنظر إلى اليهود كقطاع طرق يتجولون في الغابات وكثيرا ما عمدوا إلى نزع أسلحتهم وحتى قتلهم. بينما كانت المجموعات اليسارية من الأنصار تتخذ مواقف (أقل) عدائية منهم. ففي أوكرانيا وليتوانيا وبيلوروسيا خفت هذه النزعات المعادية للسامية بعد إقامة إتصالات بين الأنصار والقيادة السوفيتية العليا. ولكن تلك القيادات إعترضت على قيام منظمات أنصار يهودية مستقلة. وأجبرت اليهود على الإندماج في وحدات الأنصار ذات الجنسيات المتعددة.[250]
5. وبالنسبة لمسألة إنتقال المقاتلين اليهود من الجيتوات إلى الغابات. فقد واجهت صعوبات عديدة. ذلك أن السكان اليهود في أواسط بولونيا

247 المصدر السابق صفحة 109
248 المصدر السابق صفحة 109
249 المصدر السابق صفحة 110
250 المصدر السابق صفحة 110

بعيدون عن الغابات الكثيفة. وقد إنتهت محاولات نقل المقاتلين في وارسو وسلوفاكيا من قبل المنظمات اليهودية إلى الغابات، إنتهت إلى فشل ذريع فقد ألقي القبض على عدد كبير منهم وقتل عدد آخر قبل وصولهم إلى الغابات.[251]

6. كان العائق الرئيسي -من وجهة نظر الصهيونية- الذي منع الهروب الكبير إلى الغابات هو المسألة الزمنية، إذ إن توسع حركة المقاومة وازدياد قوتها بدأ فقط عام 1943، أي في الوقت الذي كان فيه أغلب اليهود قد نقلوا إلى معسكرات الموت النازية، ومع أن وحدات الأنصار اليهود لعبت دورا طليعيا في التمهيد لحركات الأنصار إلا أنها لم تستطع إستيعاب أعداد كبيرة من اليهود والمحافظة عليها.[252]

تلك هي الأسباب التي رأت الحركة الصهيونية أنها منعت اليهود من تكثيف جهودهم في محاربة النازية. ولكن التمعن فيها يجعلنا نشعر بأن أسبابا أخرى خفية هي التي لعبت الدور الأساسي بل الدور الرئيسي في عرقلة المشاركة اليهودية في المقاومة، كذلك فإن هذه الأسباب تنفي بعضها البعض من خلال الوقائع التي أشرنا إليها عندما عددنا أماكن تواجد المقاومة اليهودية ولا بد من التأكيد هنا على أننا إعتمدنا في ذكر الوقائع والأسباب على أحد المصادر الصهيونية المخصصة للدعاية والتي أشرفت على إعدادها مجموعة من الأكاديميين الصهاينة لتتناسب مع الأهداف التي تسعى الحركة الصهيونية لتحقيقها في إبراز المقاومة كعمل صهيوني وفي تسويغ ضعف هذه المقاومة بإلقاء التهم على الآخرين تحت شعار (مناهضة الصهيونية) وفي نفس الوقت إلقاء الظلال على الأسباب الرئيسية التي تعود إلى موقف قيادة هذه الحركة، تلك القيادة التي كانت تقبض على زمام الأمور طيلة فترة الإحتلال النازي.

المقاومة في الجيتوات:

تميزت المقاومة في جيتوات اليهود بأنها مقاومة يهودية بحتة، ولكنها تلقت مساعدات من غير اليهود بشكل أو بآخر. وأبرز مظاهر هذه المقاومة كانت كل من جيتوفيلنو ولودز ووارسو. واعتبر الأخير نموذج المقاومة البطولية اليهودية

251 المصدر السابق صفحة 109

252 المصدر السابق صفحة 110

رغم أنها إنتهت بتدميره والقضاء بشكل نهائي عليه ويؤكد المؤرخون -اليهود خاصة-[253] إن الحلفاء الوحيدين لمقاتلي الجيتو من خارج جدرانه كانوا من الجماعات المحلية اليسارية مناهضي النازية أمثال حراس الشعب (الذين أطلق عليهم فيما بعد «جيش الشعب» التابعين لحزب العمال الشيوعي).

وبالمقابل فإن التاريخ لم يسجل إعلانا للثورة من قبل الحركة الصهيونية ضد النازية إذ أنه على الرغم من وجود عشرات الألوف من الجنود اليهود في جيش الجمهورية البولونية، فلم يكن هناك من يوجههم لكي يحملوا معهم أسلحتهم إلى بيوتهم أو أن يخفوها في مخبأ ما حيث تكون لهم فيما بعد -عند قيام منظمات قتال يهودية- بعض الأدوات على الأقل لمواجهة النازيين. ولكن مثل هذه المنظمات لم توجد على الرغم من وجود مختلف أشكال التنظيمات الصهيونية في ذلك الوقت الذي كانت تبحث فيه فقط عن مهاجرين إلى فلسطين. ولذلك فقد كانت المقاومة اليهودية في الجيتوات وغيرها تلقائية وعفوية كرد فعل جماهيري لإحساسها باقتراب موعد تطبيق قرار الإبادة النازي ضدها، هذا ولم تبدأ الثورات في جميع الجيتوات في وقت واحد وإنما بدأت حسب أسبقية إحساس سكان الجيتو بقرب ساعة الخطر. وهكذا فإن سكان جيتو وارسو لم يشعروا بالخطر -أو بالأحرى لم يشعرهم أحد باقتراب الخطر- إلا في صيف عام 1942، بينما شعر سكان جيتوفيلنو بهذا الخطر في نهاية عام 1941،[254] إذ أنهم كانوا أول من عرف بمخططات النازية، بعد أن وصل إلى علمهم إعدام أعداد كبيرة منهم -اليهود- في موقع مجاور. ولذلك نستطيع أن نقول أن جيتوفيلنو كان اول مكان إبتدأت فيه محاولة لتنظيم حركة مقاومة يهودية وأصدرت هذه الحركة ندائها الأول (لنمتنع عن الذهاب كالخراف إلى المذبحة .. صحيح أننا ضعفاء وليس لدينا أحد يساعدنا .. ولكن جوابنا الوحيد على العدو يجب أن يكون المقاومة).

وبعد ذلك بدأت أعمال التخريب ضد النازيين، ولكن هذه الأعمال لم تصل إلى مستوى الإنتفاضة الجماهيرية،[255] ولكن الأمر يختلف في جيتو وارسو حيث أنه منذ بداية أعمال المقاومة لم يمر يوم واحد دون إشتباك مسلح أو إكتشاف

Jewish Resistance in Nazi - Ocoupied Easten Europe , By Reuben Ainsztein London - 1974 253
Page 408

Ibid , Page 486 254

Faris Yahya , Page 39 , 40 255

جديد لغرفة محصنة تحت الأرض، وذلك حسب رأي الجنرال بورجين ستروب قائد فرقة الصاعقة الألمانية الذي تولى عملية تصفية جيتو وارسو.[256]

وفي مجال إنعدام الإستعداد للمواجهة لدى اليهود، وعدم وجود منظمات توجههم وتقود خطاهم للمقاومة كتب النازي (فون دم باخ) رئيس قسم (اللا أنصار) في فرقة الصاعقة وقائد المركز الروسي في قوة الشرطة الذي قام بمراقبة اليهود وقتلهم من عام 1941 وحتى نهاية الحرب، كتب باخ يقول:[257] (إنني الشاهد الوحيد الحي، ولكن يجب أن أقول الحقيقة وهي أن اليهود لم يكن لديهم تنظيم من أي نوع كان وقد أخذت المفاجأة بجماهيرهم. أذ لم يعرفوا إطلاقا ما يجب أن يفعلوا ولم يكن لديهم أية معلومات أو توجيهات ترشدهم كيف يجب أن يتصرفوا. وتلك هي الكذبة الكبرى للاسامية لأنها تضفي الكذب على الشعار القديم بأن اليهود يتآمرون للسيطرة على العالم، وأنهم على مستوى رفيع من التنظيم .. والحقيقة أنهم لم يكن لهم تنظيم خاص بهم إطلاقا ولا مصدر للمعلومات. أو لو كان لهؤلاء الناس أي نوع من التنظيم لكان بالإمكان إنقاذ الملايين منهم ولكن عوضا عن ذلك أخذتهم المفاجأة تماما. ولم يحدث أبدا في السابق أن سار شعب بدون أي إرتياب إلى هلاكه).

من هنا نفهم سبب ضعف المقاومة اليهودية وتشرذمها وعفويتها لأن القيادات الصهيونية التي كانت تتبوأ مركز القيادة اليهودية لم تبد أي نشاط أو إستعداد لتنظيم اليهود وأعدادهم وتهيئتهم لمواجهة النازية.[258] ولولا المعونة الكبيرة التي قدمها كادحوا بولونيا وشيوعيوها للمعتقلين اليهود، لما أمكن لهذه المقاومة أن تكون شيئا. ويذكر التاريخ أسماء كثيرة من الشيوعيين البولونيين الذين كانوا يخاطرون بحياتهم بشكل دائم ليقابلوا عناصر في الجيتوات ويدربوهم على المقاومة. ولما بدأت مرحلة التمرد في أيار ونيسان من عام 1943 قدموا لهم السلاح والذخائر واشتركوا معهم في المعارك. ولم يكن البولونيون وحدهم الذين قدموا المعونة لمناضلي الجيتوات وإنما يذكر المؤرخون أيضا ما قدمه الشعب السوفييتي من معونة (للمتمردين) ويتحدثون عن دور الطيران السوفييتي الذي قام باختراق الحصار

256 مجلة إكسبرس بتاريخ 1979/10/10
257 The Destruction of the European by Raul Helberg , London 1976 , Page 663 , 664
258 برودسكي ، شوليستر صفحة 146

الفاشي وتمكن من إيصال السلاح والمواد الغذائية إلى المعتقلين المتمردين. وعندما وصلت أخبار إنحدار القوات الفاشية في ضواحي موسكو إرتفعت معنويات سكان الجيتوات الأمر الذي أدى إلى تصعيد المقاومة وتعميقها.[259]

نعود مرة أخرى إلى إستعراض الأسباب التي أوردتها مصادر الحركات الصهيونية الرسمية التي ترى أنها منعت اليهود من المشاركة في المقاومة وأنها كانت عقبات أساسية في طريق هذه المشاركة. ترى هل كانت هذه الأسباب حقيقية أم أنها أسباب وهمية لتغطي أسبابا أخرى؟

إن وجود آلاف اليهود في الغابات ينقض السبب القائل أن اليهود كانوا يخافون مجاهل الطبيعة وينفي فكرة تأثير الروابط العائلية لدى الأسر اليهودية تلك الروابط التي تمنعهم من الإبتعاد عن منازلهم. وإن إنصهار اليهود وارتباطهم بمختلف الحركات الشيوعية والإشتراكية أزال كل الفوارق الدينية بينهم وبين باقي أقرانهم من الشعوب التي ينتمون إليها، الأمر الذي جعل إمكانية إقامة صلات مع سكان المنطقة المحيطة بالغابات أمرا يسيرا وهذا ما يفسر وجود قادة من اليهود في حروب الأنصار في مختلف البلدان.

بالإضافة إلى ذلك وباعتبارهم مواطنين في الدول الأوروبية المختلفة التي إحتلها الألمان فقد دخلوا سلك الجندية تبعا لمواطنيتهم ووصلوا إلى أعلى المراتب العسكرية القيادية، وهذا هيأ لهم أرضية الحصول على التدريب الكفافي والخبرة اللازمة للقيام بأعمال الموقاومة. ويتبلور هذا الأمر بشكل واضح في الإتحاد السوفييتي مبنيا على الأفكار اللينينية. إذا كان لينين يدعو دائما إلى مساواة اليهود الفعلية بغيرهم في روسيا. وكان يرى أن الفكرة الصهيونية بشأن وجود أمة يهودية من نوع خاص هي فكرة كاذبة رجعية في جوهرها وأنها لن تجلب للكادحين سوى الضرر، ولذلك فقد كتب يقول:[260] (إن فكرة الشعب اليهودي الخاص فكرة رجعية من حيث مغزاها السياسي فالمسألة اليهودية هي كالتالي: الإنصهار أو العزلة وفكرة القومية اليهودية ذات طابع رجعي واضح ليس فقط عند أنصارهم الدائمين (الصهاينة) بل

259 المصدر السابق صفحة 145 ، 147

260 الصهيونية في روسيا القيصرية - يفيسيف ، فوستكوف - وزارة الثقافة السورية سنة 1976 ترجمة هاشم صادق صفحة 87

وحتى عند أولئك الذين يحاولون إقرانها بالأفكار الإشتراكية (البولنديين) أن فكرة القومية اليهودية تتناقض مع مصالح الكادحين اليهود وذلك بتغذيتها للأفكار المعادية للإنصهار وتشجيعها لأمزجة الجيتو).

لذلك فإن تطبيق أفكار لينين بعد نجاح الثورة الإشتراكية جعل اليهود مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات، وأنهى كل النزاعات المناهضة للسامية والتي كانت منتشرة أيام الحكم القيصري، وبالتالي فإن قادة حرب الأنصار السوفييت وغيرهم من الشيوعيين في أوروبا لم يكونوا أسرى عقدة اللاسامية بل رحبوا بالأنصار اليهود وضموهم إلى صفوفهم واستوعبوا كل من تقدم منهم للمشاركة في مقاومة النازية، هذا مع التأكيد على أن النزعات المناهضة للسامية لم تكن بالشكل الذي تطرحه الصهيونية ولا بالمضمون.

ومن الأسباب الهامة التي أشارت إليها المصادر الصهيونية وعزت إليها ضعف المقاومة اليهودية موقف الشعوب الأوروبية المسيحية إذ أنها تتهمهم بالتقصير وبالتواطؤ مع النازيين ضد اليهود، مغفلة تماما الدور الإنساني والوطني الذي لعبته هذه الشعوب نحو اليهود -بصفتهم جزءا منها- والجهود التي بذلت لإنقاذهم وتخليصهم من أيدي النازيين وردا على إدعاءات القيادة الصهيونية تستشهد صحيفة (جندي الراية) البولونية بالكاتب الكاثوليكي المعروف (بان دوبرتشينكي) الذي لعب -شخصيا- دورا فعالافي إنقاذ مئات اليهود من جيتو وارسو فيقول: لقد تم نقل العديد من الأطفال من جيتو وارسو حيث وضعوا تحت الرعاية والعناية الكاملة في الأحياء البولونية، في الوقت الذي نعرف تماما أن القيام بمثل هذا العمل يعتبر مخاطرة كبيرة لأن أية مساعدة مهما كانت بسيطة تقدم لليهود كان عقابها الإعدام.

إن أسباب ضعف المقاومة اليهودية لم تكن تلك التي أشارت إليها مصادر الصهيونية، لأنها أسباب أمكن دحضها والرد عليها، وسنجد أسبابا أخرى، وهي في إعتقادنا الأسباب الحقيقية التي جعلت هذه المقاومة ضعيفة واهية. ولربما إستطعنا أن نجدها في الدور الكبير الذي قامت به الحركة الصهيونية متمثلة بالقيادات اليهودية الصهيونية التي كانت تتربع على عرش الحياة اليهودية إبان الإحتلال النازي.

القسم الثاني

مجالس الكبار (Judenrate Councils of Elders)

لعبت هذه المؤسسة دورا هاما وأساسيا في حياة اليهود. فقد ترك النازيون لها حرية كاملة لتتصرف بالشؤون اليهودية ضمن آفاق السياسة العليا الألمانية التي إنسجمت مع آفاق السياسة الصهيونية العليا. ولذلك لم يكن مسؤولوهذه المؤسسة مجبرين على القيام بمهامهم بل كانوا متطوعين للقيام بهذه المهام. وقد عبر عن هذا الإنسجام (هانس لام) عندما قال: (أنه من غير المشكوك فيه أن القوميين الإشتراكيين في المراحل الأولى وجدوا أنه من الأفضل تبني سياسة موالية للصهيونية في موقفهم إتجاه اليهود).[261]

مجالس الكبار كانت تضم أقساما كثيرة ومتعددة لكن أهم هذه الأقسام كان قسم البوليس اليهودي، اليد الضاربة لقادة المجالس والنازيين في آن معا. وهو الذي لعب دور البوليس القمعي والإستخبارات الأمنية والتجسسية لصالح النازيين.

لقد كانت أولى المهام الموكلة لهذه المجالس القيام بعمليات ترحيل اليهود. وقبل أن تبدأ هذه العمليات أعطيت التعليمات للمجالس لإتخاذ الإجراءات التالية:-

1. تنظيم كشوف مفصلة عن كل ممتلكات المرحلين، وذلك بتوزيع نماذج مطبوعة على كل اليهود في أماكن تواجدهم، ثم تعاد هذه الكشوفات للجستابو.
2. وبعد تثبيت موعد الترحيل كانت توزع الإستدعاءات على جميع المنوي ترحيلهم لكي يكونوا جاهزين في الزمان والمكان المحددين.
3. وفي حالة تخلف أحد اليهود عن قبول دعوى الترحيل يتولى المجلس من خلال رجاله إحضار المتخلفين بالقوة بعد البحث عنهم في مخابئهم.

Eichmann In Jerusalem . By Hannah , London 1965 Page 53 261

وحتى تسير أمور الترحيل بهدوء وبدون أية ضجة كان أعضاء مجالس الكبار يروجون بين جماهير اليهود بأن لا فائدة من الإختباء والتخفي لأن ذلك لن يعرض حياة المتخفين للخطر فحسب بل يعرض حياة أسرهم وحياة التجمع بأكمله للخطر. من هنا -وحسب رأي (الوسيان شينبرغ)- فإن عمل المجالس كان يخدم الهدف النازي ويجعل عملية الترحيل تسير بهدوء. ويعود لها -المجالس- الفضل في أن الجستابو لم يحتج لطلب المساعدة من الخارج. على الرغم من علم المسؤولين اليهود بالمصير الذي كان ينتظر المرحلين والمكان الذي سيرحلون إليه، إلا أنهم أبقوا الموضوع طي الكتمان وأخفوه عن اليهود الذين بقوا في الجيتو.[262]

في مدينة لفوف وعقب إحتلالها من قبل النازيين تأسس يودنيرات (مجلس كبار) وبدأ يتسع نفوذ هذا المجلس وسلطته حتى بلغ عدد موظفيه أكثر من ثلاثة آلاف. وكان (يوسف بارناس) أحد الأعضاء البارزين في المنظمة الصهيونية المحلية في غرب أوكرانيا أول رئيس ليودنيرات لفوف، أما نائبه فكان الدكتور أدولف وتفيلد. أحد مؤسسي الحركة الصهيونية في غرب أوكرانيا ونائب رئيس المنظمة الصهيونية المحلية والأمين العام للكيرن هايسود، الصندوق التأسيسي الفلسطيني المكلف باستعمار فلسطين. وقد شاركت في النشاط القيادي لمجلس لفوف أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية المحلية ومنهم: المهندس نافتولا لاندو والدكتور غينريخ لاندسبيرغ والدكتور سيمسون أولام والدكتور أوسفالد كيميلمان.. وغيرهم.

ومع ظهور اليودنيرات في الغيتو إتخذ التعاون بين الصهاينة والفاشيين طابعا أكثر وضوحا، إذ وصل إلى درجة أن يودنيرات لفوف بدأ بموافقة السلطات الفاشية إصدار صحيفة خاصة بالسكان اليهود تحمل إسم (أخبار يودنيرات ليمبيرغ للطائفة اليهودية). وفي كراكوف أصدر اليودنيرات الصهيوني (الصحيفة اليهودية) اليومية.

ومن خلال هذه الصحف عمل اليودنيرات على غرس الأفكار في عقول نزلاء الجيتو والمعتقلات وعلى تمجيد الزعماء الصهاينة والتغني بتيودور هيرتزل أب الصهيونية. ولكن لماذا سمح الفاشيون للصهاينة بممارسة دعايتهم؟ لقد

---

262 Ibid Page 11

سمحوا بها في هذه المرحلة لهدف واحد وهو أنها -الدعاية- تجعل إمكانية تدميهم لليهود أكثر سهولة وبساطة، وفي ظروف الغيتو ومعسكرات الإعتقال كانت أفكار هيرتزل مناسبة جدا، الأداء حولنا ولا يمكن الإعتماد على أحد.. المخرج الوحيد هو الدولة اليهودية.. واستطاعت الدعاية الصهيونية في عامي 1941 ، 1942 والقائلة أن الفاشيين يجمعون اليهود لكي يرسلوهم -بعد النصر- إلى الدولة اليهودية المنشودة، إستطاعت هذه الدعاية خداع معظم جماهير اليهود.

ودعما لهذا الخداع لم تدع (الصحيفة اليهودية) في إفتتاحيتها في الأول من نيسان سنة 1942 للنضال ضد الفاشيين، بل دعت إلى الإستكانة، وإلى العمل الدؤوب من أجل الكمال الذاتي ووعدت بأن العدالة هي التي ستحل في النهاية، وأشارت الصحيفة إلى أن الأمة اليهودية ستبعث بفضل التربية العمالية في معسكرات الإعتقال الفاشية، فاليهود -على حد زعم الصحيفة- لا يحبون العمل، ولذلك فإن الفاشيين يدربونهم على ذلك وهم يستحقون الشكر على ذلك.[263]

وفي 16 كانون الثاني سنة 1942 أكدت الصحيفة آنفة الذكر (الصحيفة اليهودية) في إفتتاحيتها إعادة تقييم القيم وأن أوروبا الجديدة ستكون أوروبا العمل. والسؤال الملح يكمن في ماهية علاقتنا بالحقيقة الجديدة. والنتيجة التي توصل إليها دعاة الصهيونية هي ما يلي: (لقد حدث إنعطاف هائل في الشارع اليهودي، حدث في ظروف قاسية ولكنه كان مثيرا للفرح.. لقد حدثت فينا الثورة.. الثورة البيضاء الهائلة).

وكانت الجريدة تصور معسكرات الإعتقال، التي أقيمت من أجل تدمير اليهود، على أنها من أفضل أماكن (إعادة تربية الشبيبة).

وفي 23 حزيران سنة 1942 كتبت (الصحيفة اليهودية) في مقالها الإفتتاحي تقول: (أن القسم الأكبر من السكان اليهود الذين يقطنون في الولاية الأساسية قد إستدعي إلى معسكرات العمل، هؤلاء العمال معظمهم من الشبيبة المدعوة لإعادة تربيتها، يدربون على الأشكال الجديدة للحياة والعمل.

263 برودسكي وشلويستر صفحة 129

في الوقت الذي كانت فيه هذه الصحيفة لا تكتفي بتأييد الفاشية بكل أعمالها، كانت تخفي حقيقة معسكرات الموت وتتستر على قتل اليهود، وتخلق وتغذي الآمال الكاذبة حول (حق الحياة) لأولئك الذين يمرون عبر جميع زوايا الجحيم الفاشي. بالإضافة إلى كل هذا كانت تتغنى بعملاء الفاشيين، زعماء اليودنيرات. تمجدهم وتصورهم شخصيات صهيونية بارزة وأن هذه الشخصيات عندما تنفذ أوامر النازيين إنما تفعل ذلك خدمة لمصالح اليهود. فعندما توفي أدولف روتفيلد رئيس يودنيرات لفوف كتبت الصحيفة اليهودية في 27 آذار سنة 1942 تقول: (كان روتفيلد طوال عدة سنوات يتبوأ مركزا قياديا في المنظمة الصهيونية، إذ كان نائب رئيسها وأمينا عاما للكيرن هايسود وتزعم الطائفة اليهودية في لفوف وكرس طاقته لخدمة المجتمع اليهودي).[264]

توقع اليهود من اليودنيرات أن يكون وسيطا بين السكان والنازيين، وأنه سيمثل المصالح اليهودية ويدافع عنها. إلا أن توقعاتهم لم تكن في مكانها، فقد كان تعاون اليودنيرات باستمرار لصالح الألمان وعلى حساب جماهير اليهود. لقد كان جاهزا دائما للقيام بكل الأعمال التي يطلبها النازيون، فإذا قرر النازيون القيام بحملات القتل ضد اليهود يبلغون اليودنيرات والبوليس اليهودي بقرارهم، بما في ذلك (كمية) الضحايا المطلوبين، وما على اليودنيرات إلا التقيد الفوري. ولمزيد من التعاون بين الطرفين أسس اليودنيرات ما اصطلح على تسميته (صندوقا للتبادل) يحتوي هذا الصندوق قوائم بأسماء الكادحين المحكوم عليهم بالموت وبرأس هذه القوائم كانت أسماء العاطلين عن العمل ويليهم عمال المؤسسات، ثم الحرفيون، وقد سميت هذه القوائم بصندوق التبادل لأنه كان يستخدم في مثل هذه الحالة التالية: عندما كان يلقى القبض على التجار أو أرباب العمل أو الأثرياء الكبار كان يستبدلهم اليودنيرات بالكادحين من صندوق التبادل.

في شهر فبراير (شباط) عام 1967، أكتشفت مذكرات آيغون ردليغ أحد الصهاينة الذين تعاونوا مع النازيين في سلوفاكيا. سجل فيها إنطباعاته يوما بيوم، وقد سجل فيها يوم 20 كانون الثاني (يناير) سنة 1943، يقول: (ينقلون كأنما ينقلون ماشية صغيرة، ينقلون القطعان ويسوقونها وسواقوا هذه القطعان هم أيضا غنم.. إنهم هم أيضا يهود ويضطهدون يهودا.

---

264 المصدر السابق صفحة 131

كان ايغون ردليغ في عداد أفراد القمة القائدة في غيتو تريزين، بوصفه رئيس مصلحة شؤون الشباب، كان يشرف على خمسة موظفين وعلى عدد كبير جدا من المربين (رؤسلء البلوكات) في بعض الثكنات. في الوقت الذي شكل فيه مجلس كبار تيريزين من جاكوب ايرلتشتين رئيسا وأفوا تسوكر نائبا، وايغون بوير مسؤول الإدارة الداخلية، وايريخ مونك مسؤول الصحة، وكارل شلبسر رئيسا للتموين والمهندس ألبرت رئيسا لقسم النقل، وهؤلاء جميعا يختارون رؤساء مصالح وأقسام الإدارة الذاتية من الأشخاص الموالين لهم. وقد منح النازيون هذه القيادة وأتباعها إمتيازات خاصة إذ وفروا لهم إمكانية العيش مع عائلاتهم وضمنوا لهم عدم ترحيلهم من تيريزين.

تمتعت هذه المنظمة الصهيونية في جيتو تيريزين بتأييد السلطات النازية المحلية وبتأييد أصحاب الرتب الرفيعة من الجستابو، بمن فيهم آدولف آيخمان. وبعد تطبيق الإدارة الذاتية في الجيتو أشرف النازيون على النظام الإقتصادي والإداري وترك أمر الأمن الداخلي للصهاينة وبوليسهم الخاص (رئيسه كارل لوفنشتين) الذي كان يتولى إعداد القوائم بأسماء الأفراد الذين يتعين ترحيلهم إلى الشرق، وبذلك كانوا يفصلون في مسألة حياة الناس أو موتهم، وقد إستطاع البوليس اليهودي بمساعدة (15) رجلا من الـ (S.S) فقط، أن يرحلوا بين سنة 1941 - 1945 إلى الجيتوات الشرقية والمعتقلات 153 ألف شخص بينهم 15 ألف طفل.

ولكي يعلل الصهاينة، وخاصة المهندس أتوتسوكر، صلاحيتهم لمواصلة شغل المناصب القيادية تقدموا برأي مفاده أنه يجب على الإدارة الذاتية اليهودية أن تبرهن للقيادة النازية في تيريزين قدرتها ورغبتها في التعاون في جميع المجالات، وقد حاولوا أن يبرهنوا على تنفيذ الأوامر النازية بلا قيد ولا شرط بخلق جو الثقة المتبادلة، وبتوسيع إطار الإستقلال الذاتي للإدارة الذاتية اليهودية.

ومن ناحية ثانية كانت الإدارة (اليودنيرات) ترى من واجبها أن تعمل على تربية الأطفال التربية الصهيونية ونبذ التربية الوطنية التشيكية، رغم الإحتجاجات التي تأتيها من الأغلبية المتمثلة وقد سجل أيغور ردليخ بمذكراته يوم 18 أيار (مايو) سنة 1942 يقول: (تدور في الجيتو مجادلات

كثيرة في مواضيع أخلاقية، يتهموننا بالعنف حيال الأطفال، المشاحنات بين الصهاينة والمتمثلين تحزنني، وإنني أرغب في الضحك عندا ينتقدوننا لأننا نجبر الأطفال على أن يصيروا صهيونيين وإنني لأغضب لأن خصومنا سيزعقون بع الحرب زاعمين أننا نحن الصهاينة كنا أعداء على العموم لأي ثقافة تشيكية، والواقع أن أغلبية المربين هم يهود متمثلون. وإنني أعترف أن عدد المربين والمربيات الصهاينة عندنا لا يكفي).

عندما ضحى الصهاينة باليهود المتمثلين وجدوا في هذا الموقف (المبرر الأخلاقي) في نظرية (الشعب المختار) ففي 3 نيسان (ابريل) سنة 1942، يرد ردليخ في يومياته على المتمثلين الذين إنتقدوا في تيريزين الصهاينة وعلى تعاونهم مع النازيين ولم يستطيعوا أن يفهموا لماذا يسعى الصهاينة بمثل هذا الحماس إلى البقاء، عاملين على الخلاص بجلودهم بأي ثمن كان ... فيقول: (في إحدى البلوكات النسائية، اوقفتني مربية وسلمتني يوميات صديقتها. وفي هذه اليوميات قرأت مناقشة ممتعة بين صاحب اليوميات والصهيونية. وهي تستفسر بنفسها من نفسها لماذا يتشبث اليهود بالحياة بمثل هذه القوة .. وأية قيمة لمثل هذه الحياة .. إن هذه المربية لا تفهم قدر شعبنا ومغزى رسالته لأنها .. متمثلة).[265]

265 الصهيونية : الحقيقة والإختلافات مجموعة مقالات - المقالة الأخيرة بقلم يفيسيف - دار التقدم موسكو - صفحة 25 - 52 - نقلت عن مجلة تريبونا - براغ 23 يناير سنة 1974

القسم الثالث

حفنة من المتواطئين

سنختار مجموعة من الأسماء اللامعة في تاريخ الصهيونية والذين تبوأوا مناصب عليا في الحياة اليهودية سواء في قيادة المجالس اليهودية أم في لجان الإنقاذ اليهودية، لنتعرف على دور كل منهم في تلك الحقبة من التاريخ.

لقد حاولت الدعاية الصهيونية إلقاء الظلال على أعمال هؤلاء وتقديم الأعذار والمسوغات لتحويل أعمالهم وتواطآتهم إلى بطولات. لأن هذه الحركة تعرف جيدا أن إدانة هؤلاء هي إدانة لكل الحركة ولكل قادتها، وهي في نفس الوقت تؤمن إيمانا مطلقا بأن ما صدر عن هؤلاء إنما تم من أجل مصلحة أفكار هذه الحركة وفي سبيل تطبيقها، إذ أن مثل هذه الأعمال كانت ضرورة لإستكمال بناء المشروع الصهيوني. وقد عبر عن هذا الوضع بشكل دقيق ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودي العالمي السابق عندما قال: (لولا هتلر لما قامت دولة إسرائيل). إذا فقد كانت الحركة الصهيونية تعي تماما الدور الذي قام به هتلر بالنتائج المترتبة على إضطهاد اليهود، هذا الوعي جعلها لا تكتفي بموقف المتفرج الصامت عن هذه الأعمال، وإنما جعلها تقوم بدور الشريك الفعال.

سنحاول أن نلقي الأضواء على بعض الأسماء اللامعة في الحياة الصهيونية لنوضح الدور الذي قام به كل منهم مشيرين ضمن سياق البحث إلى موقف المصادر الصهيونية الرسمية من هؤلاء وبصورة خاصة الموسوعة اليهودية:

1. رومكوفسكي — في جيتو لودز.
2. ميرين — في جيتو سوسنوفيك وسيليسيا العليا.
3. جينز — في جيتو فيلنا (فيلنو)
4. نوسيغ — في جيتو وارسو
5. كاستنر — في هنغاريا

أولا: رومكوفسكي:

حايم مردخاي رومكوفسكي، الملك المتوج على الجيتو اليهوديفي لودز في منطقة كافكايسك الواقعة في سيليسيا الشرقية في غرب بولنده والتي ألحقت بعد إحتلالها بالرايخ.[266]

ولد رومكوفسكي في (الينوبروسيا) سنة 1877 واستقر في مطلع هذا القرن في لودزوفي فترة ما بين الحربين نشط في مجال الخدمات الإجتماعية وكان عضوا بارزا في حزب الصهيونيين العموميين،[267] قبل أن يعين من قبل النازيين رئيسا لمجلس اليونديرات في جيتو لودز كان مديرا لميتم، ثم إنتخب في مجلس الـ (Kehella) إذ دخل الإنتخابات على قائمة حزبه، وفي عام 1937 وضعت الحكومة البولونية يدها على هذا المجلس فاستقال معظم أعضائه إلا رومكوفسكي الذي رفض الإستقالة واستمر في عمله. وعندما إحتل الألمان بولونيا عرض خدماته على النازيين فعين رئيسا لليودنيرات.[268] وفي أكتوبر من عام 1939 سمي رومكوفسكي كبير اليهود في لودز).

وعلى أثر ذلك دعا ثلاثين عضوا من كبار أعضاء المنظمات اليهودية لتكوين مجلس إستشاري له.

وبعد ذلك في 2 ديسمبر عام 1941 أعلن رومكوفسكي أن على عشرة آلاف يهودي مغادرة جيتو وارسو. وقد تم إخبارهم من قبل أجهزته ولم ينج إلا من كان يتمتع بحمايته ورعايته أو بحماية أو رعاية أحد مساعديه.[269]

وفي 25 كانون ثاني 1942 كانت صحيفة (Veker) السرية الناطقة باسم البولنديين قد نبهت في عددها هذا إلى موجات الترحيل وتحدثت عن العشرة آلاف يهودي المرحلين حيث قالت: (لقد إختارهم الملك رومكوفسكي بنفسه)[270] محاولة بذلك فضح رومكوفسكي بتأكيدها على أنه ليس صنيعة الألمان فحسب بل إنه صاحب رأي في إختيار اليهود الذين تقرر أن

---

266 Shonfield , M . Page 119

267 الموسوعة اليهودية - المجموعة 14 - صفحة 428

268 The War Against the Jews , 1933 - 1945 , By Lucy Dawidowicz , New York 1979 , Page 305

269 Ibid Page 394

270 Ibid Page 399

يرحلوا إلى معسكرات الإعتقال والموت، منبهة الجماهير بعدم إطاعة أوامره والتمرد عليها.

ومع ذلك إزدادت طلبات الألمان لترحيل مزيد من اليهود، فوقع الإختيار على المرضى والأطفال دون سن العاشرة والشيوخ فوق سن الخامسة والستين، ولذلك أعاد رومكوفسكي تنشيط لجنة (إعادة التوطين) لكي تتولى بنفسها تحضير القوائم محاولا بذلك أن يشارك أناسا آخرين معه، وحتى لا يكون مثل هذا العمل على عاتقه وحده من أجل أن يورط الآخرين من الزعماء اليهود وأبلغ أعضاء اللجنة بأن هانز بيبو (Hans Biebow) المدير الألماني لجيتو لودز قد هدده بأنه إذا لم يتم توفير عشرة آلاف طفل دون سن العاشرة وهو العدد المطلوب ترحيله فسوف يتم ترحيل الجيتو بأسره. وحتى يغري أعضاء اللجنة بمشاركته طمأنهم إلى أن بيبو قد سمح لهم ببعض الإستثناءات التي يراها مناسبة ويرشحها بنفسه مقابل حسن تعاونه.[271]

إستمر رومكوفسكي في مركزه خمس سنوات إلى أن تمت تصفية الجيتو من قبل الألمان وفي آب سنة 1944 نقل هو الآخر إلى أوشفتز حيث قتل هناك.[272]

ثانيا: جاكوب جينز:

يرى المؤرخون أن الإنتفاضة اليهودية في جيتو فيلنو (وكان يعرف أيضا باسم ويلنو أو فيلنا) إندلعت قبل أي مكان آخر ويعود السبب في ذلك إلى إطلاع اليهود على مخططات الإبادة النازية في وقت مبكر، إلا أن هذه الإنتفاضة لم تنتشر لتصبح إنتفاضة جماهيرية، مما أدى إلى إخفاقها، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى الدور الذي لعبه جاكوب جينز الصهيوني وأحد أبرز المتعاونين مع النازيين الذين عينوه في مواقع حساسة يستطيع من خلالها أن يسيطر على الحياة اليهودية في الجيتو. وتشير الموسوعة اليهودية إلى أن جينز كان رئيسا لجيتو فيلنو ثم عين رئيسا للشرطة اليهودية في عام 1942 . ولكن نفس الموسوعة تشير في مكان آخر إلى أنه كان رئيسا للشرطة اليهودية ثم رئيسا للجيتو،[273] وأيا كان تسلسل مسؤولياته التي إطلع بها

271 Ibid Page 397

272 الموسوعة اليهودية - مجموعة رقم 14 صفحة 428

273 الموسوعة اليهودية - مجموعة رقم 16 صفحة 149 و 13 صفحة 770

إلا أن المؤرخين يجمعون على أنه كان شخصا فريدا من نوعه، لأن ما من زعيم آخر من زعماء الجيتوات ذهب إلى الحد الذي ذهب إليه جينز في خدمة أهداف النازيين، وما من زعيم آخر من زعماء الجيتوات إستخدم قوة شرطته لتنفيذ القتل الفعلي لليهود. ناهيك عن الدور الفعال الذي لعبه في تخريب وإحباط حرب الأنصار.

في إحدى المناسبات وقف على منصة في ساحة عامة وبدأ خطابه بالعبارات التالية: (أنا جينز أقودكم إلى الموت .. وأنا جينز أريد أن أنقذ اليهود من الموت .. وأنا جينز آمر بنسف أماكن الإختباء .. وأنا جينز أعطي شهادات العمل وأحصل على فوائد للجيتو .. إنني أدفع ثمن الدم اليهودي وليس ثمن الشرف اليهودي).[274]

ومن الجدير بالذكر أن جينز من أنصار جابوتنسكي المتحمسين لأفكاره وكان عضوا في المنظمة العسكرية التابعة للتحريفيين والتي أصبح إسمها فيما بعد منظمة (الأرغون زفاي ليئومي).[275]

لقد كان جينز مؤمنا بأن لديه رسالة يجب أن يحققها وهو يعرف ما هو صالح (لرعاياه) اليهود. وبناء على هذا الإيمان فقد تولى بنفسه مسؤولية إختيار الضحايا اليهود حسب العدد والمواصفات التي يطلبها النازيون، وأدى هذه المهمة بكفاءة تامة، الأمر الذي جعل رجال الجستابو ينصبونه في خريف عام 1942 ديكتاتورا ليس على جيتو فيلنو فحسب بل على جميع الجيتوات الريفية الباقية في منطقة فيلنو.

وفي الخامس من نيسان سنة 1943 ظهر إعلان على جدران الجيتو يحث اليهود الذين لهم أقرباء في منطقة كوفنو على الإنضمام إلى عربات النقل، وصيغ الإعلان بلغة مغرية مصورا أوضاع المعيشة على أنها أفضل من فيلنو وأن تسهيلات سكنية ستوفر للجميع، وعمل جينز بكل إجتهاد من أجل تنفيذ خطة كوفنو، وتطوع الكثيرون من الضحايا الأبرياء السذج للإنضمام إلى قافلة كوفنو فتسلق القطارات ما يبلغ مجموعه نحو خمسة آلاف يهودي،

274 Uncy Dawidowisz Page 390

275 Underyround (The Story of a People) By Joseph

ولكن سرعان ما إتضح أن القطارات إتجهت إلى (بوناري) بدلا من كوفنو وأفرغت حمولتها هناك حيث تم قتل الضحايا بالمدافع الرشاشة بينما تمكن البعض من الفرار ورووا قصتهم.[276]

ثالثا: موسى ميرين (مونيك) (Moshe Merin):

بالرجوع إلى الموسوعة اليهودية نجد أن التعريف بهذا الزعيم الصهيوني جاء بأسلوب مغلف بحيث لم يتمكن واضعوا هذه الموسوعة من إخفاء حقيقته لكنهم لم يشيروا بشكل واضح إلى إدانته وإن إعتبروا أن ما قام به من أعمال إنما يرجع إلى رغبته في إنقاذهم. تقول الموسوعة.[277]

(كان ميرين المسؤول الرئيسي لمجلس الكبار في سوسنوفيك وقد مارس ضغطا حازما على الشؤون الداخلية اليهودية وتمتع بصلاحيات واسعة، وكان الزعيم الدائم لإستراتيجية (إنقاذ اليهود) وذلك بأن زود النازيين - بشكل طوعي- بفرق من الضحايا حتى يعطي للآخرين الحظ في النجاة، وقد طبق سياسته هذه إلى آخر مدى، فكان متعاونا متحمسا مليئا بالنشاط، وبالإضافة إلى ذلك شغل منصب قائد الشرطة في الجيتو).

إن الإشارة إلى تطوعية ميرين وقيامه بأعماله الخاصة بتسليم الضحايا للألمان، تفند النظرية الصهيونية القائلة بأن أمثال هؤلاء كانوا مجبرين على قيامهم بأعمالهم. يضاف إلى ذلك فإن أي حديث عن الإنقاذ -إنقاذ البقية- أمر لا يحتاج إلى جدل، لأن الموسوعة نفسها تؤكد أن الجيتو الذس ترأسه ميرين قد تمت تصفيته بشكل نهائي في أيار من عام 1943، وبعد أن كدس فيه عدد ضخم من اليهود جيء بهم من المناطق المجاورة.[278] وهذا بمعنى أن موضوع الإنقاذ لم يكن ليخطر بهن هؤلاء الزعماء. ولذلك فإننا نستطيع الإعتماد على رواية المصادر اللاصهيونية التي تحدثت بإسهاب عن ميرين وعن نشاطاته في الجيتو. يقول بهذا الصدد الحاخام شونفيلد[279] أن ميرين نصب من قبل النازيين إمبراطورا لجميع الكبار في جيتو سوسنوفيك وتولى بنفسه

276 Underyround (The Story of a People) By Joseph Tenenboum NewYork 1952 , Page 344 , 345

277 الموسوعة اليهودية - مجموعة رقم 13 صفحة 763

278 الموسوعة اليهودية - مجموعة رقم 13 صفحة 763

279 Shonfield , M . Page 119

تعيين قادة هذه المجالس في كل مكان ولكل جالية، واختار هؤلاء القادة من أصدقائه في الفكر من المعسكر الصهيوني. وقد نصت الخطة النازية التي إعتمدت في سوسنوفيك على أن المصير الشخصي لكل يهودي حياة كان أو موتا سيترك حصرا لقرارات مجالس الكبار.

إستطاعت إحدى لجان الإنقاذ الموجودة في سويسرا الحصول على جوازات سفر مزورة من بعض بلدان أمريكا اللاتينية وبصورة خاصة من بنما، وتشهد هذه الجوازات أن حامليها مواطنون أجانب وأن على السلطات حماية أرواحهم. إكتشف ميرين هذا الأمر وحذر لجنة الإنقاذ بأن تكون إتصالاتها محصورة به فقط. وفي نفس الوقت كشف الألمان زيف المواطنين حاملي الجنسيات من أمريكا. فتصرف الألمان بناء على معلوماته وأرسلوا جميع حاملي هذه الجوازات إلى مصيرهم، إلا أن حكومات أمريكا الجنوبية إحتجت لدى الحكومة الألمانية وطالبتها بمعرفة مصير مواطنيها المشار إليهم والإفراج عنهم ثم إطلاق سراحهم لعودتهم إلى بلادهم، الأمر الذي سبب للألمان فضيحة دولية لم يتوقعوها، فحنق الجستابو على ميرين الذي كان السبب في هذه الفضيحة وأرسلوه إلى معسكرات الإعتقال حتى لاقى مصيره كخائن هناك.

في شباط فبراير سنة 1943 طالب النازيون مجلس الكبار بتسليم ستة آلاف وثلاثمائة يهودي من بياليستوك فامتثل المجلس اليهودي للأمر وأعد القوائم بأسماء أشخاص كل خطيئتهم أنهم من اللاجئين الذين فروا إلى بياليستوك من الجيتوات الإقليمية المدمرة. وتم ترتيب الصفقة في سرية مطلقة وبدون أي إنذار أو تلميح من بازار أو الأعضاء الآخرين في المجلس اليهودي للمكان الذي ينتظرهم إلا أن مجموعات من المقاومة المسماة (الكتلة الموحدة المناهضة للفاشية) علمت بالأمر فمنعت الأشخاص المدرجة أسماؤهم من الذهاب أو الإمتثال للأمر. مما جعل الجميع يقفون صفا واحدا ضد النازيين وضد الترحيل.

رابعا: ألفرد نوسغ (Alfred Nosseg):

ولد نوسغ عام 1864 وقتل في جيتو وارسو عام 1943. كاتب، نحات، موسيقي، صهيوني، شارك في المؤتمر الصهيوني الأول واختلف مع هرتزل، أسس عام 1908 ما يسمى منظمة الإستعمار اليهودية. بعد إحتلال النازيين لبولونيا وإقامة جيتو وارسو، قام نوسغ برسم خطة للهجرة اليهودية، وقدم مذكرة

بهذا الشأن إلى السلطات الألمانية وقد سمي عضوا في اليودنيرات في وارسو ورئيسا لدائرة الفنون.[280] تلك بعض المعلومات التي أشارت إليها الموسوعة اليهودية، إلا أن موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية أضافت إلى ذلك قولها أن نوسغ وضع خطة لإبادة اليهود الألمان المسنين والفقراء.[281]

تحت عنوان (شيخ الخونة) كتب المؤلف السوفييتي س. سولودار في كتابه العشب الطفيلي ما يلي: (عندما تتحدث مع المواطنين البولونيين اليهود عن العون المباشر الذي كان يقدم للنازيين لإخماد المقاومة بقسوة ووحشية، فإنهم يذكرون النشاط الخياني للمنظمة الصهيونية (فاكيل) إذ أن أعضاء هذه المنظمة لم يشعلوا نار حرب فدائية ضد المحتلين بل كانوا يشعلون الحرائق في المدن بتدبير من الفاشيين بالإضافة إلى أنهم نفذوا بحماس مهمات تجسسية وتخريبية لصالحهم وكان أبرز العاملين النشيطين في هذه المنظمة ألفرد نوسغ الذي كان يدعو يهود وارسو لإستعمار الأراضي الفلسطينية ثم يكتشفون أنه أصبح خادما أمينا للجستابو، وليس من قبيل المصادفة أن يحصل نوسغ في أحلك أيام الإحتلال الفاشي على ترخيص بالتجول في كل أنحاء محافظة وارسو الكبرى. هذا التجول ساعده على التغلغل في صفوف المقاومة السرية وفصائل الأنصار، وفي نفس الوقت كان يجمع المواد الإحصائية الخاصة بخطة سرية مع الجيتابو وتقضي هذه الخطة بالأساس بإبادة اليهود المرضى والمسنين والفقراء في الجيتوات ومعسكرات الإعتقال إذ لا فائدة من النضال من أجل إنقاذهم إذا ذهبوا إلى فلسطين لانهم سيصبحون عبئا على الصهيونيين وكلما كانت الأرقام التي يقدمها أكبر إستفاد من إنقاذ بعض اليهود الذين تعول عليهم الدولة اليهودية المستقبلية. إن الأعمال التجسسية التي قام بها نوسغ وكذلك خطته التي قدمها للألمان لم تكن خافية على منظمات المقاومة اليهودية ولم تكن خافية على جميع نزلاء جيتو وارسو الذين أصبح غضبهم بلا حدود مما جعل هؤلاء يقبضون عليه بمجرد ظهوره في الجيتو ويسلمونه لمحكمة الثورة.[282]

280 الموسوعة اليهودية - مجموعة رقم 12 صفحة 1229

281 د. عبد الوهاب المسيري صفحة 401

282 س. سولودار ، ترجمة مؤقتة صفحة 54 ، 55

إن جميع المصادر التاريخية تشير إلى محاكمة نوسغ من قبل سكان جيتو وارسو وإعدامه شنقا إلا الموسوعة اليهودية التي تقول أنه أغتيل على يد أعضاء منظمة الدفاع اليهودية محاولة منهم في بذر الشكوك حول تجريم نوسغ بالتهم التي وجهت إليه مهملة الإشارة إلى المحاكمة العلنية التي لا يزال يذكرها كل الأحياء الباقين من يهود وارسو.

خامسا: رودلف كاستنر -إسرائيل- ريزو (Rodolf Kastner):

صحفي محامي، قائد الحركة الصهيونية في روما وهنغاريا، ولد في كلوج ترانسلفانيا (أصبحت فيما بعد قسما من رومانيا) سنة 1906 درس القانون سنة 1925، شغل منصب نائب رئيس منظمة الصهيونية الهنغارية في بودابست ثم رئيسا للجنة الإنقاذ. كان على صلة مع المخابرات العسكرية والمخابرات الألمانية التي وصلت هنغاريا قبل الإحتلال النازي لها. وبعد الإحتلال كان على صلة مع أدولف آيخمان. وفي الفترة من 21 آب عام 1944 حتى نيسان سنة 1945 زار ألمانيا عدة مرات، وزار سويسرا خمس مرات وأجرى إتصالات مع ممثلي اللجنة الأمريكية اليهودية المشتركة للتوزيع، ومع ممثلي الوكالة اليهودية.

وبعد الحرب إنتقل إلى إسرائيل وشغل منصبا حكوميا وأصبح عضوا نشطا في حزب الممباي وقام بتحرير جريدة الممباي الأسبوعية الناطقة باللغة الهنغارية، قدم للمحاكمة في القدس بتهمة التعاون مع النازيين وتهمة أخرى تتعلق بتدخله لدى محكمة نورنبرغ لصالح أحد الضباط النازيين (بسنجر). وقد وجد كاستنر مذنبا ... وبتاريخ 1957/3/3 أقدم شاب يدعى (زئيف ايكشتاين) على قتله في الطريق بعد أن مكث تسعة أيام في المستشفى إلا أن المحكمة العليا ألغت بتاريخ 1958/1/17 قرار المحكمة البدائية وبرأت ساحة كاستنر من كل التهم التي وجهت إليه وأعادوا إليه إعتباره.

تلك هي المعلومات التي وردت في الموسوعة اليهودية، وهي معلومات مشوبة بكثير من التشويه.[283]

---

283 الموسوعة اليهودية - المجموعة رقم 10 صفحة 814

يعود الفضل في كشف جانب من تاريخ الحياة اليهودية في أوروبا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية إلى قصة رودولف كاستنر. ويعود الفضل في كشف قصة كاستنر إلى يهودي هنغاري مسن فقير صاحب فندق صغير في القدس صمم على أن يهب كل ما يملك من جهود وإمكانات من أجل فضح رودلف كاستنر وتعرية موقفه المخزي أمام الرأي العام الإسرائيلي. إنه جرينولد. لقد بدأ هذا مسيرته الطويلة حسب أسلوبه الخاص وذلك بإصدار نشرات منظمة متسلسلة يشرح لقرائه تاريخ كاستنر وأفعاله في هنغاريا وتواطئه مع النازيين ضد إخوانه اليهود. إلا أنه ووجه بلا مبالاة مغرقة من الجميع، لأن ما يكتبه لا يمكن أن يصدقه عقل. فظن الناس أن جرينولد مجنون لأنه يكتب كلاما أقل ما يقال فيه أنه لا يمكن تصديقه. هكذا أعرض عنه الجمهور، واستمر بإصدار نشراته بانتظام وبدون ملل أو كلل، إلى أن وصل العدد بنشراته المتسلسلة إلى الرقم واحد وخمسين هذا العدد لفت نظر ماحام شاب، أثار فيه حب الإستطلاع، والبحث عن الحقيقة. كان هذا المحامي شمويل تامير الذي أصبح فيما بعد وزير العدل في حكومة بيغن.

لقد جاء في النشرة -رقم -51 من نشرات جرينولد ما يلي: (من أجل من ولصالح من توجهت يا دكتور كاستنر متسترا تحت جنح الظلام إلى نورنبرغ تشهد مدافعا عن الكولونيل في الصاعقة النازية (كورت بينجر) قاتل اليهود. الرجل الذي ولغ دماء إخوتنا في هنغاريا؟ لماذا أنقذته من حكم الإعدام الذي إستحقه بجدارة تامة؟ لقد ذهبت إلى نورنبرغ لإنقاذ قاتل اليهود بالجملة ... من حرضك على هذا؟ ما هي الإتفاقية بين بينجر وهذا الرجل الذي إتهمه بالتعاون مع النازية؟ هذا الرجل كاستنر الذي رفعه حزب الممباي إلى موقع الصدارة بين كبار مسؤوليه. لقد كلفتنا نتيجة أعماله في بودابست أرواح مئات الألوف. إننا نطالب بتشكيل جهة شعبية نزيهة للتحقيق معه، لا بد من طرد كاستنر من الحياة الإجتماعية والسياسية في هذا الوطن. سأستمر في الإصرار على رفع هذه المطالب حتى يقضي على الشر).[284]

تمعن تامير في النشرة فلم يجد فيها ما ينفي الإتهام وهدف الإتهام. ففي القانون الإسرائيلي نص على جريمة واحدة تستحق الإعدام. إنها التعاون مع النازي خلال مرحلة إبادة اليهود في أوروبا.

284 Ben Hecht , Page 45

ولكن التهمة الموجهة إلى كاستنر لم تكن التعاون مع النازية أثناء الإحتلال فحسب، بل أمعن في غيه واستمر في خطته، واستكمل عناصر تعاونه بوضع نفسه تحت تصرف محكمة نورنبرغ لينتشل من براثن الموت أحد مجرمي الحرب وهو كورت بينجر.

في المحكمة التي ترأسها القاضي الإسرائيلي (هاليفي) بدأ كاستنر يتحدث عن هنغاريا ويهودها وآيخمان وبينجر وكرومي (أصدقائه النازيين) وعن الصفقة التاريخية التي تسميصفقة الشاحنات. وعن كلوج قريته الصغيرة القريبة من الحدود الرومانية، هذه القرية التي إصطفى كاستنر من أهلها ثلاثمائة شخصا هم خلاصة أقربائه وأصدقائه وأقرانه ليرحلهم إلى خارج الحدودو الهنغارية (وهم في الواقع حصيلة ما قام به من عمل سماه إنقاذ اليهود) وذلك بموافقة آيخمان مقابل إستمرار المفاوضات حول صفقة الشاحنات.[285] ومن خلال هذه الإفادة برزت في ذهن المحامي تامير جملة أسئلة كان عليه أن يجد لها أجوبة سواء من كاستنر أم من الشهود الآخرين: لماذا فضل الألمان كاستنر على غيره؟ ولماذا يقيمون أي إعتبار له وهم قتلة اليهود؟ ولماذا يسمحون له دون غيره أن لا يضع شارة اليهود (نجمة داوود) على منزله في بودابست؟ ولماذا إستثنوه من وضع هذه النجمة على صدر معطفه؟ ولماذا أبقوا له الهاتف في منزله في الوقت الذي منعوا أي إتصال على أي يهودي؟ ولماذا أبقيت له سيارته يتنقل فيها بكامل حريته إلى فيينا وحتى برلين؟ لماذا يعاملونه وكأنه يمثل دولة محايدة عظمى؟ وما هي الفائدة الممكنة التي يقدمها كاستنر مسؤول الوكالة اليهودية إلى الألمان؟

لقد كان جواب هذه الأسئلة جميعا كلمة واحدة وهي أن رودلف كاستنر كان ثمينا عند النازيين لأنه عاونهم على ذبح اليهود.[286] إلا أن السؤال الذي بقي فترة طويلة محيرا للأذهان هو إصرار كاستنر على التدخل من أجل حماية بينجر من المقصلة في الوقت الذي لم يكن مجبرا على ذلك ولم يخضع لأي ضغط كان، إذ أنه في ذلك الوقت كان في إسرائيل، وليس تحت ضغط النازيين -إذا إفترضنا أنه قام بأعماله الأخرى تحت الضغط- وفي المحكمة إستدرج تامير كاستنر ليعرف منه الحقيقة، وبعد إنكار ونفي شديدين ومواجهته

285 Ibid Page 61

286 Ibid Page 63

بكثير من الأدلة والوثائق إعترف كاستنر بالحقيقة كاملة وسردها على مسامع القضاء والناس.

ونقطة البداية كانت على شكل قنبلة وهي الإفادة المكتوبة التي قدمها كاستنر إلى المحكمة والتي تلاها تامير على مسمعه مرة أخرى وهي كما يلي: (أن الموقع أدناه الدكتور رودلف كاستنر أود تقديم لبيان التالي وأضيفه إلى إفادتي المقدمة سابقا إلى المحكمة الدولية في (نورنبرغ) تحت رقم (2605) الخاصة بالجنرال كورت بينجر: ليس هناك أدنى شك أن الكولونيل بينجر هو واحد من القلائل جدا من قادة الصاعقة الألمانية الذين تحلوا بالشجاعة لمعارضة برنامج إبادة اليهود والذين حاولوا إنقاذ أرواح بشرية. ونظرا لعلاقتي الشخصية معه خلال الفترة من حزيران سنة 1944 حتى نيسان سنة 1945 أرجو أن أبين على ضوء ملاحظاتي الشخصية أن بينجر فعل كل ما يستطيعه ضمن حدود إمكاناته لإنقاذ أرواح البشر البريئة من الطغيان الأعمى الذي يسيطر على قادة النازية. ولذلك رغم تعارض شكل وأساس المفاوضات بيننا، فإنني لم أشك لحظة واحدة بحسن نواياه. وبرأيي فإنه يستحق كل تقدير ممكن عندما يقدم للمحاكمة أمام السلطات الحليفة أو الألمانية. إنني أقدم هذا البيان باسمي الشخصي فقط وليس أيضا نيابة عن الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي). (التوقيع رودلف كاستنر الرئيس السابق للمنظمة اليهودية في هنغاريا 1943 - 1945، ممثل لجنة التوزيع المشتركة في بودابست).

لقد أكد كاستنر للمحكمة أنه مخول من قبل الوكالة اليهودية والمجلس اليهودي العالمي بالإدلاء بشهادته هذه. فقد أذن له كل من (دوبكين وبارلاس) من الوكالة اليهودية و(بينجر) ممثل المجلس اليهودي العالمي في أوروبا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان مثول كاستنر أمام محكمة نورنبرغ بناء على طلبه وبرغبته الكاملة دون أي ضغط من أحد. وهذا ما أكده (والتر راب) الكولونيل في الجيش الأمريكي والمستشار القانوني لوزارة الخارجية ورئيس دائرة الأدلة في محكمة نورنبرغ ونائب الجنرال (تايلدر) رئيس القضاة الأمريكيين في نورنبرغ. إذ قدم وثيقة للمحكمة الإسرائيلية تثبت أن كاستنر وصل إلى نورنبرغ متطوعا للشهادة لصالح الكولونيل بينجر.[287]

Ben Hecht Page 63 287

لماذا هذا الإصرار من قبل كاستنر ليتحمل كل هذه المسؤولية الضخمة التي تكلفه حياته ويغار بتقديم الشهادة هذه لصالح بينجر -وهو الحر الطليق من كل قيد- لا بد أن للنازيين عليه مستمسكات تفرض عليه ذلك -إن تعاون كاستنر مع الألمان تتجلى في الأساس في نقطتين إثنتين:-

1. أنه تعهد لهم بأن يخفي على يهود هنغاريا أخبار معسكرات الإعتقال والترحيل والإبادة وغيرها، وان يضمن لهم هدوء وسكوت هؤلاء حتى يصلوا إلى المصير المرسوم لهم، وهذا ما أكده آيخمان في محاكمته في القدس إذ قال: (كنت أعرف أنني بحاجة إلى قوة منظمة ومتماسكة مثل لجنة بودابست اليهودية، ولم يكن بالإمكان تهجير اليهود بالشكل الذي تم عليه لولا أن صحيفتهم كانت لا تكف تكرر (من الضروري طاعة الألمان .. وحينذاك لن تكون هناك أية مصاعب ..) كان لدى عدة دزينات من الضباط وضباط الصف وأقل من ثلاثمائة عنصر من الـ (ss)، ولولا اللجنة اليهودية لما تمكنت من عمل أي شيء ولحلت الفوضى التامة).[288]
2. أنه إكتفى من إنقاذ اليهود بـ (338) شخصا هم أقربائه وأصدقائه ومعارفه وقد إختارهم شخصيا. ومعظمهم من أهل بلدته كلوج التي كان يقطنها عشرون ألف يهودي. ولو أراد إنقاذ جميع هؤلاء لأمكنه ذلك، إذ يكفي أن يشير إليهم بترك القرية واجتياز الحدود الرومانية التي لا تبعد أكثر من ثلاثة كيلو مترات عن هذه القرية، إلا أنه آثر الصمت إلتزاما بتعهده للنازيين بأن يظل صامتا.

هاتان النقطتان كانتا سيفا مسلطا على رقبة كاستنر لو تباطأ في القدوم إلى محكمة نورنبرغ لإنقاذ رقبة بينجر. وحيث أن كاستنر لم يكن يعمل بمفرده وأنه كا يتلقى تعليمات زعماء صهيون في فلسطين، فقد شجعه هؤلاء على المضي في طريقه وخولوه تقديم الشهادة بصفاته الرسمية الكثيرة المشار إليها.

ونقطة ثالثة بقيت ضمن الأسرار التي لم تكشف حتى الآن، وهي أن كاستنر كان يرغب في أن يقتسم مع بينجر الأموال الطائلة التي إغتصبها من اليهود، وأنه إستطاع فعلا بعد إجتماع منفرد عقده معه في نورنبرغ أن يقنعه بتقديم

288 برودسكي وشوليستر صفحة 152

نصف هذه الأموال لحزب المباي مقابل أن يقدم له الشهادة المطلوبة. وبعد ست ساعات خرج كاستنر من غرفة بينجر إلى المحكمة ليقدم هذه الشهادة ويحصل لحزب العمل على نصف أموال بينجر. إذ لم تكن القضية إلتزاما فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك صفقة طرفها الأول بينجر وطرفها الثاني حزب العمل الإسرائيلي الذي يقود الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت ممثلا برودلف كاستنر.

فبعد أن قامت جميع السلطات وجميع القادة الإسرائيليين بالتعتيم على الحقيقة لصالح كاستنر تقدم هذا الرجل العجوز (جرينولد) لإماطة اللثام عنها. بماذا يمكن أن نفسر تصرفهم هذا؟ لقد كان من واجبهم حمايته حتى لا يكشف جميع الحقائق التي يعرفها عن تعاون من نوع آخر تعاون الوكالة اليهودية مع البريطانية. هذا التعاون الذي عرقل إنقاذ يهود أوروبا وساهم في إبادتهم.[289]

وأخيرا صدر الحكم ببراءة جرينولد من تهمة القذف ضد كاستنر. وثبن أن جرينولد كان بريئا من كل التهم التي وجهها إليه باستثناء التهمة الخاصة بقبض أموال من النازيين مقابل مساعدته لهم في خطة الإبادة. وانتهى دور جرينولد كمتهم ليحل محله كاستنر. فبعد أن كان شاهدا في القضية الأولى أصبح متهما في القضية الثانية.

بعد صدور الحكم قامت ثورة صحفية في (إسرائيل) بعض الصحف أيدت القرار وطالبت بمزيد من كشف الحقيقة، وطالبت بتقديم كاستنر وغيره للمحاكمة والبعض الآخر (المؤيد للحكومة) إعتبر القضية كلها مهزلة بطلها تامير. ولكن كان أبرز التعليقات الصحفية ما ورد في جريدة كوهاعام التي قالت: كل من له قريب ذبحه الألمان لابد أن يعرف الآن أن أياد يهودية ساعدت على هذا القتل الجماعي.

لم يكتف كاستنر بمحاول إنقاذ بينجر بل عمد إلى إنقاذ نازي آخر هو (فون ويسليزني) الذي إعتقله السلوفاك ليحاكموه عن جميع نشاطاته السابقة، وكانت الطريقة الوحيدة لإنقاذه هي نقله من أيدي السلوفاك إلى

Ben Hecht Page 172 289

أيدي الأمريكان. فكتب كاستنر إلى السلطات الأمريكية في نورنبرغ ما يلي: (أعتقد أنه من المناسب أن تقوم الولايات المتحدة بمحاكمة أمثال هؤلاء الناس لأن الدول التي كانت تابعة لألمانيا تورطت في الأعمال المعادية لليهود، ولذلك لن تكون قادرة على القيام بهذه المحاكمات، ولكن السلوفاك الذين كانوا يعرفون تصرفات ويسلزني لم ينتظروا وصول الأمريكان وأجهزوا عليه.[290]

كان الرفيق الثالث لكاستنر هو الضابط الألماني (كرومي) المعتقل لدى الأمريكان والذي كان ينتظر منه الغوث والنجدة فأرسل له رسالة يقول فيها: (عزيزي شديد الإحترام السيد كرومي .. لقد أرسلت تقريرا إلى مؤتمر المجلس الصهيوني في بال بينت فيه رسميا وأوضحت العمل الذي قام به الذين ساعدوا اليهود .. أرجو أن تثمر جهودي المبذولة لصالح تمكينك من إسترداد حريتك وأن تبدأ حياة جديدة على أسس جديدة، وسأبذل جهدي لمعونتك في هذا المجال .. مع تحياتي القلبية ... رودلف كاستنر.[291]

في الثالث من آذار سنة 1957 أطلق شاب النار على كاستنر فأصابه إصابة قاتلة،[292] نقل على أثرها للمستشفى حتى أمكن إنقاذ حياته ولكنه بعد أسبوع فارق الحياة بعد أن تحسنت صحته وتماثل للشفاء وتجاوز مرحلة الخطر .. الشاب الذي أطلق النار إسمه (زئيف اكشتاين)، وكان مخبرا سريا في المخابرات الإسرائيلية حتى عدة أشهر قبل قتله لكاستنر. حكم عليه بالسجن المؤبد. وحفظت القضية ... قضية كاستنر.

---

290 Ben Hecht Page 183

291 Ben Hecht Page 197

292 برودسكي وشوليستر صفحة 150

الفصل الرابع

الأغيار (غوييمي) (Gentiles)

غوييم كلمة عبرية تعني الأغيار للدلالة على الآخرين من غير اليهود سواء أكانوا دولا أم أفرادا. ولا نقول شعوبا. بالرغم من أن الحركة الصهيونية تستعمل كلمة (الشعب اليهودي) لإعتقادها أن أتباع الدين اليهودي يشكلون شعبا متكامل الصفات والخصائص متميزا عنصريا عن غيره من الشعوب الأخرى. وغوييم كلمة تعبر عن الوضع النفسي الذي عانى منه اليهود والعزلة التي فرضت عليهم والتي كرستها الجيتوات ذات الأسوار والأبواب الضيقة. وقد تمكنت الحركة الصهيونية من إستغلال هذا الوضع لإقناع اليهود باستحالة الحياة مع الآخرين (غوييم)، الأغيار، (Gentiles) وأنه لا بد من البحث عن وطن مستقل باليهود ولليهود.

ولما كانت كلمة (الشعب اليهودي) ذي الأصل السامي لا تعبر علميا عن وجود مثل هذا الشعب بالمعنى المصطلح عليه لهذه الكلمة، فإن اليهود يعتبرون جزءا من الشعوب التي عاشوا بينها ولا يختلفون عنها سوى بالمعتقد والدين مثلهم في ذلك مثل سائر الشعوب المختلفة في الدين والمعتقد. ولقد نقض الكاتب الصهيوني آرثر كوستلر فكرة الأصل السامي الموحد لليهود وذلك في كتابه (The Thirteenth Tribes).[293] مشيرا إلى أن أصل معظم يهود أوروبا الشرقية والغربية هم من بقايا دولة الخزر التي تهودت مع مليكها في القرون الوسطى، وأن هؤلاء اليهود يشكلون النسبة العظمى من يهود العالم في الوقت الحاضر.

ومع ذلك يصر زعماء الحركة الصهيونية على تمييز اليهود من غيرهم. ويعتبرون كل من ليس يهوديا هو من الأغيار (غوييم) أيا كان الشعب الذي ينتمي إليه أو الدين والمعتقد الذي يمارسه، حتى يستمر الشعور لدى اليهودي بالعزلة التامة عن الآخرين، ويؤمن بالدعوة الصهيونية التي ترفض فكرة الإندماج وتدعو اليهود للهجرة.

---

293 إمبراطورية الخزر وميراثها - تأليف آرثر كوستلر ، إصدار فلسطين المحتلة 1979

لذلك ونحن نعالج المشكلة اليهودية إبان الحرب العالمية الثانية، ونحلل الموقف النازي والصهيوني من اليهود، نجد لزاما علينا أن نتعرف إلى موقف الآخرين من هذه المشكلة خصوصا وأن اليهود، طيلة أيام الحرب، كانوا بحاجة ماسة لمن يساعدهم ويخفف من آلامهم. ومن هنا فإننا سنبحث في هذا الفصل موقف الدول الأخرى، تلك التي كانت أو لم تكن طرفا في النزاع، الدول التي لعبت دورا إيجابيا أو سلبيا تجاه هذه المشكلة. على أن نستثني كل الدول التي كانت تدوربفلك ألمانيا أو تلك التي تبنت أفكارها النازية الفاشية بطريقة أو بأخرى، لأن الحديث عن هذه الدول لن يضيف شيئا إلى ما ذكرناه في الفصول السابقة، إلا أن هذا الإستثناء لا يمنع من الإشارة إلى موقف الإمبراطورية اليابانية المثير للدهشة من اليهود، هذا الموقف المعبر عن نظرة إستعمارية في إستغلال اليهود كعنصر بشري فعال لتحقيق أهداف الإمبراطورية اليابانية بإقامة دولة أو ما يشبه الدولة في منطقة منشوريا لتشكل حاجزا يحمي اليابان من الصين، ويساعدها في إستغلال ثروات هذه المنطقة الطبيعية ونهب خيراتها وسلب مواردها.

إن الإعلام الغربي والأمريكي بصورة خاصة صور المشكلة اليهودية إبان الحرب العالمية الثانية على أنها نموذج وحيد وفريد للهجمة النازية، وقد قصر أبعاد هذه الهجمة على مأساة اليهود فقط وأعطاها حجما مضخما، وقدم صورة مشوهة عن جزء من الحقيقة بعد أن أهمل الأجزاء الأخرى التي تكمل خارطة الوضع الدقيق في تلك الحقبة من الزمن. وإذا إفترضنا -جدلا- أن ما حصل على أيدي النازيين هو حقيقة لا تشوبها أية شائبة، وأن ملايين اليهود قد قتلوا أو شردوا فإن السؤال الذي يطرح نفسه بشكل ملح، هو موقف الغرب الحقيقي من هذه (المأساة). كيف تصرف وما هي المساعدات الفعلية التي قدمها لليهود من أجل حمايتهم. وفي نفس الوقت لا بد أن نعرف موقف الشرق. وموقف الآخرين القادرين على التأثير سلبا أو إيجابا. وأخيرا ما هي الدوافع التي جعلت هؤلاء يتصرفون بهذا الشكل أو بذاك.

وبذلك فإن أقسام هذا الفصل ستكون على النحو التالي:-

- القسم الأول: جوهر الإمبريالية واحد وإن إختلفت المظاهر.
- القسم الثاني: نظرة أمريكية ونقيضها إلى المسألة اليهودية.
- القسم الثالث: اللاسامية .. في وطن الساميين؟
- القسم الرابع: الأمية تنفي العنصرية.

القسم الأول

جوهر الإمبريالية واحد وإن إختلفت المظاهر

لا يمكن أن تكون الإمبريالية مؤسسة إنسانية ولا تستطيع أن تكون كذلك، لأن الغاية عندها تبرر الواسطة، وفي سبيل تحقيق أهدافها فهي على أتم الإستعداد أن تدوس كل الشعوب الصغيرة والعاجزة.

مع تكون الدول القومية في أوروبا، ونمو علاقات الإنتاج الرأسمالية في بلدان مختلفة من القارة، برزت الحاجة إلى المواد الخام الأولية وإلى الأسواق الخارجية. وصار للبلدان الرأسمالية مصالح حيوية ومجال حيوي فيما وراء البحار. وفي تلك المرحلة عرف العالم ظاهرة الإستعمار، ومع نهايات القرن الماضي تطورت الرأسمالية نحو مرحلتها الإمبريالية التي طورت أشكال وأساليب الإستعمار القديم، وتولت مهمة إمتصاص دم الشعوب وسلب خيراتها ونهب أموالها.

ولما كان الشرق الأوسط المعبر الوحيد إلى الشرق الأقصى -المجال الحيوي لدول أوروبا الإستعمارية -فقد أصبحت هذه المنطقة- الشرق الأوسط- محط أنظار كل الدول الإستعمارية لتضمن بوساطتها توفير إتصالات قوافلها، وبات توفيرها كعقدة مواصلات الشغل الشاغل لصانعي السياسة في تلك الدول. وبعد فشل الحروب الصليبية وعدم جدوى الأسلوب الإستعماري القديم الذي يعتمد الإحتلال العسكري والسيطرة والقمع. تفتق العقل الإستعماري عن أسلوب جديد يضمن بواسطته توفير هذه السياسة. وهذا الأسلوب مبني على الإستفادة من موجات الإضطهاد الموجهة ضد اليهود مع إغرائهم بالعودة إلى أرض الميعاد وبناء دولة إسرائيل في فلسطين، وتوفير الحماية اللازمة لهذه الدول من قبل الدول الإستعمارية الأوروبية. أي أنهم إتبعوا سياسة الترغيب والترهيب حتى يضمنوا تدفق سيول المهاجرين اليهود إلى تلك المنطقة وبالذات إلى فلسطين.

سيطرت هذه الفكرة على بعض دول الإستعمار منذ أواخر القرن الثامن عشر. وأول من نادى بها هو نابليون بونابرت الذي فشل أثناء إحتلاله لمصر ومحاولته إحتلال فلسطين، أصدر منشورا عام 1798 يدعو فيه اليهود إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين وفي عام 1799 أصثدر منشورا آخر يدعو فيه يهود أفريقيا إلى الإلتفاف حوله لإعادة بناء القدس القديمة. وفي عام 1860 أصدر (آرنست لهران السكرتير الخاص لنابليون الثالث إمبراطور فرنسا نشرة عنوانها (المسألة الشرقية) يدعو فيها اليهود إلى العمل لبعث وطنهم تحت الحماية المقدسة لفرنسا المحررة. وبعد ذلك بفترة قصيرة رعت الإمبراطورة (أوجيني) لجنة شكلت في باريس لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.[294]

ثم إنتقلت المبادرة إلى بريطانيا عقب إحساسها بخطر محمد علي باشا فأحدثت في القدس سنة 1839 قنصلية بريطانية، وهي أول قنصلية لدولة غربية في المدينة المقدسة وقد وضع اليهود تحت حمايتها، وفي عام 1840 دعا اللورد شافتسيري في تقرير له إلى إقامة حاجز بين الجزء العربي في أفريقيا والجزء الآسيوي عن طريق إقامة دولة تحت حماية إنكلترا. وفي 25 أيلول سنة 1840 قدمت مذكرة إلى بالمرستون وزير الخارجية البريطانية تتضمن خطة لإستعمار فلسطين، وفي آب عام 1840 وجه بالمرستون تعليمات إلى سفيره في إستنبول لتشجيع إقامة اليهود في فلسطين وذلك لمنع أية محاولة يقوم بها محمد علي باشا لتوحيد مصر وسورية.

لم يكن لقاء بريطانيا بأفكار الحركة الصهيونية ناجما عن نشاطات قادة هذه الحركة، إذ أن دعوة بريطانيا لإقامة وطن قومي يهودي سبقت كثيرا المؤتمر الصهيوني الأول، بل سبقت ميلاد تيودور هيرتزل نفسه، ولم يكن ناجما عن عطف إنساني على اليهود المضطهدين في أوروبا الشرقية، إن هذا التطابق في التفكير بين بريطانيا من جهة والحركة الصهيونية -التي جاءت متأخرة كثيرا على التفكير البريطاني- من جهة ثانية، يدفعنا إلى القول أن ساسة بريطانيا سعوا من جانبهم إلى خلق الصهيونية السياسية بعد أن أعيتهم السبل في حث اليهود على الرحيل إلى فلسطين بدون دافع آيدولوجي يثير حماستهم ويلهب عواطفهم وخيالاتهم. والذي يؤكد هذا الإتجاه أن قادة

294 تطور الحركة العمالية الفلسطينية منذ عهد الإحتلال وحتى سنة 1980 - لجنة الدراسات الفلسطينية - دمشق 1980 صفحة 16

الحركة الصهيونية أعلنوا فيما بعد وبكل وضوح أنهم راغبون في خدمة المدنية الأوروبية وأنهم قادرون على ذلك عندما يطلب عونهم. وعودة إلى هيرتزل الذي قال: (فيما يتعلق بأوروبا فإننا سنكون هناك (في فلسطين) حاجزا ضد آسيا، وديد بانا متقدما يحمي المدنية ضد البربرية. وسنبقى على علاقاتنا الثابتة مع أوروبا، ولكن عليها أن تضمن وجودنا).[295]

وفي عام 1877 نشر الدبلوماسي البريطاني جيمس نيل كتابا بعنوان (النزوح إلى فلسطين أو جمع شمل إسرائيل المشتته) قال فيه أن إحتمال إمكانية إستيطان أرض فلسطين من قبل الإنكليز بنفس النجاح الذي إستوطنوا به أمريكا الشمالية بعيد جدا بسبب حرارة الجو والصعوبات التي يقيمها العرب والإفتقار إلى حماية فعالة، لذلك، فهو يقترح أن يستخدم اليهود لتحقيق ذلك.[296]

ليست المصادفة هي التي وجدت بين أفكار المستعمرين البريطانيين وزعماء الحركة الصهيونية في العمل على إستعمار فلسطين بزرع اليهود فيها. وإذا كان هيرتزل يتحدث عن قيام اليهود بحراسة المصالح (الحضارية) الغربية. فإن (نيل) يرى أن التضحية باليهود من أجل القيام بهذه المهمة أقل تكاليفا من التضحية بغيرهم وأرخص ثمنا، لأنه يعرف سلفا الثمن الباهض الذي سيدفعه المستعمرون بسبب حرارة الجو والصعوبات التي سيقيمها العرب وانعدام الحماية الفعالة. إن هذا الثمن لا يستطيع أن يدفعه من حساب الأوروبيين المسيحيين، فلماذا لا يدفع من حساب اليهود؟ إن هذه الأفكار تذكرنا برسالة مونتاجو الوزير اليهودي في الوزارة البريطانية عندما اعلنت وعد بلفور، إذ قال أن الحكومة البريطانية، حكومة معادية لليهودية، عندما تطلب منهم الرحيل إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لهم.

في بداية القرن العشرين كانت بريطانيا تمثل أكبر إمبراطورية إستعمارية بين الدول الأوروبية وهي فرنسا وألمانيا وأسبانيا وبلجيكا وهولنده والبرتغال، وكانت هذه الدول لا تزال تتطلع إلى منافستها وتهديدها، الأمر الذي دفعها

295 Theodor Herzl Page 139

296 العرب واليهود في التاريخ - د. أحمد سوسه - دمشق سنة 1975 صفحة 583 - 584 أيضا إيفانوف يوري صفحة 45 ، 44

لتبحث عن جبهة إستعمارية موحدة تقطع الطريق على التنافس مثلما تقطعها على أية حركة وطنية يمكن أن تفيد من هذا التنافس. فوضعت لهذا الغرض مشروعا وافقت عليه فرنسا سمي هذا الإتفاق (الإتحاد الودي)، للتوسع في أفريقيا مما جمد بشكل غير مباشر إندفاع ألمانيا نحو القارة الأفريقية، وضرب من جهة أخرى نفوذ تركيا في شمال أفريقيا.

وفي عام 1907 سقطت وزارة المحافظين في بريطانيا وجاءت وزارة الأحرار برئاسة (كامبل بيرمان) رئيس الحزب الذي وافق على تشكيل جبهة إستعمارية موحدة من الدول ذات الأملاك والمصالح المتوافقة في العالم القديم، وقامت هذه الجبهة بين كل من بريطانيا وبلجيكا وهولنده والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا -باستثناء ألمانيا- على إعتبار أن صداقة هذه الدول وتعاونها يعتبر ضرورة للمصلحة البريطانية في وقف المد الإستعماري الألماني الجديد. لهذا الغرض شكلت لجنة من خبراء هذه الدول تتولى دراسة الإتفاق الودي كحلف جديد بأسبابه وأسسه وتكوينه وأهدافه ووسائله. وكان من بين أعضاء اللجنة مؤرخون وعلماء إجتماعيون وجغرافيون واقتصاديون ونفطيون وزراعيون وخبراء في شؤون الإستعمار. وكان هدف اللجنة كما حدده بنزمان هو إيجاد الأسباب والوسائل لمنع سقوط الإمبراطورات القديمة. وبعد الدراسة وضع التقرير المطلوب.

يقول تقرير كامبل بنزمان: (إن الخطر يكمن في هذه المنطقة بالذات، وبصورة خاصة في تحررها وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد إتجاهاتها لذلك فعلى الدول ذات المصلحة أن تعمل على إستمرار تأخرها وتجزئتها وإبقاء شعوبها مفككة جاهلة متناحرة. وعلينا محاربة إتحاد هذه الشعوب، وارتباطها بأي نوع من أنواع الإرتباط الفكري والروحي أو التاريخي، وإيجاد الوسائل العملية القوية لفصلها بعضا عن بعض. وكوسيلة أساسية مستعجلة ولدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي. واقترح لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للإستعمار عدوة لسكان المنطقة).

وفي نوفمبر سنة 1914 وجه حاييم وايزمان رسالة إلى رئيس تحرير صحيفة المانشستر جارديان يقول فيها: (انه إذا وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ

البريطاني، ثم شجعت بريطانيا إستيطان اليهود في فلسطين وإقامة مجتمع يهودي يعتمد على بريطانيا وأمكن إدخال مليون يهودي هناك في فترة تمتد من عشرين إلى ثلاثين عاما، فإن هؤلاء اليهود سيطورون هذا القطر ويكونون حرسا فعالا يحمي قناة السويس).[297]

وجاء في مذكرات تشرشل: (إذا أتيح لنا في حياتنا، وهو ما سيقع حتما أن نشهد مولد دولة يهودية ليس في فلسطين وحدها، بل على ضفتي نهر الأردن معا، تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحو ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي. فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الإتفاق مع المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية).[298]

لم يكن دافع الدول الإستعمارية تجاه اليهود دافعا إنسانيا بل لتأمين مصالح لتلك الدول وعلى حساب اليهود أنفسهم، فالدعوة لإقامة دولة يهودية في فلسطين هي أولا وآخرا دعوة إستعمارية، وأسلوب إستعماري محدث.

لذلك نرى هيرتزل يكمل النظرية الإستعمارية ذات المضمون الإقتصادي، عندما يتحدث -في دولته اليهودية- عن الهجرة الجماعية، ويرفض رفضا قاطعا فكرة الهجرة الفردية أو تلك التي تحت جنح الظلام. إن الهجرة الجماعية تعني أمرين إثنين: أولهما أن هذا النوع من الهجرة لا يتم إلا إذا حصل إضطهاد بموجات عامة وقاسية، وثانيهما لا بد من توفير نوع من الحماية للمهاجرين في المكان الذي سيصلون إليه، وهذه الحماية كما يراها هيرتزل تتم من قبل الغرب من خلال بسط سيطرته على المنطقة.

إن كتاب دولة اليهود -الذي يقال أن هيرتزل ألفه- لم يتطرق بالحديث بشكل أساسي إلا عن إنشاء شركة تجارية وجمعية تردف هذه الشركة بالأفراد وتقدم لها العمال والفلاحين الصالحين للخدمة والإستيطان. وهذا ما يفسر توجيه وعد بلفور في الثانيمن تشرين الثاني سنة 1917 إلى البارون روتشلد التاجر والمقاول وصاحب البنوك والمؤسسات المصرفية والشركات التجارية الضخمة وصاحب مشروع المستوطنات الزراعية الإقتصادية في

297 تطور الحركة العمالية الفلسطينية صفحة 24 ، 25 ، 26 ، وأيضا أحمد سوسة صفحة 585 ، 586
298 د. أحمد سوسه صفحة 584

شمال فلسطين. بينما لم يوجه هذا الوعد إلى حاييم وايزمان وإلى المؤتمر الصهيوني العالمي وإلى أية جهة ذات طابع عقائدي.

وفي الحرب العالمية الثانية لم تحرك بريطانيا ساكنا تجاه المحنة اليهودية، ولم تحاول أن تقدم أي عون ممكن لإنقاذهم، بل كانت تخفي المعلومات الأساسية التي وردت إليها عن هذه المحنة يضاف إلى ذلك أبوابها وأبواب معظم مستعمراتها كانت مقفلة بوجههم باستثناء أبواب فلسطين. إن كل ما فعلته بريطانيا بهذا الصدد هو موقف كلامي جاء على لسان رئيس وزرائها تشرشل في رسالة وجهها إلى آيدن قال فيها: (لا ريب أن هذه الجريمة تشكل على الأرجح أكبر الجرائم التي إرتكبت عبر تاريخ العالم كله وأشدها فظاعة، وقد إقترفته الآلية العلمية على أيدي أشخاص متحضرين شكليا باسم دولة عظيمة وباسم إحدى السلاسل العرقية القائدة في أوروبا. ومن الواضح تماما أن كل المتورطين في هذه الجريمة الذين قد يقعون في أيدينا بمن فيهم أولئك الذين أطاعوا الأوامر فقط ونفذوا أعمال سفك الدماء والقتل الجماعي، يجب أن يحكم عليهم بالموت بعد ثبوت إشتراكهم مع القتلة، ولهذا يتوجب في رأيي عدم إجراء مفاوضات من أي نوع بشأن هذا الموضوع. ويجب أن يكون هذا التصريح علنيا وهكذا يتوجب ملاحقة كل شخص له علاقة بالجريمة وإعدامه).[299]

ويعلق الكاتب راوول هيلبرغ على هذه الرسالة بقوله: (أنها تكشف قدرا كبيرا من أفكار رئيس الوزراء البريطاني تشرشل الذي لم يكن معنيا بسلامة اليهود بشكل خاص بل كان قلقا على سمعة الشعب الألماني، لأن المجرمين النازيين جلبوا الخزي على عرقهم).[300]

ومن هذا المنظور وضمن هذا المفهوم حاولت اليابان أيضا أن تلعب الدور نفسه بمصير اليهود وأن تستفيد من ظروفهم الدولية، ومن أجل أن تبني منهم وبهم حاجزا تسميه (دولة إسرائيل الآسيوية) تقوم في منطقة منشوريا الواسعة والغنية بالمواد الأولية والثروات.

The Dedtruction of the Europian By Raul Hilberg , London , 1979 , Page 727 299

Ibid Page 727 300

إن ما نقوله ليس من صنع الخيال والوهم وإنما هو خطة درست بعناية وإتقان وسرية على أعلى المستويات في طوكيو وحيكت خيوطها بمهارة وإتقان ووضعت كل مخططاتها موضع التنفيذ. لكن نشوب الحرب واشتراك اليابان فيها ضيع الفرصة النادرة التي لو نجحت لتغير وجه العالم.

صدر في كل من لندن ونيويورك في عام 1979 كتاب جديد ألفه حاخام يهودي إسمه فارمر توكاير وزوجته ماري سوارتز إسم الكتاب (Fugu Plan) (فوجو بلان) يروي قصة لم تعلن من قبل عن اليهود واليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية من قبل بريجيت شابرول ونشرت مجلة (لونوفل اوبزفاتور) بتاريخ 28 كانون الثاني سنة 1980 وعلى صفحاتها 56، 57، 58، 59، 60، بحثا مستفيضا عن هذا الكتاب الذي يتحدث عن مفاجأة تكاد تكون مفاجأة القرن الحالي.. (اليابان تتبنى اليهود لإقامة دولة يهودية في منشوريا).

تمكن الحاخام مارفن بفضل وزارة الخارجية اليابانية وشهادات الباقين على قيد الحياة، من الإطلاع على تفاصيل خطة فوجو التي كانت تهدف إلى إقامة دولة عبرية في منشوريا، ولو نجح هذا المشروع لكان وصل مئات الألوف من اليهود إلى شرقي آسيا ولما كانت وجدت بالتالي المشكلة الفلسطينية.[301]

301 The Fugu Plan , By Marvin Tokyar and Mary Suartz , Newyork and London 1979 , Page 94 , 95

القسم الثاني

نظرة أمريكية ونقيضها للمسألة اليهودية

لم نشر في القسم السابق إلى الموقف الأمريكي من المسألة اليهودية لأننا أردنا أن نفرد له قسما خاصا به، لخصوصية هذا الموقف وصفاته المتعددة والمتميزة. وحتى نزيل كثيرا من الأوهام العالقة حول طبيعة الصلة بين الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية التي يرى الكثيرون أنها بدأت بالفعل منذ الحرب العالمية الثانية ويعزون ذلك إلى الوقت الذي زاد فيه النفوذ الصهيوني في أمريكا إلى حد جعل ما يسمى بـ (اللوبي) قادرا على التأثير المباشر في السياسة الأمريكية وتوجيهها حسبما تمليه مصلحة الصهاينة هناك. لذا فإن أمريكا بريئة كل البراءة من كل مسعى سابق على هذا التاريخ لإقامة دولة يهودية في فلسطين في نفس الوقت الذي تبدو فيه المحامي البارع عن قضايا اليهودية في العالم، وبصورة خاصة يهود الإتحاد السوفييتي الذين لم تترك فرصة إلا وحاولت تشويه سمعة السوفييت تحت شعار حقوق الإنسان وحق الإختيار لليهود. لهذا رأينا أن نعطي الموقف الإمبريالي الأمريكي من القضية اليهودية حظا أوفر في البحث لنكشف كل جوانبه التي لا زالت أجزاء منها خافية أو غامضة حتى الآن.

ليس دقيقا ما يقال من أن أمريكا أقحمت نفسها على قضية فلسطين في الحرب العالمية الثانية فقط وأنها علمت متأخرة بمعاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور، وأنها لم تكن معنية بالشرق الأوسط وليس لها أية مصالح فيه، وأنها أعلنت موافقتها على وعد بلفور مجاملة لبريطانيا التي كانت في ذلك الوقت صاحبة اليد الطولى في كل قضايا المنطقة، وكانت صاحبة الكلمة الأولى.

مع مرور العقود الأولى للقرن التاسع عشر أخذت الولايات المتحدة تتحول إلى دولة تجارية كبرى تنافس الدول الأوروبية العريقة، وكان من الطبيعي أن

تقتفي أثر هذه الدول التي سبقتها وعلى وجه الخصوص بريطانيا. فنشأ في أواسط القرن التاسع عشر نوع من علاقة المشاركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا. وتمثل أحد أوجه هذه المشاركة بين الدولتين في السعي المشترك لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، أهم مفارق طرق التجارة في العالم.[302] ولم تتوان أمريكا عن تحريض الحركات الدينية المسيحية لإعادة بعث العهد القديم من الكتاب المقدس وإحياء فكرة إقامة دولة إسرائيل في فلسطين. وهذا ما أكده الحاخام اليهودي الأمريكي (يسرائيل غولدشتاين) في صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ 1976/7/8 حين قال: (لقد بعث مؤسس الكنيسة المورمونية جوزيف سميث تلميذه أورسون هايد إلى القدس من أجل تسهيل تحقيق نبوءة (بعث إسرائيل) وذلك في عام 1840، ومن بين كتب التوصية التي حملها معه هايد كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة وآخر من حاكم ولاية الينوي، وفي عام 1850 قام (وارد كريسون) وهو قنصل الولايات المتحدة بالقدس بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس، خصص لها ثروته الخاصة، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود، ولكنهم لم يستجيبوا له، رغم أنه تحول عن ديانته المسيحية إلى الديانة اليهودية).[303]

وبتاريخ 9 تموز سنة 1867 وجه مجموع المستوطنين الأمريكيين المقيمين في أو قرب مدينة يافا (سورية) رسالة إلى السيدين هـ . ب فسندون ولوط . م . موريل عضوي الكنغرس الأمريكي يشرحون فيها وضعهم، ويطالبون التدخل لدى السلطات الأمريكية لتخليصهم من الوضع الرهيب الذي وجدوا أنفسهم فيه والمنطوي على الحاجة المرة والعجز الكامل والوضع الإقتصادي والإجتماعي المتدهور الذي يصل إلى حد الفاقة حيث باتوا يعيشون على الصدقات، وقد عملوا المستحيل من أجل توفير نفقات عودتهم إلى بلادهم ولكنهم فشلوا. لذلك فهم يستغيثون ويسترحمون الحكومة لترسل لهم مركبا أو أية واسطة نقل تعيدهم إلى وطنهم وتنقذهم من الجحيم الذي يعيشون فيه وتخلصهم من الموت المحقق جوعا.

---

302 مجلة الأرض عدد 5 السنة الرابعة 1976/11/31 - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - دمشق صفحة 4

303 المصدر السابق صفحة 4

ويذكر موقعوا الرسالة[304] -وعددهم سبعون شخصا- أنهم إستشاروا السفير الأمريكي في القسطنطينية السيد آي . جوي . موريس قبل إرسالها. وبتاريخ 22 أيلول سنة 1867 جاء الرد من وزارة الخارجية[305] إلى عضوي الكونغرس، ليقول أنه متشكك في صحة نوايا موقعي الرسالة وأن جزءا هاما من المستوطنين لا زال متمسكا باستمرارية المشروع، مشيرا إلى أن مجموعة من المستوطنين الجدد تتأهب للإنطلاق من ولاية ماين إلى يافا، وأن جمعيات لليهود تقترح تعزيز المستوطنات من يهود أوروبا ولذلك فإن من غير المناسب لحكومة الولايات المتحدة أن تتورط في إعادة المستوطنين الخائبين في الوقت نفسه الذي تتجه فيه سفينة من ولاية ماين تحمل مغامرين جدد ليحلوا محل المهاجرين العائدين.

حتى نيسان (إبريل) سنة 1917 إلتزمت أمريكا الحياد في الحرب العالمية الأولى. واستمرت أعمال سفارتها في القسطنطينية وقنصليتها في القدس. وقد أخذت الحكومة الأمريكية على عاتقها إلتزام تقديم مختلف أنواع المساعدة والدعم للمستعمرين اليهود في فلسطين، فكانت تنقل إليهم الأغذية في سنوات الحرب على متن سفن الأسطول البحري العربي الأمريكي.[306]

في هذا الوقت أجرى اللورد بلفور مباحثات مستفيضة مع الولايات المتحدة وقد إتضح له أن تأييد بريطانيا لمطامع الصهيونية في فلسطين سيزيد المساعدة التي تقدمها الأوساط المتنفذة في الولايات المتحدة للحلفاء، وسيضعف في الوقت ذاته مقاومة الجشع الإستعماري لدى الأوساط الحاكمة البريطانية، وهكذا أرسى أساس إعلان بلفور بنتيجة المباحثات التي إستغرقت ساعات عديدة بينه وبين برانديس (القاضي اليهودي والمستشار الشخصي للرئيس الأمريكي ولسون) من جهة أخرى.[307]

وبعد مراسلات عديدة بين بلفور والرئيس الأمريكي ولسون تم الإتفاق على الصيغة النهائية لمشروع بلفور، وقد كان الرسول بين الطرفين وليام وايزمان مدير المخابرات البريطانية الذي أبرق لحكومته يخطرها بموافقة الرئيس المذكور

304 مجلة شؤون فلسطينية - مركز الأبحاث الفلسطينية - بيروت عدد 101 سنة 1980 صفحة 129
305 المصدر السابق - نفس الصفحة
306 بوندا ريفسكي صفحة 227
307 المصدر السابق صفحة 228

على الصياغة المقترحة، ويبلغها إشتراط الرئيس أن لا يدرج في التصريح الذي ستصدره الحكومة البريطانية ما يشير إلى موافقته عليه لأنه لن يرغب أن يذيع هذه الموافقة بنفسه على يهود أمريكا.[308]

إلا أن سبب رفض الرئيس الأمريكي الإشارة إلى موافقته لم يكن رغبته في أن يذيع الأمر بنفسه على اليهود، وإنما إستمرار علاقته الدبلوماسية مع تركيا رغم دخوله الحرب ضدها. وإن مثل هذا المشروع يعني موافقة أمريكا الصريحة على تقسيم أملاك الإمبراطورية العثمانية التي تعتبر فلسطين جزءا لا يتجزأ منها. وبقي الأمر سرا إلى أن نشرت جريدة التايمز اللندنية تفاصيل المشروع مما حدا بالخارجية الأمريكية أن تطلب إلى سفيرها في لندن الإستفسار لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذه الوثيقة والأسباب التي حدت بالحكومة البريطانية إلى كتمان أمرها عن الولايات المتحدة الأمريكية. ويعزو بعض المؤرخين هذا الطلب إلى جهل وزارة الخارجية الأمريكية بموافقة الرئيس ولسون، إلا أن الأمر لا يعدو كونه نوعا من النفاق السياسي الأمريكي الذي كان مضطرا إلى هذا الموقف خصوصا وأن أمريكا كانت في عهد ولسون تتبجح بأنها الدولة الداعية إلى إلغاء المعاهدات السرية وإلى منح الأمم المضطهدة حق تقرير المصير.[309]

لم يدم كتمان الأمر طويلا فقد أعلن الرئيس ولسون في آب (أغسطس) سنة 1918 قائلا: (أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا). وهكذا إستكمل ولسون بيان بلفور الذي أشار إلى وطن يهودي، بينما أعلن ولسون عن تأسيس دولة يهودية.[310] وفي الوقت ذاته أرسل رسالة إلى الحاخام ستيفن وايز يرحب فيها بالتقدم الذي أحرزته الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وفي البلدان الحليفة بعد تصريح بلفور بشأن موافقة بريطانيا العظمى على إنشاء وطن قومي لليهود، وفي 1922/9/21 صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية على مشروع بلفور وإقرار الكونغرس بتوقيع رئيس الجمهورية.[311]

---

308 سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين - د. حسن صبري الخولي - دار المعارف مصر سنة 1973 - المجلد الأول صفحة 200

309 بونداريفسكي صفحة 229

310 د. حسن صبري الخولي صفحة 213

311 بونداريفسكي صفحة 243

ولكن الولايات المتحدة لم توافق على قرار إنتداب بريطانيا على فلسطين الذي أقرته عصبة الأمم بعد أن إعترفت لها بريطانيا بحقوق وامتيازات خاصة للمواطنين الأمريكيين في فلسطين. وكانت المفاوضات الأنكلو -أمريكية- بهذا الخصوص معقدة للغاية وطويلة الأمد، ولم تنته إلا في 23 كانون أول (ديسمبر) سنة 1924 حيث وقعت معاهدة أنكلو- أمريكية خاصة حول فلسطين. تمتع المواطنون الأمريكيون فيها بحقوق إفتتاح مختلف السيارات مختلف المؤسسات والجمعيات التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين. وهكذا فتح باب فلسطين على مصراعيه أمام المنظمات الصهيونية الأمريكية.

في هذه الحقبة من التاريخ -أي في العقد الثاني من هذا القرن- بدأ نجم هتلر في ألمانيا بالصعود كمنقذ لها من الذل الذي لحق بها. متزعما الحزب القومي الإشتراكي (النازي) معلنا صراحة سياسته المبنية على أساس العداء للسامية (اليهود) والعداء للشيوعية، والتفوق العرقي للألمان. وقد بدأت جميع الأوساط الرأسمالية والصناعية الألمانية وغير الألمانية تغدق عليه الأموال وتقدم له الهبات وتعقد المؤتمرات والإجتماعات وتقيم الحفلات والتبرعات لصالح هتلر منقذ ألمانيا عدو الشيوعية والسامية.

لقد خصص جيمس وسوزان بول كتابهما (من مول هتلر)[312] للكشف عن الجهات والدول والمؤسسات التي ساهمت في تمويل هتلر توطئة لوصوله إلى مستشاريه الرايخ الثالث. وكان واضحا أن الذين ساعدوه -وهم يعرفون أفكاره التي يتبنى والعقيدة التي يؤمن بها- كانوا يريدون من وراء مساعدتهم هذه الحصول على مقابل، ولما كان هتلر ينادي بأمور ثلاثة أساسية وهي التفوق العرقي للآريين، والعداء للشيوعية، والعداء للسامية، فإن من قدم له المساعدة، يؤمن معه بأحد هذه المبادئ والأرجح أن يؤمن بها جميعا، أو أنه لن يتضرر من تطبيقها.

وتأتي مرحلة أخرى، هي مرحلة الهستيريا الهتلرية التي بدات عام 1933 وبلغت أوجها مع بداية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت ماكينة الموت تحصد اليهود كما تحصد مختلف شعوب أوروبا وآسيا، وبدأت موجات اللاجئين

---

312 Who Financed Hitler , James and Suzan Pool , London 1979 , Page 41 , 43 , 48 , 85 , 87 , 90 , 100 , 111 , 113 , 116 , 129 , 292 , 310 , 317 , 319 , 334 .,

تبحث عن مأوى آمن في أي مكان في العالم بعيدا عن الموت والدمار والخراب. وكانت أمريكا مطمح هؤلاء اللاجئين وأملهم. فهل تحقق لهم ذلك؟.

ففي كتابه -تاريخ الصهيونية- علق وولتر لوكير على الشعار المكتوب على تمثال الحرية في ميناء (نيويورك) (ليأت المتعبون .. ليأت الفقراء .. لاستنشاق نسمات الحرية) علق بقوله: (لم تقبل الولايات المتحدة إلا عدادا هزيلة من المهاجرين اليهود الهاربين من جحيم الحرب والنازية في أوروبا، وعندما إزداد ضغط المهاجرين دعا روزفلت إلى مؤتمر إيفيان الذي فشل، لرفض جميع الدول المشاركة فيه بما في ذلك الولايات المتحدة إستقبال أعداد من المهاجرين اليهود).[313]

أما ألفرد لننتال فقد قال أن الحكومة الأمريكية منذ كانون أول سنة 1942 تعرضت لضغط جماعي من قبل أعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس الأمريكيين الذين طالبوا بإرغام بريطانيا على إلغاء قانون الحد من الهجرة إلى فلسطين، ولكنهم لم يطلبوا إطلاقا فتح أبواب الولايات المتحدة التي كانت تتجه إليها مئات السفن الفارغة بعد أن تنزل حمولتها في أوروبا. لقد كانوا يسدون بهذا الموقف باب أمريكا -الطريق الوحيد للنجاة- في وجه الألوف الكثيرة من اليهود.[314] في الوقت الذي إعترف هنري مونتاغو وزير المالية في الحكومة الأمريكية، أنه منذ شهر آب سنة 1942 كانت حكومة واشنطن تعرف أن النازيين يخططون لإبادة اليهود في أوروبا إبادة تامة. وخلال فترة عام ونصف وبعد أن إنكشفت تلك الخطة الوحشية فإن الجهاز الحاكم في الولايات المتحدة لم يحرك ساكنا.[315]

ورغم هذه الأدلة فقد حاول أبا أيبان -وزير خارجية إسرائيل الأسبق- أن يسوغ الموقف الأمريكي وأن يقدم له الذرائع لرفضه إدخال اليهود وحمايتهم بقوله أن الناجين من الخطر أعلنوا عن رغبتهم الجامحة في الهروب من أوروبا لتلك القارة الملعونة الدامية، إلا أن الولايات المتحدة لم تكن على إستعداد لأن تضع في الخطر مصير السلم الداخلي في البلاد.[316]

---

313 Walter Laqueur , Page 504 , 507

314 إيفانوف 160

315 نفس المصدر والصفحة

316 Abba Eban , Page 321

لقد كانت السياسة الأمريكية المتعلقة باليهود تسير ضمن خطين متوازيين لمنعهم من الوصول إلى الولايات المتحدة، والضغط على إنكلترا للسماح بمزيد من التأشيرات لدخول فلسطين. وهي بهذا غير مستعدة أبدا أن تقوم من جانبها بإجراء آخر من شأنه أن يحمي اليهود وينقذهم. وفي نفس الوقت كان الضغط الصهيوني يتجه أيضا في خطين، على إدارة روزفلت لتضغط من جانبها على بريطانيا لفتح أبواب فلسطين، والسكوت بشكل نهائي على إقفال أبواب الولايات المتحدة أمام اليهود اللاجئين. لكن هذا السكوت لم يمنع الجماهير اليهودية الأمريكية أن تطلع على الحقيقة وأ تطالب بالسماح لأعداد أكبر بدخول الولايات المتحدة الأمر الذي دعا الرئيس روزفلت إلى إصدار تعليمات بشأن المهاجرين، مثل التسريع في إجراءات منح سمات الدخول، وتمديد مهلة الإقامة المسموح بها لجماعات معينة، ومع أن الفائدة من هذه التعليمات هي نظرية محض إلا أنها جوبهت من قبل وزير الخارجية هال (Hall) بتعقيدات كثيرة وبتفسيرات قانونية. لقد مثلت هذه (المساعدة) تدخلا في شؤون ألمانيا الداخلية لأن القضية اليهودية -حسب رأي هال- هي قضية ألمانية داخلية لا يجوز التدخل فيها بصورة مشروعة، فما كان من الرئيس روزفلت إلا أن وضح بأنه لم يقدم أية مقترحات من شأنها تخفيف القيود على نظام سمات الدخول. مما شجع موظفي السفارات والقنصليات الأمريكية التي كانت محاصرة بآلاف طلبات الدخول إلى الولايات المتحدة على وضع التعقيدات التي لا تنتهي أمام أصحاب الطلبات لدرجة أنهم لم يسمحوا إلا لسبعة وعشرين ألفا بالحصول على السمات في الوقت الذي كان لديهم مئة وثلاثة وخمسون ألف سمة مسموح بها. وهذا يعني أن التعليمات التي أرسلتها الخارجية الأمريكية قلصت العدد المسموح به رسميا من السمات إلى ما يعادل السدس.[317]

لعل الأمر الأكثر إشارة ودهشة هو القضية التي أثيرت مؤخرا[318] في الكونغرس الأمريكي حول إحجام قيادة الطيران الأمريكي عن قصف معسكرات الإعتقال في أوشفتز وبيركناو والسكك الحديدية المؤدية إلى هذين المعسكرين بالرغم من أن القاذفات الأمريكية قصفت (أ.ج. فاربين) الجمعيات الصناعية القريبة منهما والتي لا تبعد عنهما اكثر من خمسة كيلو مترات.

317 Urofs M . I . Page 389

318 أثيرت بتاريخ 8 آذار (مارس) سنة 1979

أعدت وكالة الإستخبارات الأمركية (C.I.A) تقريرا بتاريخ شباط سنة 1979 تحت رقم س ت - 79 - 10001 . وبعنوان (المحرقة نظرة تحليلية جديدة لمجمع الإبادة في أوشفتز وبيركناو). هذا التقرير قدم لكبار موظفي الحكومة الأمريكية. ويتضمن دراسة لمعسكرات الإعتقال وصورا كانت الطائرات الأمريكية قد إلتقطتها أثناء قصفها للمجمع الصناعي آ . ج . فاربين بتاريخ 1942/4/4.[319]

وبتاريخ لاحق ظهر في مجلة الواشنطن بوست مقال بقلم توماس أوتول، تساءل فيه عن عدم قصف الحلفاء المعسكرين وخطوط سكة الحديد الموصلة إليها والتي كانت تنقل الضحايا إلى هذا المعسكر. ثم تابع أوتول قوله: (كان المطالبون بهذه الغارات يعلمون أنها ستقتل الكثير من إخوانهم، ولكن الألمان كانوا سيقتلونهم على أيه حال، وربما أدى تدمير المنشآت إلى إنقاذ الكثير منهم لأن تدمير خط سكة الحديد سيعرقل عمليات نقل مليون يهودي هنغاري إلى أوشفتز). ويؤمن أوتول أن إثنين من الناجين من أوشفتز أوصلا المعلومات الخاصة إلى زعماء اليهود في سويسرا الذين قاموا بدورهم بإعلام الدبلوماسيين الأمريكيين، حيث تم إبلاغ واشنطن في حزيران سنة 1944 ويختتم أوتول مقاله فيقول: (يقع أوشفتز بمكان جنوب منطقة وارسو وقد إفتتح أساسا لإعتقال أسرى الحرب السوفييت سنة 1940، ثم تحول إلى معسكر للموت ليهود أوروبا).[320]

ومن منبر الصحافة إلى منبر الكونغرس حيث أثار ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ هذه القضية وهم: السيناتور كارل ليفين (ديمقراطي من ولاية ميتشيجان) والسيناتور رودي بوشوتيز (جمهوري من ولاية مينوسوتا) والسيناتور بروكسماير (ديمقراطي من ولاية ديسكاوسن). لقد طالب الشيوخ الثلاثة بإجراء تحقيق عن أسباب عدم قيام قوات الحلفاء بأي عمل عسكري ضد المعسكرات وخطوط السكك الحديدية الموصلة إليها.[321] وبالرغم من ذلك فإنه لم يتم تدميرها أو تدمير الخطوط الحديدية الموصلة إليها. لماذا لم يحصل هذا؟

---

319 The Holocaust Rivisted , A Retrospetive analysis of the austehwitz Bir Kenaw Extermina - tion Complex , C . I . A feb . 1979 st 79 Page 2 - 5.

320 واشنطن بوست 1979/2/23

321 نقلا عن وقائع الكونغرس الأمريكي رقم 2048/6 بتاريخ 1979/3/5

التقيض:

إن الموقف الأمريكي من المسألة اليهودية والمتطابق مع الموقف الأوروبي والذي تعامل مع هذه المسألة ضمن حدود المصالح الإمبريالية لهذه الدول، لا يعني أنه ينسحب على كل دول أوروبا الغربية، بحيث نستطيع أن نميز بين موقفين واضحين لنقول أن أوروبا ذات المطامع الإستعمارية في العالم تعاملت مع اليهود كوسيلة لتحقيق أهدافهم، دون النظر إلى المصير الذي ينتظرهم، أما أوروبا الأخرى التي تتمثل في الدول الإسكندنافية وسويسرا فقد قامت بدوافع إنسانية محضة بمحاولات إنقاذ تتناسب مع إمكاناتها ونجحت في محاولاتها هذه إلى حد بعيد لولا تدخل المنظمات الصهيونية التي عملت على عرقلة تلك المساعي ووضع الصعوبات في طريقها.

كذلك فإن هيئة لاجئي الحرب (War Refugee Beard) التي عملت في أوروبا لإنقاذ المنكوبين كانت ترى في السياسة الأمريكية الرافضة منح اللاجئين مأوى، ذريعة مكنت هتلر من إستمرار خطته بعد أن تأكد لها أن أمريكا وحلفائها على غير إستعداد لإستقبال المنكوبين لو أطلق هتلر سراحهم. وترى الهيئة أيضا أن الموقف الأمريكي هذا أعفى كثيرا من الدول وخاصة دول أمريكا اللاتينية (نيكاراغوا مثلا) من إلتزاماتها الأخلاقية والأدبية تجاه اللاجئين، وجعلها تحذو حذو هذا الموقف بحذافيره.[322]

Quand Six Millison Juifs meuraient Par : Arthur Morse - Laffant - Paris Pages 324 , 327 322

القسم الثالث

اللاسامية ... في وطن الساميين ؟

أساء إحتدام الصراع العربي الصهيوني إلى حقيقة نظرة العرب تجاه اليهود، بحيث إنحرف الكثيرون سواء في الوطن العربي أو خارجه عن الفهم الحقيقي لطبيعة هذا الصراع، عندما صور على أنه صراع ديني بين اليهود الذين حلموا بالعودة إلى (أرض الميعاد) من المنفى بعد شتات دام عشرين قرنا، وبين المسلمين الذين عاشوا فيها من قبل هذا التاريخ. ويتبارى المؤرخون وعلماء الدين والإجتماع في تقديم الحجج، والأدلة، وكل يعود إلى مصادره وأسانيده في التوراة والتلمود والقرآن والعهد الجديد يلتمس فيها برهانه ليبدأ هجومه، فستستمر المعركة طويلا ... ولكن بعيدا عن أسبابها وأهدافها وساحتها.

لقد عاش اليهود في مختلف البلدان العربية ولا زالوا، من اليمن حتى المغرب، ومن سورية حتى السودان. ورغم أن تواجدهم بات ضئيلا في هذه البلاد، إلا أن سبب رحيلهم لم يكن سببا عربيا، ولم يكن إضطهادا أو تنكيلا أو طردا، رغم أن مشكلة فلسطين كانت ولا زالت قائمة، ورغم أن أسباب الصراع لا زالت تستند إلى الجذور الخاطئة وتنهل من الأصول المنحرفة.

إن الشرخ الوطني الذي حصل بين اليهود ومواطنيهم الآخرين في البلاد العربية يعود تاريخه إلى النصف الأول من القرن الماضي -القرن التاسع عشر- مقرونا بتفاقم المسألة الشرقية، وتكالب الدول الإستعمارية على إقتسام إرث الإمبراطورية العثمانية قبل إنهيارها، وصراع هذه الدول على كسب مناطق نفوذ من خلال إدعاء الحماية للأقليات الطائفية التي تعيش في هذه المنطقة، تسويغا لتدخلها المباشر في شؤونها، وتمهيدا للسيطرة عليها وإلحاقها بأملاكها. ولما كان اليهود أقلية لها أهميتها واعتبارها في المنطقة العربية، فقد كانت هدفا تصارع عليه الكبار ليكون ورقة يلعبونها في الوقت المناسب، واحتياطيا يؤدي دورا أساسيا في بناء مشاريع الإستعمار للسيطرة على المنطقة. ففي الوقت الذي عمدت فيه فرنسا إلى تجنيس

يهود شمال أفريقيا بجنسيتها ، ليرتفع رصيدها من المستوطنين المرتبطين بها مصيريا، سعت إنكلترا إلى تعميق فكرة طلب الحماية من قبل اليهود في المشرق العربي، إلا أن تحقيق التجنس والحماية يتطلبان تمهيدات ضرورية تبدأ بإثارة المشاكل بين اليهود وباقي المواطنين من الطوائف الأخرى مما يتطلب إفتعال موجات الإضطراب والإضطهاد برعاية هذه الدول وبتدبيرها حتى تصل إلى الهدف. لذلك سنأخذ مجموعة من الوقائع والأحداث في مختلف المناطق العربية وفي مختلف الأوقات بدءا من مطلع القرن وانتهاءا بمطلع الخمسينات من هذا القرن، لنرى نماذج من الممارسات التي قد تتغير من حيث الأسلوب والأشخاص والدول، إلا أنها تبقى واحدة من حيث المضمون والنتيجة والهدف.

1. حادث دمشق عام 1840.
2. تجنيس اليهود وتنصيرهم في شمال أفريقيا سنة 1867.

حادثان في مكانين مختلفين، وفي وقتين متباعدين، سنتحدث عنهما حسب تسلسلهما الزمني. مع ضرورة الإشارة مسبقا إلى أن تاريخ الحدث الأول يتوافق مع تاريخ التحرك الإنكليزي والأمريكي[323] في المنطقة من أجل الإعداد لإقامة وطن لليهود من خلال دعوتهم للتحرك نحو هذا الهدف.

أولا: حادث دمشق سنة 1840:

في الخامس من شباط سنة 1840 إختفى في دمشق توماسو الكبوسي، راهب طائفة اللاتين وخادمه، وبما أن طائفة اللاتين كانت متمتعة بموجب نظام الإمتيازات العثماني بحماية فرنسا، فقد تولى التحقيق بالحادث القنصل الفرنسي بدمشق. وتبين للقنصل أن آخر مكان شوهد فيه الراهب مع خادمه هو الحي اليهودي قرب دكان حلاق يهودي. فأمر القنصل الحلاق الذي تعرض إلى تعذيب طويل إعترف بعده أن عددا من وجهاء اليهود في المدينة قاموا باختطاف الراهب وخادمه حيث قتلوهما وجمعوا دمهما وحفظوه من أجل إستعماله لأغراض الشعائر الدينية اليهودية التي تقضي باستعمال دم شخص مسيحي في عجن فطير عيد الفصح. فأصدر والي دمشق المعين

323 يمكن الرجوع إلى القسم الأول والثاني من هذا الفصل.

من قبل محمد علي باشا أمرا باعتقال أربعة عشر شخصا من أبرز وجهاء اليهود وأكثرهم ثراءا للتحقيق معهم.

أثناء سجن وجهاء اليهود في دمشق عقد في العواصم الأوروبية وخاصة في لندن عدد كبير من الإجتماعات، بالإضافة إلى إجتماعات عقدت في المدن الأمريكية. وقد أرسل المشاركون في كل هذه الإجتماعات عرائض إلى حكوماتهم يحثونها فيها على التدخل لدفع الظلم عن يهود دمشق.[324]

فإذا تفحصنا مضمون القرارات التي صدرت في العواصم الغربية المختلفة، ومذكرات الإحتجاج والحملات الصحفية فسنجد شبه إجماع على تحميل مسؤولية ما جرى في دمشق (للشرق المسلم المتعصب الغارق في الخرافات)، الأمر الذي يعطي إنطباعا بأن محمد علي باشا وواليه على دمشق شريف باشا هما المسؤولان عن حادث دمشق. إلا أن إحدى رسائل القنصل البريطاني في القدس (ن . ويري) إلى وزارة خارجيته توضح حقيقة الموقف البريطاني الذي كان يرمي بشتى الوسائل لإلصاق التهمة باليهود متعاونا في هذا مع القنصل الفرنسي. ولم يكتف بالإعترافات التي إنتزعت من اليهود تحت التعذيب، وإنما عمل على البحث عن أدلة واعترافات أخرى بطريقته الخاصة، هذا وقد طالب بإنزال أقصى العقوبة ليس بمرتكبي الجريمة، وإنما بكل (الشعب اليهودي) على حد تعبيره.[325]

من الواضح أن القنصل البريطاني كان يسعى بكل ما لديه من إمكانات ونفوذ إلى إلصاق التهمة باليهود، في الوقت الذي كانت مدن بريطانيا تعج بالإجتماعات والخطابات التي تندد بالشرق المسلم المتعصب الذي يريد أن يقضي على اليهود، رغم أن الزعماء المسلمين في هذه المنطقة والمسؤولين عن الحكم فيها كان لهم رأي مختلف كليا. إذ أرسل محمد علي باشا رسالة إلى شريف باشا بتاريخ 1840/5/2 يقول فيها: (لقد وصل إلى علمنا أن بعض الرجال الأقوياء من المسيحيين يهاجمون رعايا اليهود في دمشق وإن شكاوي قد رفعت إليك دون نتيجة، إن مثل هذه الإعتداءات تزعجنا وهي تتناقض مع رغباتنا لذلك آمرك بأن تمنع تكرارها).[326]

---

324 شؤون فلسطينية عدد 91 سنة 1979 صفحة 44 - 52
325 المصدر السابق صفحة 51
326 المصدر السابق صفحة 50

وبعد فترة وبتاريخ 6 نوفمبر (تشرين ثاني) سنة 1840 صدر فرمان عن السلطان عبد الحميد جاء فيه: (لقد جرى فحص الكتب الدينية اليهودية من قبل العلماء ذوي المعرفة بالكتابات اليهودية الدينية، وبنتيجة هذا الفحص تبين أن الدم محرم عليهم، ليس فقط إستخدام الدم البشري. ولكن إستعمال دم الحيوان محرم عليهم أيضا. وعلى هذا فإن التهم الموجهة ضدهم وضد ديانتهم ليست سوى مزاعم باطلة).

(ولهذا السبب، وللمحبة التي نكنها لرعايانا، فإننا لا نستطيع السماح بمضايقة واضطهاد الملة اليهودية (التي تثبت برائتها من التهمة التي وجهت إليها) بناء على إتهامات لا أساس لها من الصحة. ولذلك فإنه سيكون للملة اليهودية نفس المزايا، وتتمتع بنفس الإمتيازات الممنوحة للملل العديدة الخاضعة لسلطنتنا، ويتوجب حماية المللة اليهودية والدفاع عنها).

(ولأجل هذا الغرض فقد أعطينا الأوامر الواضحة بأن المللة اليهودية القاطنة في جميع أرجاء سلطنتنا سوف تتمتع بنفس الحماية التي يتمتع بها جميع رعايا الباب العالي. وسوف لا يمسهم أحد بأية طريقة كانت، إلا بالعدل، لا فيما يتعلق بممارسة ديانتهم ولا فيما يتعلق بسلامتهم وأمنهم. وبناء على ما تقدم صدر هذا الفرمان الممهور بخاتمنا الهمايوني عن قصرنا السلطاني إلى المللة اليهودية).[327]

إذا أصبح واضحا أن الفرنسيين -حماة اللاتين- هم الذين أثاروا المشكلة، ولكن السؤال المطروح هو ماهي الفائدة التي سيجنيها الإنكليز من وراء ذلك؟ يجيب على هذا التساؤل (ناحوم سوكولوف) المؤرخ والزعيم الصهيوني إذ يقول: (إن حادثة دمشق مثل جميع الأحداث التي جرت قبلها والتي ستجري بعدها، قد حركت الطموحات الصهيونية. ذلك أن الإضطهاد يكشف لليهودي حقيقة وضعه، وهو الذي لا يستطيع هذا اليهودي فهمه خلال فترات السلام. إن عددا من اليهود في بلدان مختلفة خاصة في إنكلترا بدأوا يسألون أنفسهم كيف ستكون نهاية هذه المعاناة؟ وكان الجواب: هناك أمران ضروريان .. حماية بريطانيا العظمى لليهود في الشرق واستعمار فلسطين).[328]

327 المصدر السابق صفحة 48

328 المصدر السابق صفحة 52

إن حادثة دمشق سنة 1840 تطرح أمامنا سؤالا آخر: هل يهود الشرق هم الذين تعوزهم حماية بريطانيا أم بريطانيا هي التي يعوزها أن تحمي يهود الشرق؟

لم يشغل سوكولوف باله بالتهمة الموجهة إلى اليهود واليهودية، بل إن الذي شغله كيفية الإستفادة من نتائج هذه التهمة، ونتائج الإضطهاد الذي يمكن أن يترتب عليها بطلب الحماية البريطانية واستعمار فلسطين.

ثانيا: تجنيس اليهود وتنصيرهم في شمال أفريقيا:

تمثل الإقليمية اليهودية المغربية ظاهرة ذات قيمة من الناحيتين التاريخية والإجتماعية وهي من أقدم الجماعات اليهودية، إذ وجدوا في المغرب في القرن الثالث قبل الميلاد. وبعضهم جاء إليها عام 1492 من أسبانيا هروبا من محاكم التفتيش.[329]

إن أول وسيلة إتبعها الإستعمار الفرنسي والإنكليزي -لإيجاد شرخ بين اليهود والمسلمين في المغرب- كانت بدء عمل البعثات التبشيرية من كلا البلدين بحجة حماية اليهود من المسلمين،[330] وكانت الوسيلة الثانية صدور قرارات من قبل الحكومة الفرنسية تقضي بمنح الجنسية الفرنسية لهم.[331] إن مثل هذه الإجراءات تعطي الإنطباع القائل بأن اليهود يعانون إضطهادا من قبل المسلمين وأن الحكومتين الفرنسية والبريطانية حريصتان على حمايته، وباستعراض مجموعة من الوثائق التاريخية،[332] نلاحظ أن اليهود رفضوا تلك الإجراءات الخاصة بتجنيسهم وتنصيرهم وأنهم إلتجأوا إلى سلطان المغرب أكثر من مرة يطلبون الحماية من الضغوط التي تمارس عليهم من قبل البعثات التبشيرية، وقد وجدوا لدى السلطان تجاوبا ملحوظا على الرغم من ضغطه وتسلط قنصليان فرنسا وبريطانيا عليه نتيجة الإمتيازات التي كانت تتمتع بها الدولتان في المغرب.[333] وكان السلطان لا يترك فرصة تفوت إلا ويؤكد

329 تاريخ المغرب في القرن العشرين - روم لاندو- دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب صفحة 29

330 بحث قدمه الأستاذ حسني الإدريسي في ندوة (حوار وهوية) باريس 17 - 1978/12/22

331 يهود المغرب العربي - د. محمد الحبيب بن خوجة - جامعة الدول العربية - القاهرة سنة 1973 صفحة 88

332 الوثائق الدورية - مديرية الوثائق الملكية - الرباط - سنة 1977 مجموعة رقم 4

333 الوثائق الدورية - وثيقة رقم 603 صفحة 456 - 457 ووثيقة رقم 609 صفحة 466 - 467

فيها -من خلال المراسم التي كان يصدرها- على ضرورة مساواة اليهود مع باقي المواطنين من حيث الحقوق والواجبات.[334] هذا بالإضافة إلى أنه أصر في أكثر من مناسبة على رفض التجنيس ورفض الإمتيازات والإعفاءات التي كانت تطالب بها الدول لليهود الذين ضمتهم تحت حمايتها.[335] بما في ذلك نشاط قنصلية الولايات المتحدة التي كانت تبيع صكوك الحماية (الجنسية) لليهود المغاربة.[336]

الملك محمد الخامس وقوانين نورنبرغ:

عندما قبل بيتان بتطبيق قوانين نورنبرغ ضد اليهود، أرسلها إلى المغرب مصدرا أوامره إلى الجنرال (نوغيس) لتطبيقها، إلا أنه -نوغيس- لم يتمكن من إقناع السلطان (محمد الخامس) بوضعها موضع التنفيذ في بلاده. ويقول روم لاندو:[337] (إن السلطان ذهب إلى أبعد من ذلك فأذاع تصريحا قال فيه أن اليهود المغربة رعاياويتوجب أن أحميهم من أي إعتداء ولما إنتهت الحرب أرسل (رينيه كاسان) رئيس الأليانس اليهودي الفرنسي كتابا إلى السلطان يشكره فيه باسم جميع اليهود الفرنسيين لأنه أنقذ حياة هذا العدد من أبناء دينهم). ويتابع لاندو: (والواقع ان حياة آلاف عديدة من اليهود وأملاكهم إنما سلمت بسبب ما أبداه السلطان من شجاعة وبسبب ما ناله من تأييد الجماعة الإسلامية بكاملها في المغرب. وعلى الرغم من ذلك فقد كان ثمة عدد من الحالات فشلت فيها محاولات السلطان، فسار رجال الإدارة الفرنسيون على خطة الفاشيين وصادروا مصالح إقتصادية يهودية وفرضوا على أصحابها غرامات كبيرة وأرسلوا عددا من اليهود إلى معسكرات الإعتقال.

ظلت السلطات الفرنسية سنتين كاملتين خاضعة للأوامر الصادرة من حكومة فيشي وكانت تعمل بتعاون وثيق مع أعضاء اللجنة الألمانية المقيمة في المغرب. أما سلطان المغرب فقد رفض أن يقابل الجميع، مذكرا بأن المغرب كان قد أعلن الحرب ضد ألمانيا وأنه لم يوقع هنة قط).[338]

---

334 الوثائق الدورية - وثيقة رقم 340 صفحة 290 - 291

335 الوثيقة رقم 348 صفحة 310 - 311

336 الوثائق الدورية - وثيقة رقم 362 صفحة 345 - 346

337 روم لاندو صفحة 263

338 المصدر السابق صفحة 364

ويعترف ناحوم جولد مان بأن الملك الحسن الثاني وقبله والده الملك محمد الخامس، كان لهما دائما موقف مثالي تجاه اليهود، مشيرا بهذا الصدد إلى موقف محمد الخامس أثناء الحرب العالمية الثانية عندما رفض أن يسمح لحكومة فيشي بأن تؤذي رعاياه اليهود على الرغم من ضغوط بيتان، أنه لم يتخل عنهم قط.[339]

وفي الثالث والعشرين من مايو (أيار) سنة 1948 ألقى الملك محمد الخامس خطابا في طنجة، دعا فيه الطوائف اليهودية المغربية ورجاها بحرارة عدم المشاركة في الحركة الصهيونية وقال: (إن الهجرة اليهودية ستضر باستقرار الإمبراطورية الشريفة (المغرب) ولا يمكن لها أن تحقق الآمال اليهودية. وإنها ستؤدي فقط إلى تحرك يضر بالملاحات (الغيتوات).[340]

وفي الثالث عشر من سبتمبر (أيلول) سنة 1956، وجه الملك محمد الخامس كلمة إلى الطائفة اليهودية بالدار البيضاء قال فيها: (كل المغاربة مسلمين ويهود، هم أبناء هذا الوطن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات والإلتزامات عليهم أن يعملوا معا على الصعيد الوطني علينا أن نضع جهودنا وإمكاناتنا سويا لنساعد كل أولئك الذين هم بحاجة للمساعدة مهما كان دينهم، لأن الفقر في المجال الإجتماعي لا دين له).[341]

كانت هذه الكلمة ردا على حملة التخويف الجماعية التي قادها عملاء الحركة الصهيونية في المغرب والصحافة الأجنبية التي كانت تتنبأ لليهود المغاربة (بكابوس هتلري) بعد حصول المغرب على إستقلالها عام 1955.[342]

إن موقف حكومة المغرب الإيجابي هو الذي جعل مبعوثي (إسرائيل) يلقون بالقنابل في أماكن تجمع يهودية وأن هؤلاء المبعوثين هم الذين وزعوا في عام 1951 منشورات على بيوت اليهود بالمغرب تدعو السكان لإرسال أطفالهم إلى إسرائيل كي يتجنبوا حوادث مفتعلة.[343]

339 ناحوم جولد مان صفحة 40

340 صديا سبورا في أرض السلام - بيير فلامند - الدار البيضاء

341 صحيفة ماروك سوار- عن الفرنسية 1978/8/15

342 ندوة حوار وهوية - باريس - 17 - 1978/12/22

343 جون أفريك - مقال بقلم شالوم كوهين - عدد 894 تاريخ 1978/12/22 باريس

القسم الرابع

الأممية تنفي العنصرية

إتخذ (عداء اليهودية) مع روسيا القيصرية طابعا عنصريا عرقيا، لم يغضب اليهودية العالمية، ولم تزعجها نتائجه التي تمخضت عن الإضطهاد والقهر والمذابح والإفتراءات التي كان يهود روسيا هدفها. ولم يكن هذا الطابع إلا غطاء للصراع الإقتصادي والإجتماعي الذي جاء نتيجة الإنهيار التدريجي للنظام الإقطاعي السائد، وحلول الرأسمالية مكانه، والذي أفرز جملة من القضايا والمسائل أبرزها (المسألة اليهودية) و (عداء السامية). وقبل أن تخوض في تحليل أسباب الحرب (العرقية) التي شنت ضد اليهود، لا بد من الإشارة إلى أن يهود روسيا وأوروبا الشرقية بالتحديد لا يمتون إلى السامية بصلة، هذا إذا إفترضنا جدلا أن اليهود الساميين الأصليين قد حافظوا خلال القرون الطويلة على ما يسمى بنقاء العنصر والعرق.

يعود أصل اليهود في هذه البلاد إلى مملكة الخزر التي تهود ملكها عام 740 م وأصبحت اليهودية فيما بعد دين الدولة الرسمي، بعد أن إعتنق الشعب الخزري الوثني هذه الديانة، وقد تم هذا التحول دونما إعتبار للدعوة المسيحية في إمبراطورية بيزنطة، وللنفوذ الإسلامي في الشرق على الرغم من وجود الضغط السياسي لهاتين القوتين.[344] وقد عاشت مملكة الخزر المتهودة حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وبانهيارها هاجر سكانها إلى روسيا وبولنده وأوكرانيا وليتوانيا والمجر، وهذا ما حدا بالمؤرخين كي يجزموا بأن نسبة كبيرة -وربما غالبية- اليهود الشرقيين (يهود شرق أوروبا) قد يكونون من الخزر ذوي الأصل القوقازي التتري وليسوا من أصل سامي.[345] وخلافا لما هو معروف فإن التيار الرئيسي للهجرات اليهودية لم يأت من حوض المتوسط عبر فرنسا وألمانيا متجها نحو الشرق ثم عاد أدراجه ثانية، ولكنه تحرك ثابت ودائم نحو الغرب، بادءا من القوقاز عابرا أوكرانيا إلى بولنده، ومنها إلى وسط أوروبا.

344 كوستلر ، آرثر - إصدار فلسطين المحتلة سنة 1979 صفحة 20

345 المصدر السابق صفحة 21

وعندما قام في بولنده إستيطان يهودي ضخم لم يسبق له نظير، لم يكن بالمقابل في غرب أوروبا سوى عدد من اليهود غير كاف لأن يعتد به.[346]

أما المسألة العنصرية -العرقية- التي إجتاحت أوروبا الشرقية ضد اليهود والتي إصطلح على تسميتها (بالاسامية)، فهي لا تمت إلى السامية بصلة، ولا علاقة لها بالعنصرية، إذ هي في الواقع -كما أشرنا- لا تخرج عن كونها مسألة إقتصادية إجتماعية نتجت عن التحولات التي أصابت تلك البلدان في القرن التاسع عشر. وظهرت بشكل واضح في عصر الرأسمالية، لأن التناقض الدائم بين الإنتاج والإستهلاك يدفع البرجوازية الكبيرة إلى ضرورة الصراع من أجل إكتساب الأسواق الخارجية، وهي بالتالي تجبر البرجوازية الصغيرة على النضال من أجل توسيع السوق الداخلية. وترافق النقص في المنافذ الخارجية لدى الرأسماليين الكبار مع النقص في المنافذ الداخلية لدى الرأسماليين الصغار. وبينما تتصارع البرجوازية الكبيرة، بعنف، مع منافسيها على الأسواق الخارجية، تقاتل البرجوازية الصغيرة، بعنف لا يقل عن ذلك مع منافسيها على الأسواق الداخلية، إلا أن هذا التنافس ذا الطابع البرجوازي الرأسمالي يعطي غطاء عرقيا ليسوغه ويعطيه أبعادا عنصرية. ولما كان الطابع التجاري والحر هو ما ورثه اليهود من خلال ماض تاريخي طويل، فإن هذا الطابع جعلهم -اليهود- العدو الأول للبرجوازية الصغيرة في الأسواق الداخلية، في الوقت الذي كانت فيه فكرة العرق المناضل من أجل مجاله الحيوي -الأسواق الخارجية- إنعكاسا لضرورة التوسع التي تميز الرأسمالية المالية ورأسمالية الإحتكارات. ومن هنا نرى أن العنصرية أو العرقية ما هي إلا تعبيرا عن الإرادة التوسعية للرأسمال الكبير، وتعكس في نفس الوقت حقد البرجوازية الصغيرة ضد العناصر (الغريبة) في الأسواق الداخلية، أي ضد اليهود المنافسين في السوق الداخلية.[347]

إذا عرفنا أن مجموع اليهود في روسيا القيصرية في عام 1909 كان حوالي خمسة ملايين وربع المليون من أصل أحد عشر مليونا ونصف -هم مجموع اليهود في العالم- عرفنا حجم المشكلة التي خلفتها القيصرية قيصرية روسيا وبرجوازيتها، التي مارست الإضطهاد ضد اليهود وجعلتهم عرضة

---

346 كوستلر ، آرثر صفحة 229

347 أبراهام ليون صفحة 116 ، 117

للمذابح المستمرة والتي كان أبرزها مذبحة عام 1882 م. وعلى الرغم من ان اليهود كانوا بشكل عام عرضة للإضطهاد والمذابح إلا أنها لم تصب في الحقيقة إلا البروليتاريا، الأمر الذي جعلها لا تزعج اليهودية العالمية، ولا قيادة الحركة الصهيونية التي وجدت فيها مادة جيدة تسهل ترحيل اليهود بإقناعهم بأن الإندماج فكرة قابلة للتطبيق. ويأتي هذا الموقف متطابقا مع نص إحدى الوثائق المحفوظة في الأرشيف المركزي للإتحاد السوفييتي، والتي جاءت على لسان قادة الحركة الصهيونية، إذ نقول: (إن معاداة السامية تفيد في بث الرعب في صفوفهم الدهماء الذين سيطيعوننا بشكل أفضل بعد ان يقرصهم الغوييم (الأغيار) ونحن ندافع عنهم، ويكون الغوييم في هذه الحالة قد قاموا بدور الكلاب التي تسوق قطيعنا. يجب أن تنتبهوا إلى أن معاداة السامية لم تسئ إلينا أبدا ولم تحط من قدر أية مؤسسة من مؤسساتنا، بل كانت توجه دائما إلى بروليتاريا أي ضد الغوغاء).[348]

وبهذا فإن الحكومة القيصرية لم تكن بعيدة في ممارستها عن أهداف الحركة الصهيونية بحيث بدت تلك الممارسات منسجمة مع هذه الأهداف، وهذا ما هيأ الجمعيات والمنظمات الصهيونية للعمل على الأرض الروسية بحرية تامة. وقد كانت مؤتمراتها واجتماعاتها تعقد هناك دون أية عراقيل، وكذلك يتم جمع التبرعات وتحويل الرساميل دون حرج، أما الصحافة الصهيونية فقد كانت تعمل بشكل علني.[349]

لم تكن هذه الحملة على الإشتراكية من جانب الحركة الصهيونية لمجرد الكراهية فحسب، وإنما للرد على الموجة العارمة التي إجتاحت الشبيبة والبروليتاريا اليهودية للمشاركة في الحركة الثورية الروسية التي رأت فيها وعلى يديها الخلاص من حملات الكراهية التي تغذيها الطغمة القيصرية والبرجوازية الروسية.

في محاضرة ألقاها لينين سنة 1917 عن ثورة سنة 1905 قال فيها: (إن حقد القيصرية كان موجها ضد اليهود بصورة خاصة، فمن جهة كان اليهود يؤلفون نسبة عالية جدا من قادة الحركة الثورية (بالقياس إلى مجموع

348 يفسييف، غوستوكوف صفحة 29

349 المصدر السابق صفحة 36

السكان اليهود)، وبالمناسبة يجب أن يقال -وتلك مأثرة لهم- أن اليهود يؤلفون اليوم نسبة عالية من ممثلي التيار الأممي بالقياس إلى (الشعوب الأخرى). ومن جهة ثانية، كانت القيصرية تعرف جيدا كيف تستغل أحط الأوهام ضد اليهود عند أشد فئات الناس جهلا وتنظيم مذابح اليهود، وإن لم تقدها بنفسها، وفي تلك الفترة بلغ عدد القتلى في مئة مدينة أكثر من أربعة آلاف، وعدد المشوهين أكثر من عشرة آلاف.[350]

إن المشاركة اليهودية في الحركات الثورية، لم تكن عبثا، فقد كانوا يعرفون تماما أن نجاح الأممية يعني نهاية المذابح والإضطهاد. ومن ثم المساواة في الحقوق والمساواة في الواجبات، وهذا ما كان يدعو إليه لينين، الذي كان يرى -في الوقت نفسه- أن الفكرة المركزية للصهيونية حول وجود أمة من نوع خاص، هي فكرة كاذبة ورجعية في جوهرها ولا تجلب للكادحين سوى الضرر. وقد كتب يقول:[351] (إن فكرة الشعب اليهودي الخاص رجعية من حيث مغزاها السياسي. فالمشكلة اليهودية هي كالتالي: الإنصهار أو العزلة؟ وفكرة القومية اليهودية ذات طابع رجعي واضح، ليس فقط عند إنصهارها الدائمين (الصهاينة) بل وحتى عند أولئك الذين يحاولون إقرانها بأفكار الإشتراكية الديمقراطية (البونديين). إن فكرة اليهودية تتناقض ومصالح الكادحين اليهود، وذلك بقيامها بتغطية الأفكار المعادية للإنصهار وتشجيع أمزجة الجيتو). لقد أشار لينين في كتاباته إلى أن يهود روسيا سيمرون بنفس عملية الإندماج والإنصهار التي كان يهود أوروبا يمرون بها في ذلك الوقت.[352]

فالثورة الإشتراكية حاربت كل أشكال إضطهاد اليهود، مهما كانت الأقنعة التي تقنع بها النظام القيصري، والذي حاول أن يرد هذا الصراع إلى أصول عرقية. ولكنها حاربت في الوقت نفسه الحركة الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية أيضا. ترد الرابطة اليهودية إلى العرقية لا إلى الدين. ولقد أسعد هذا الموقف جماهير اليهود الكادحة، تلك الجماهير التي رغبت في الإنصهار والإندماج والخروج من قوقعة الجيتو التي فرضت عليها أجيالا طويلة.

---

350 لينين - المختارات - دار التقدم - موسكو - مجلد رقم 1 جزء 2 صفحة 484

351 برودسكي ، شوليستر صفحة 87

352 بيروبيجان، التجربة السوفييتية لإنشاء وطن قومي يهودي، نجدة مصطفى صفوت- مركز الدراسات الفلسطينية- بغداد سنة 1973 صفحة 27

... وتابع اليهود مسيرة جمهوريات الإتحاد السوفييتي الإشتراكية، مواطنين متاويين مندمجين في المجتمع السوفييتي الذي لا يعرف التمييز القومي أو الديني، والذي ينبذ التمييز العرقي والعنصري. ولما إجتاحت الحملة النازية دول أوروبا الشرقية والغربية، حملت معها بذور الدعوة العرقية إلى هذه الشعوب، وحملت معها أيضا العداء المتميز لليهود، طامعة ان تتبنى شعوب ودول هذه البلاد شعاراتها وممارساتها. وهي إن نجحت في بعض الأمكنة ولدى بعض عملائها في إستثارة مثل هذه الدعاوي، فإنها فشلت في معظم البلدان التي وصلت إليها، ولم تستطع إحياء الفكر القيصري البرجوازي في الإتحاد السوفييتي، ولم تتمكن من إعادة القرون الوسطى وما حملته من الأطماع والتوسع والإستغلال والذي غلفته بالدعوة العنصرية العرقية. وخلافا لما يشاع باستمرار من ان النازية كانت تستهدف اليهود وحدهم، فإنها إستهدفت كل الشعوب التي وقفت في طريقها بصرف النظر عن الدين الذي تعتنقه فقد شنت عملية إبادة شبه كاملة في بولونيا وأوكرانيا وبيلوروسيا راح ضحيتها ملايين من شعوب هذه البلدان. وهي لم تكتف بذلك بل إنها قتلت -بالدم البارد- أكثر من ثلاثة ملايين جندي من أسرى الحرب السوفييت. وقد كشفت مجلة نيوزويك الأمريكية الأسبوعية النقاب عن المجزرة التي تعرض لها الجنود السوفييت فقالت:[353] (قتل أكثر من ثلاثة ملايين من أسرى الحرب السوفييت على يد النازيين منهم 580 ألف أسير حرب سوفييتي ما بين عام 1941 - 1945، معظمهم قتل رميا بالرصاص، ومات أكثر من 2.7 مليون أسير حرب سوفييتي بسبب سوء التغذية والأمراض في معسكرات الإعتقال، وكل إنسان يعرف المعاملة السيئة التي كان يلقاها هؤلاء الأسرى في تلك المعسكرات).

وإذا عرفنا أن عدد ضحايا الحرب العالمية من السوفييت بلغ عشرين مليون إنسان أي نصف ما خسره العالم أجمع، فإننا نعرف أن النازية لم تستثن أحدا من شعوب الإتحاد السوفييتي، وانها لم تكن تميز بين ضحاياها حسب الدين أو العرق أو القومية، وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت القيادة السوفييتية أنه من مصلحة رعاياها اليهود القاطنين في المناطق الساخنة والذين يتعرضون للأذى النازي، وحرصا على سلامتهم، أن ينقلوا إلى مناطق أكثر

353 مجلة نيوزويك 1979/9/17 صفحة 11

أمنا واطمئنانا. وقد كتب بهذا الصدد إسحاق دويتشر[354] (الكاتب اليهودي) بأن ستالين نفسه أمر بتقديم المساعدة لمليونين ونصف المليون من اليهود في المناطق المحتلة من أراضي الإتحاد السوفييتي، وذلك بنقلهم إلى المناطق الداخلية من البلاد، الأمر الذي أنقذهم من معسكرات الإعتقال النازية). ويتابع دويتشر فيقول: (هذه حقيقة يميل القوميون اليهود والصحافة الصهيونية إلى تناسيها).

ويبدوا أن هذا الموقف قد إتخذ على ضوء مجموعة من التقارير، وصلت إلى وزارة الخارجية السوفييتية[355] معتمدة على معلومات وثيقة، تحدد ملامح الأعمال الإجرامية التي قامت بها -وتنوي القيام بها- النازية في الأراضي السوفييتية المحتلة ضد السوفييت بشكل عام وضد اليهود منهم بشكل خاص.

وخلافا للدعاية الصهيونية التي تظهر كل شعوب العالم بمظهر العدو اللدود لليهودية فإن هذا التقرير ينصف الشعوب التي تقطن المناطق المجاورة لحدود الإتحاد السوفييتي، والتي كانت قبل الحرب تبدي شيئا من العداء لليهودية فيقول: (إن هذه الشعوب وقفت ضد وحشية الألمان النازيين التي كان هدفها اليهود، وقدمت لهم المساعدة والعون لتمسح بعضا من أحزانهم وتخفف من مأساتهم).[356]

إن ما بذل من جهد من قبل الحكومة السوفييتية وشعوبها في الدفاع عن اليهود وحمايتهم لا يختلف عما بذله الشعب البلغاري متحديا بذلك الحكومة البلغارية -في ذلك الوقت- العميلة للنازية ومتحديا في نفس الوقت النفوذ النازي المتأصل فيها. وتبرز مجموعة من الوثائق التي أصدرها معهد التاريخ بأكاديمية العلوم البلغارية في عام 1978 موقف حزب الطبقة العاملة ومجموعة من المؤسسات الشعبية والنقابية البلغارية من الإعتداء الفاشي على اليهود.

---

354 اليهودي واللايهودي- إسحاق دويتشر- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت سنة 1978 صفحة 57

355 السياسة الخارجية السوفييتية في الحرب العظمى الوطنية- المؤسسة الحكومية للنشر ، موسكو سنة 1944 باللغة الروسية صفحة 278 - 293

356 المصدر السابق ونفس الصفحات

فقد أصدر حزب الطبقة العاملة بيانا بتاريخ 1939/11/21 حدد فيه موقفه من الإعتداءات التي وقعت على المواطنين البلغاريين اليهود متهما الحكومة البلغارية الموالية للنازيين بخلخلة الوحدة الوطنية، ويناشد الشعب بأن يخوض نضالا لا هوادة فيه ضد الحكومة، ويطالب بإقامة حكومة وطنية تحافظ على حقوقه المهدورة وتعمل على سحق القيادات والعملاء الأجانب (النازيين) وتوقع معاهدة دفاع مع جيراننا (الإتحاد السوفييتي).[357]

وفي مذكرة قدمها المفوضون التجاريون بتاريخ 1940/10/2 رفضوا فيها مشروع قرار حماية الأمة الذي أعدته الحكومة والذي يرمي إلى حرمان اليهود من حقوقهم كمواطنين،[358] وبتاريخ 1940/10/5 إحتج مجلس إتحاد الاطباء البلغار[359] على هذا المشروع. ودعت الجبهة الوطنية إلى النضال ضد ترحيل اليهود من بلغاريا، وفي نفس الوقت حرضت اليهود على رفض قرارات الترحيل والمشاركة الفعالة بمقاومة الحكومة بكل الأساليب.[360]

ويشهد الوزير المفوض الألماني في صوفيا على مواقف الشعب البلغاري في رسالة يوجهها إلى وزارة الخارجية الألمانية يقول فيها: (إن المجتمع البلغاري يساهم بكل قواه لتطبيق المساواة في القانون تجاه اليهود منطلقا في ذلك من أسباب مفهومة لي).[361]

---

357 نضال الشعب البلغاري في سبيل الدفاع عن اليهود وحمايتهم في بلغاريا خلال الحرب العالمية الثانية، تأليف مجموهة من المحررين، إصدار أكاديمية العلوم البلغارية، معهد التاريخ- صوفيا- الوثيقة رقم 2 صفحة 18 (الترجمة للجنة الدراسات الفلسطينية- دمشق).

358 16 صفحة 47 المصدر السابق الوثيقة رقم

359 المصدر السابق الوثيقة رقم 17 صفحة 47

360 المصدر السابق الوثيقة رقم 110 صفحة رقم 176

361 المصدر السابق الوثيقة رقم 94 صفحة 153